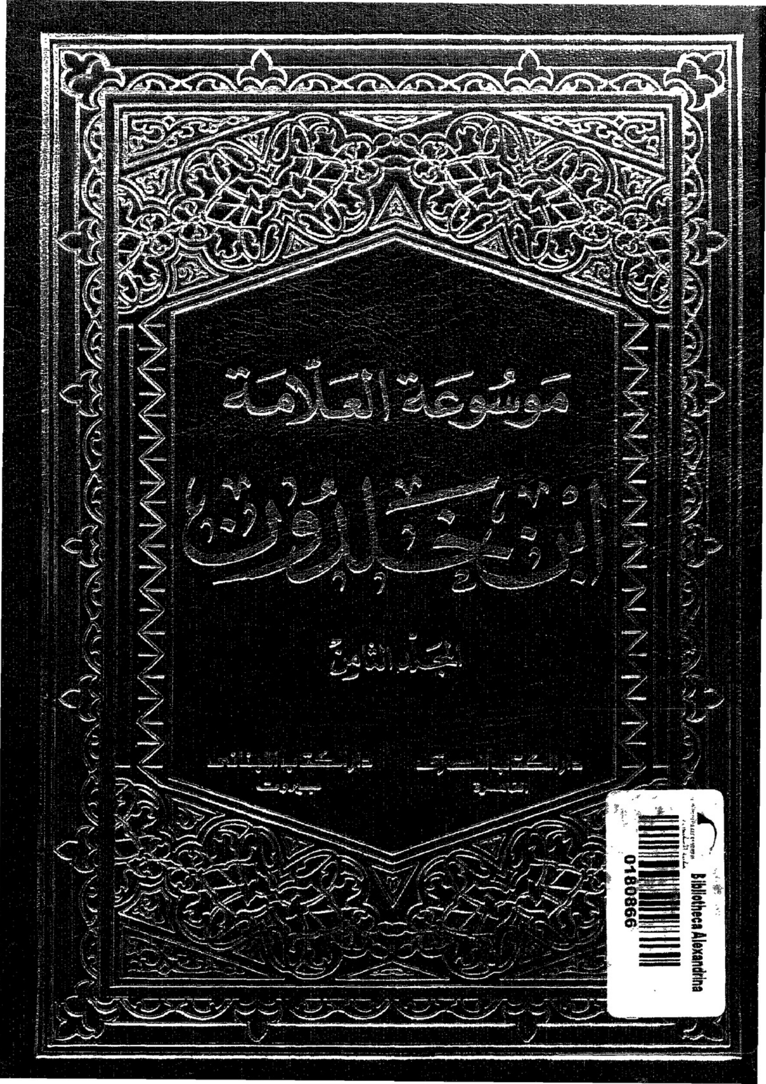

موسوعة العلامة
ابن خلدون
المجلد الثامن
دار الكتاب المصري
القاهرة
دار الكتاب اللبناني
بيروت
Bibliotheca Alexandrina
0180866



دار الكتاب المصري

طباعة - نشر - توزيع

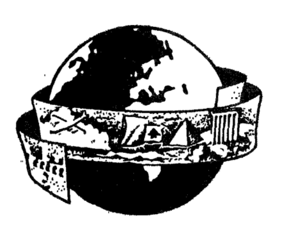
٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع

تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/ ٣٩٣٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)

ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً: كتامصر

FAX. (202) 3924657

ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN



دار الكتاب اللبناني

طباعة - نشر - توزيع

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣١ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: داكلبان - ص.ب.: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان
FAX: (961 I) 351433
ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN


تاريخ العلامة
ابن خلدون
المجلد الثامن

I.S.B.N. 977 - 238 - 035 - 3

دار الكتاب المصري

٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع.
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/ ٣٩٣٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً: كتامصر
FAX: (202) 3924657
ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN

دار الكتاب اللبناني

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣٦ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: دالكيان - ص.ب: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان
FAX: (961 1) 351433
ATT · MR HASSAN EL- ZEIN

طبعة مزيدة ومنقحة

١٤٢٠ هـ — ١٩٩٩ م

H. 1420 — A.D. 1999

تاريخ العلامة
ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره

العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الثامن

دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب المصري
القاهرة

القسم الرّابع

المجلد الرّابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

انتقاض اسحق العم وابنه الياس

كان اسحق بن أحمد عم الامير أحمد بن اسمعيل والياً على سمرقند فلما بلغه مقتل الامير أحمد ، وولاية ابنه السعيد نصر دعا لنفسه بسمرقند ، وتابعه ابنه الياس على ذلك . وساروا الى بخارى فبرز اليهم القائد حمويه بن علي فهزمهم الى سمرقند . ثم جمعوا وعادوا فهزمهم ثانية ، وملك سمرقند من أيديهم عنوة . واختفى اسحق وجدّ حمويه في طلبه فضاق به مكانه ، واستأمن الى حمويه وحمله الى بخارى ، وأقام بها الى أن هلك ، ولحق الياس بفرغانة فاقام بها الى أن خرج ثانية كما يأتي .

ظهور الأطروش واستيلاؤه على طبرستان

قد تقدّم لنا في أخبار العَلَوِيّة شأن دولة الأُطروش وبنيه

بطَبَرِسْتان، وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمرو بن علي ابن الحسن السبط، وأنه استعمل الامير أحمد على طبرستان مكانه أبا العباس أحمد عبد الله بن محمد بن نوح فأحسن السيرة، وعدل في الرعية، وأكرم العلوية وبالغ في الاكرام والاحسان اليهم. واستمال رؤساء الديلم وهاداهم، و كان الحسن الاطروش قد دخل اليهم بعد قتل محمد بن زيد، وأقام فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام، ويقتصر منهم على العشر، ويدافع عنهم ملكهم ابن حسان فاسلم منهم خلق كثير، واجتمعوا اليه وبنى في بلادهم المساجد، ودعاهم للمسير معه الى طبرستان فلم يجيبوه الى ذلك.

ثم عزل أبو العباس، وتولى سلام فلم يحسن سياسة الديلم فخرجوا عليه، وقاتلوه فهزمهم، واستعان بالامير أحمد السعيد، فأعاد الامير أحمد اليها ابن نوح، فاستعمل عليها أبا العباس محمد ابن ابراهيم صعلوك ففسد ما بينه وبين الديلم باساءة السيرة وعدم السياسة. فطلبهم الاطروش في الخروج معه فخرجوا، ولقيهم ابن صعلوك على مرحلة من سالوس وهي ثغر طَبَرِسْتان فانهزم، وقتل من أصحابه أربعة آلاف، وحصر الاطروش الباقين، ثم أمنهم وعاد الى آمد. وسار اليهم الحسن بن القاسم العلوي الداعي صهر الاطروش فقتلهم، متعللا عليهم بأنه لم يحضر لعهدهم. واستولى الاطروش على طبرستان سنة احدى وثلثمائة أيام السعيد نصر،

وخرج صعلوك الى الري متعللاً عليهم ، ومنها الى بغداد . وكان الذين أسلموا على يد الاطروش الديلم من وراء اسفيجاب الى آمد ، فيهم شيعة زيدية . وكان الاطروش زيدياً . وخرجت طبرستان يومئذ من ملك بني سامان .

انتقاض منصور بن اسحق العم والحسين المرورذي

كان الامير أحمد بن اسمعيل لما افتتح سجستان ولى عليها منصور ابن عمه اسحق ، وكان الحسين بن علي هو الذي تولى فتحها وطمع في ولايتها. ثم افتتحها ثانياً كما ذكرنا فوليا[1] سيجور الدواني فاستوحش الحسين لذلك ، وداخل منصور بن اسحق في الانتقاض على أن تكون امارة خراسان لمنصور والحسين بن علي خليفته على أعماله . فلما قتل الامير أحمد انتقض الحسين بهراة ، وسار الى منصور بنيسابور فانتقض أيضاً ، وخطب لنفسه سنه اثنتين وثلاثين. وسار القائد حمويه بن علي من بخارى في العساكر لمحاربتهما ، ومات منصور قبل وصوله فلما قارب حمويه نيسابور ، سار الحسين عنها الى هراة ، وأقام بها وكان محمد بن جند على شرطته[2] من مدة طويلة . وبعث من بخارى بالنكير فخشي

---

(١) كذا. ولعلها: فوليها وإلا كان الذي ولي سيجور إثنان. فمن هما؟

(٢) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٦ ص ١٤٩ : وكان محمد بن حيد على شرطة بخاري مدة طويلة .

على نفسه ، وعدل عن الطريق الى هراة فسار الحسين بن علي من هراة الى نيسابور ، بعد أن استخلف عليها أخاه منصوراً فملك نيسابور ، فسار الى محاربته من بخارى أحمد بن سهل فحاصر هراة وملكها من منصور على الامان . ثم سار الى نيسابور فحاصر بها الحسين وملكها عنوة ، وأسر الحسين سنة اثنتين وثلثمائة . وأقام أحمد بن سهل بنيسابور ، وجاءه ابن جيد مزمر[1] وقبض عليه ، وسيره والحسين بن علي الى بخارى . فامّا ابن جيد مزمر فسير الى خوارزم ومات بها ، وأمّا الحسين فحبس ، ثم خلصه أبو عبد الله الجهاني مدبّر الدولة ، وعاد الى خدمة السعيد نصر .

انتقاض أحمد بن سهل بنيسابور وفتحها

كان الامير أحمد بن سهل من قواد اسمعيل ، ثم ابنه أحمد ، ثم ابنه نصر بن أحمد . قال ابن الاثير : وهو أحمد بن سهل ابن هاشم بن الوَليد بن جَبَلَة بن كامكان بن يَزْدَجُرْد بن شَهْرَيان الملك . قال : وكان كامكان دِهْقان بنواحي مرو . قال : وكان لأحمد اخوة ثلاثة ، وهم محمد والفضل والحسين قتلوا في عصبية العرب والعجم . وكان خليفة عمرو بن الليث على مرو فسخطه

(١) كذا بالأصل، هنا ابن جيد مزمر، وقبل بضعة أسطر: محمد بن جند. واسمه في الكامل ابن حيد.

وحبسه بسجستان. ثم فرّ من محبسه ولحق بمرو فملكها، واستأمن الى أحمد بن اسمعيل. وقام بدعوته فاستدعاه الى بخارى وأكرمه ورفع منزلته، ونظمه في طبقة القوّاد، وبقي في خدمته وخدمة بنيه. فلما انتقض الحسين بن علي بنيسابور على السعيد نصر بن أحمد بن اسمعيل سنة اثنتين وثلثمائة، سار اليه أحمد بن سهل في العساكر وظفر به كما مرّ. وولى السعيد نصر بن أحمد بن اسمعيل على نيسابور وقراتكين مولاهم.

مقتل ليلى بن النعمان ومهلكه

كان ليلى بن النعمان من كبار الديلم، ومن قواد الاطروش، وكان الحسن بن القاسم الداعي قد ولّاه على جَرجان سنة ثلاث وثلثمائة، وكان أولاد الاطروش يحلونه في كتابهم بالمؤيد لدين الله المنتصر لاولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان كريماً شجاعاً. ولما ولي جَرجان سار اليه قراتكين، وقاتله عشرة فراسخ من جرجان فانهزم قراتكين، واستأمن غلامه فارس الى ليلى في ألف رجل من أصحابه فأمنه وأكرمه وزوّجه اخته. واستأمن اليه أبو القاسم بن حفص ابن أخت سهل، وحرّضه على المسير الى نيسابور، وبها قراتكين. وكان أجناده قد كثروا وضاقت عليهم الاموال فاستأذن الداعي في المسير الى نيسابور فأذن له، وسار اليها في ذي الحجة سنة ثمان وثلثمائة فملكها، وأقام بها الخطبة

للداعي الحسين بن القاسم. وأنفذ السعيد نصر العساكر من بخارى مع حمويه بن علي، ومحمد بن عبيد الله البلغمي، وأبي جعفر صعلوك، وخوارزم شاه، وسيجور الدواني. فانهزم أكثر أصحاب حمويه، وثبت القواد، وجالت العساكر جولة فانهزم ليلى ودخل آمد. ولحقه بقراخان ملك الترك، جاء مع العساكر مدداً فقبض على ليلى في آمد، وبعث الى حمويه بذلك فبعث اليه من قطع رأس ليلى في ربيع سنة تسع وثلثمائة. وبعث به الى بخارى. وطلب قواد الديلم الذين كانوا مع ليلى الامان فأمنوهم، بعد أن أشار حمويه بقتلهم، والراحة منهم فلم يوافقوه. وهؤلاء القواد هم الذين خرجوا بعد ذلك على الجهات وملكوها: مثل أسفار ومرداويج وأنوشتكين وبني بويه، وستأتي أخبارهم. وبقي فارس غلام قراتكين بجرجان والياً عليها. ثم جاءه قراتكين، واستأمن اليه غلامه فارس فأمنه. ثم قتله سنة ست عشرة وثلثمائة وانصرف عن جرجان.

حرب سيجور مع ابن الأطروش

ولما قتل قراتكين غلامه سنة ست عشرة وثلثمائة، وانصرف عن جرجان، سار اليها أبو الحسن بن ناصر الاطروش من استراباذ فلكها. وأنفذ السعيد لحربه سيجور الدواني في أربعة آلاف فارس فنزل على فرسخين من جرجان، وخرج اليه أبو الحسن في ثمانية

آلاف راجل من الديلم فاقتتلا . وكان سيجور قد أكمن لهم ، وأبطأ عليه الكمين فانهزم واتبعه سرخاب . وشغل عسكر أبي الحسن بالنهب . ثم خرج عليهم الكمين بعد ساعة فانهزم أبو الحسن، وقتل من عسكره نحو من أربعة آلاف . وركب البحر الى استراباذ . واجتمع اليه فلٌّ من أصحابه . وجاءه سرخاب بعد أن رجع عن سيجور ، وجمع عيال أصحابه ومخلّفهم ، وقدم بهم . وأقام سيجور بجرجان . ثم مات سرخاب ، ورجع ابن الاطروش الى سارية بعد أن استخلف ما كان بن كالي على استراباذ . واجتمع اليه الديلم وأمروه . ثم سار الى استراباذ ومعه محمد[1] ليظهر غناءهم فخرج من سارية ، وولوا عليها بقراخان . ووصلوا الى جرجان ، ثم إلى نيسابور . ورجع ما كان الى استراباذ مع جرجان ولحق بقراخان بنيسابور . وهذا كان مبتدأ أمر ما كان بن كالي وستأتي أخباره .

خروج الياس بن اسحق

قد تقدّم لنا انتقاض اسحق وابنه الياس بسمرقند سنة احدى وثلثمائة ، وكيف غلبهم القائد حمويه ، وسار باسحق الى بخارى ومات بها . ولحق ابنه الياس بفرغانة فأقام بها الى سنة ست

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٦ ص ١٧٠ : ثم سار محمد بن عبيد الله التلغمي سيجور إلى باب استراباذ وحاربوا ما كان وابن كالي.

عشرة وثلثمائة . وأجمع المسير الى سمرقنـد ، واستظهر بمحمد بن الحسين برمت من قواد بني سامان . واستمدّ أهل فرغانة من الترك فأمدّوه . واجتمع اليه ثلاثون ألف فارس ، وقصد سمرقند. وبعث السعيد للمدافعة عنها أبا عمرو ، ومحمد بن أسد ، وغيره في ألفين وخمسمائة راجل . فلما ورد الياس كمنوا له بين الشجر، حتى اذا اشتغلت عساكره بضرب الابنية خرجوا عليه، فانهزم الحسن ابن ست ولحق باسفيجاب ، ومنها الى ناحية طراز وكريت فلقيه دهقان الناحية فقتله ، وأنفذ رأسه الى بخارى . ثم استمدّ الياس صاحب الشاش ، وهو أبو الفضل بن أبي يوسف فأمدّه بنفسه ، وبعث اليه اليسع بالمدد، وعاود محاربة الوالي بسمرقند فانهزم الى كاشغر، وأسر أبو الفضل وحمل الى بخارى فمات بهـا . وسار الياس الى كاشغر ، وصاحبها طغاتكين من ملوك الترك فصاهره بابنته وأقام معه .

استيلاء السعيد على الري

كان المقتدر قد عقد على الري ليوسف بن أبي الساج ، وسار اليه سنة احدى عشرة فلكه من يد أحمد بن علي أخي صعلوك . وقد كان فارق أخاه صعلوكاً ، وسار الى المقتدر فولاه على الري . ثم انتقض على المقتدر ووصل يده بما كان بن كالي قائد الديلم وأولاد الاطروش وهم بطبرستان وجرجان . وفارق طاعة المقتدر

فسار اليه يوسف ابن أبي الساج وحاربه فقتله ، واستولى على الري . ثم استدعاه المقتدر سنة أربع عشرة الى واسط لقتال القرامطة ، وكتب الى السعيد نصر بن أحمد بولاية الري فاستخلف عليها[1] وأمره بالمسير اليها . وأخذها فاتك مولى يوسف بن أبي الساج فسار نصر السعيد لذلك أوّل سنة أربع عشرة . فلما وصل الى جبل قارن منعه أبو نصر الطبري من الاجتياز به فبذل له ثلاثين ألف دينار واسترضاه . وسار الى الري فخرج عنها فاتك ، واستولى عليها السعيد منتصف السنة ، وأقام بها شهرين . ثم عاد عنها الى بخارى ، واستعمل عليها محمد بن علي الملقب صعلوك فأقام بها الى شعبان سنة ست عشرة ، ومرض فكاتب الداعي وماكان ابن كالي في القدوم ليسلم لهم الريّ فقدموا ، واستولوا على الري . وسار صعلوك عنها فمات في طريقه . وأقام الحسن الداعي بالري مالكاً لها . واستولى معها على قزوين وزنجان وأبهروقم ، ومعه ماكان . وكان أسفار قد استولى على طبرستان فسار الداعي وماكان اليه ، والتقوا على سارِيَة فانهزم ، وقتل الداعي كما مر في أخبار العَلَوِيّة بطَبَرِسْتان .

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٦ ص ١٨٥ : وولي عليها سيجور الدوالي وعاد عنها، ثم استعمل عليها محمد بن علي صلوك، وسار نصر إلى بخارى.

ولاية اسفار على جرجان والري

كان أسفار بن شيرويه من أعيان الديلم ، وكان من أصحاب ماكان بن كالي . وقد تقدّم لنا أنّ أبا الحسن بن الأطروش ولّى ماكان على استراباذ ، وانّ الديلَم اجتمعوا اليه وأمّروه ، وأنه ملك جَرْجان ، واستولى بعدها على طَبَرِسْتان ، وولّى أخاه أبا الحسن بن كالي على جرجان . وكان أسفار بن شيرويه من قوّاده فانصرف مغاضباً عنه سنة خمس عشرة الى بكر بن محمد بن اليسع بنيسابور فبعثه بكر الى جرجان ليفتحها ، واضطرب أمر جرجان ، لأن ماكان بن كالي اعتقل بها أبا علي الاطروش بنظر أخيه ابن كالي ، فوثب الاطروش على أخيه أبي الحسن وقتله[1] ، وملك جرجان . واستقدم أسفار بن شيرويه فقدم وضبط أمره . وسار اليهم ماكان من طبرستان في جيوشه فهزموه ، واتبعوه الى طبرستان فملكوها وأقاموا بها .

وهلك أبو علي بن الاطروش بطبرستان فعاد ماكان بن كالي ، وأخرج أسفار بن شيرويه من طبرستان . ثم زحف أسفار الى الداعي

---

(١) في العبارة غموض. فأبو علي الأطروش هو المعتقل، وهو الذي وثب على أخيه أبي الحسن وقتله. فكيف يكون معتقلاً وقاتلا؟ ويظهر لدى مراجعة المجلد الثالث من الكامل لابن الأثير في صحائف متفرقة أن هناك عبارة سقطت أثناء النسخ وتصويب العبارة: إن أبا علي الأطروش وثب على أخيه أبي الحسن وقتله بعد أن هرب من معتقله، وأنه اعتقل بنظر أخيه أبي الحسن وليس: ابن كالي كما ورد هنا.

وما كان والتقوا على السيَّارِيَّة فانهزم الداعي وماكان ، وقتل الداعي . واستولى أسفار على طبرستان وجرجان والري وقَزوين وزِنْجان وأَبْهَرْ وَقُمّ والكرخ ، ودعا للسعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان . واستعمل على آمد هرون بن بهرام يريد استخلاصه لنفسه ، لانّ هرون كان يخطب لابي جعفر من ولد الاطروش فولاه آمد ، وزوّجه ببعض نساء الأعيان فبنى بها . وحضر عرسه أبو جعفر ، وغيره من العَلَوِيّين فهجم عليه أسفار يوم العرس ، فقبض على أبي جعفر والعلويين ، وحملهم الى بخارى فاعتقلوا بها ، واستفحل أمر أسفار وانتقض على السعيد صاحب خراسان ، وعلى الخليفة المقتدر . وسار السعيد من بخارى الى نيسابور لمحاربته ، وأشار عليه وزيره محمد بن مُطَرّف الجَرْجاني بطاعة السعيد ، وخوّفه منه فقبل اشارته ، ورجع الى طاعة السعيد وقبل شروطه من حمل المال وغيره . ثم انتقض عليه مرداويح واستدعى ماكان من طبرستان ، وهزم اسفار وقتله ، وملك ما بيده من الاعمال كما يذكر في أخبار الديلم . ثم ملك طَبَرِسْتان وجَرْجان من يد ماكان ، فاستمدّ ماكان السعيد فأمدّه بأبي علي بن محمد المظفر فهزمها مرداويح ، وعاد أبو علي الى نيسابور ، وماكان الى خراسان .

خروج أولاد الأمير أحمد بن اسمعيل على أخيهم السعيد

كان السعيد نصر بن أحمد لما وَلِيَ استراب باخوته ، وكانوا ثلاثة : أبو زكريا يحيى ، وأبو صالح منصور ، وأبو اسحق إبراهيم أولاد الامير أحمد بن اسمعيل فحبسهم في القَنْدَهان ببخارى ووكل بهم . فلما سار السعيد الى نيسابور سنة خمس عشرة فتقوا السجن ، وخرجوا منه على يد رجل خبّاز من اصفهان يسمى أبا بكر ، داخلهم في محبسهم بتسهيل نفقتهم التي كانت على يده . وجاء الى القندهان قبل يوم الجمعة الذي كان ميقاتاً لفتحه . وأقام عندهم مظهراً للزهد والدين ، وبذل للبوّاب دنانير على أن يخرجه ليلحق الصلاة في الجماعة ففتح له الباب ، وقد أعدّهم جماعة للوثوب فحبسوا البوّاب ، وأخرجوا أولاد الامير أحمد ومن معهم في الحبس من العَلَويّين والدّيلم والعيّارين . واجتمع اليهم من كان وافقهم من العسكر والقواد ، ورأسهم شروين الجبلي ، وبايعوا يحيى بن الامير أحمد ، ونهبوا خزائن السعيد وقصوره .

وقدم يحيى أبا بكر الخباز ، وبلغ الخبر الى السعيد فعاد من نيسابور الى بخارى . وكان أبو بكر محمد بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان مقيماً بجرجان فاستدعى ماكان بن كالي ، وصاهره ، وولاه نيسابور فسار اليها . ولما جاء السعيد الى بخارى اعترضه أبو بكر الخباز عند النهر فهزمه السعيد ، وأسره ودخل

بخارى فعذّبه وأحرقه في تنوره الذي كان يخبز فيه. ولحق يحيى بسمرقند، ثم مرّ بنواحي الصغانيان، وبها أبو علي بن أحمد بن أبي بكر بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان مقيماً بجرجان فاستدعى ماكان بن كالي الى جرجان، ولقوا بها محمد بن الياس، وقوي أمره فلما جاء يحيى الى نيسابور خطب له، وأظهر دعوته. ثم قصدهم السعيد فافترقوا، ولحق ابن الياس بكرمان، ولحق يحيى وقراتكين ببست والرخج، ووصل السعيد الى نيسابور سنة عشرين، واصطلح قراتكين وأمنه، وولاه بلخ، وذهبت الفتنة. وأقام السعيد بنيسابور الى أن استأمن اليه أخواه يحيى ومنصور وحضرا عنده وهلكا، وفرّ ابراهيم الى بغداد، ومنها الى الموصل. وهلك قراتكين ببست، وصلحت أمور الدولة. وكان جعفر بن أبي جعفر بن داود والياً لبني سامان على الختل فاستراب به السعيد، وكتب الى أبي علي أحمد بن أبي بكر محمد بن المظفر وهو بالصغانيان أن يسير اليه، فسار اليه وحاربه وكسره، وجاء به الى بخارى فحبس بها، فلما فتق السجن خرج مع يحيى وصحبهم. ثم لما رأى تلاشي أموره استأذنه في المسير الى الخُتّل فأذن له فسار اليها، وأقام بها، ورجع الى طاعة السعيد سنة ثمان عشرة وصلح حاله. والخُتّل بخاء معجمة مضمومة، وتاء مثناة فوقانية مشدّدة مفتوحة.

ولاية ابن المظفر على خراسان

كان أبو بكر محمد بن المظفر والياً للسعيد نصر على جرجان. ولما استفحل أمر مرداويج بالري كما يأتي في أخبار الديلم خرج عنها ابن المظفر، ولحق بالسعيد نصر في نيسابور وهو مقيم بها فسار السعيد في عساكره نحو جرجان، ووقعت المكاتبة بين محمد ابن عُبَيْد الله البَلْعَمِيّ مدبّر دولته، وبين مُطَرّف بن محمد. واستماله محمد فمال اليه مطرف، وقتله سلطانه مرداويج. ثم بعث محمد ينتصح لمرداويج، ويذكره نعمة السعيد عنده في اصطناعه وتوليته، وتطوّق العار في ذلك المُطَرّف الوزير الهالك[1]. ويهوّل عليه أمر السعيد ويخوّفه، ويشير عليه بمسالمة جرجان اليه. وصالحه السعيد عليها. ولما فرغ السعيد من أمر جرجان، وأحكمه استعمل محمد بن المظفر بن محتاج على جيوش خراسان سنة احدى وعشرين، وردّ اليه تدبير الامور بجميع نواحيها. وسار الى كرسي ملكه ببخارى واستقرّ بها.

استيلاء السعيد على كرمان

كان محمد بن الياس من أصحاب السعيد، ثم سخّطه وحبسه،

---

(١) يظهر من العبارة أن البلغمي من دعاة السعيد نصر. وهو الذي استمال مطرف بن محمد. فكيف تطوق العار؟ إن العبارة مضطربة. ويفهم من العبارة بوضعها الحالي: أن محمداً ذكر هذه العبارة للتدليس أمام مرداويج.

وشفع فيه محمد بن عبيد الله البلغمي فأطلقه، وسيره محمد بن المظفر الى جرجان . ثم سار الى يحيى واخوته عندما توثبوا ببخـارى فكان معه في الفتنة . وخطب له بنيسابور كما مرّ . فلما زحف السعيد اليهم فارق يحيى ولحق بكرمان ، واستولى عليها . ثم خرج الى بلاد فارس وبها ياقوت مولى الخلفاء فوصل اليه باصطخر يريد أن يستأمن له. وأطلع ياقوت على مكره فرجع الى كرمان . ثم بعث السعيد ماكان بن كالي في العساكر سنة احدى وعشرين ، وقاتل ابن الياس وهزمه ، وملك كرمان بدعوة السعيد نصر بن أحمد . وسار الياس الى الدينور . ثم رجع ماكان عن كرمان على ما نذكره بعد فرجع اليها ابن الياس . وسبب خروج ماكان انّ السعيد بعد قتل مرداويح ، كتب اليه والى محمد بن المُظَفَّر صاحب خراسان ان يقصد جرجان والريّ ، وبها وشمكير أخو مرداويح فجاء ماكان على المفازة ، ووصل الى نيسابور بعد أن كان محمد بن المظفر قد استولى عليها ، بعث اليه مدداً فهزمتهم عساكر وشمكير فأقصر ماكان عن حربهم ، وأقام بنيسابور وجعلت ولايتها له . وذلك أوّل سنة أربع وعشرين . ثم صفت كرمان لمحمد بن الياس بعد حروب مع جيش نصر كان له الظفر فيها آخراً .

استيلاء ماكان على كرمان وانتقاضه

لما ملك ماخين جرجان ، وأقام ماكان بنيسابور ، وجعلت

وَلايتها له، وهلك ماثخين لأيام من دخوله جرجان استنفر محمد المظفر ماكان للمسير الى جرجان فاعتل بالخروج بجميع أصحابه. وسار الى أسفَراين فانفذ عسكراً الى جرجان، واستولى عليها. ثم انتقض وسار الى نيسابور، وبها محمد بن المظفر. وكان غير مستعد للحرب فسار نحو سرخس، ودخل ماكان نيسابور سنة أربع وعشرين. ثم رجع عنها خوفاً من اجتماع العساكر.

ولاية علي بن محمد على خراسان وفتحه جرجان

كان أبو بكر محمد بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان من ولاة السعيد عليها سنة احدى وعشرين، فلما كانت سنة سبع وعشرين اعتل أبو بكر، وطال به مرضه، وقصد السعيد راحته فاستقدم ابنه أبا علي من الصغانيان، وبعثه أميراً على خراسان. واستدعى أباه أبا بكر فلقي ابنه أبا عليّ على ثلاث مراحل من نيسابور فوصاه، وحمله حملاً من سياسته. وسار الى بخارى، ودخل ابنه أبو علي نيسابور من السنة فأقام بها أياماً. ثم سار في محرم سنة ثمان وعشرين الى جرجان وبها ماكان بن كالي مستنقضاً على السعيد، وقد غوّروا المياه في طريقه فسلك اليهم غمرة حتى نزل على فرسخ من جرجانه، وحاصرها وضيّق عليها، وقطع الميرة عنها حتى جهدهم الحصار. وبعث ماكان بن كالي الى وشمكير وهو بالريّ فأمدّه بقائد من قواده، فلما وصل الى جرجان شرع

في الصلح بينهما لينجو فيه ماكان فتمّ ذلك ، وهرب ماكان الى طَبَرِسْتان واستولى أبو علي على جرجان سنة ثلاث وعشرين واستخلف عليها ابراهيم بن سيجور الدواني .

استيلاء أبي علي على الري وقتل ماكان بن كالي

ولما ملك أبو علي جرجان أصلح أمورها. ثم استخلف عليها ابراهيم بن سيجور ، وسار الى الري في ربيع سنة ثمان وعشرين ، وبها وشمكير بن زياد أخو مرداويج قد تغلب عليها من بعد أخيه. وكان عماد الدولة وركن الدولة ابنا بُوَيْه يكاتبان أبا علي صاحب خراسان، ويستحثّانه لقصد الريّ بأنّ أبا عليّ لا يقيم بها لسعة ولايته فتصفو لهما . فلما سار أبو علي لذلك بعث وشمكير الى ماكان بن كالي يستنجده فسار اليه من طبرستان، وسار أبو علي وجاءه مدد ركن الدولة بن بويه ، والتقوا بنواحي الريّ فانهزم وشمكير وماكان . ثم ثبت ماكان ، ووقف مستميتاً فأصابه سهم فقتله . وهرب وشمكير الى طبرستان فأقام بها ، واستولى أبو علي على الريّ سنة تسع وعشرين ، وأنفذ رأس ماكان والاسرى معه الى بخارى فأقاموا حتى دخل وشمكير في طاعة بني سامان. وسار الى خراسان سنة ثلاثين واستوهبهم الاسرى فأطلقوا له ، وبقي الرأس ببخارى ولم يحمل الى بغداد .

استيلاء أبي علي على بلد الجبل

ولما ملك أبو علي بن محتاج صاحب خراسان بلد الري والجبل من يد وشمكير، وأقام بها دعوة السعيد نصر بعث العساكر الى بلد الجبل ففتحها، واستولى على زِنْجان وأبهر وقَزوين وقُمّ وكَرْخ وهَمَذان ونَهاوَنْد والدِّيْنَوَر الى حدود حُلوان، ورتّب فيها العمال وجبى الاموال. وكان الحسن بن الفَيْرَزان بسارِيَة وهو ابن عم ماكان بن كالي، وكان وشمكير يطمع في طاعته له وهو يتمنع، فقصده وشمكير وحاصره بسارية وملكها عليه. واستنجد الحسن أبا عليّ بن محتاج فسار معه لحصار وشمكير بسارية سنة ثلاثين، وضيق عليه حتى سأل الموادعة فصالحه أبو علي على طاعة السعيد نصر، وأخذ رهنه، ورحل عنه الى جرجان سنة احدى وثلاثين. ثم بلغه موت السعيد فعاد أبو علي الى خراسان فملكها، وراسله الحسن بن الفيرزان يستميله، وردّ عليه ابنه سلار الرهينة ليستعين به على الخُراسانيّة فوعده وأطمعه. ولما ملك وشمكير الريّ طمع فيه بنو بويه لانه كان قد اختل أمره بحادثته مع أبي عليّ فسار الحسن بن الفيرزان الى الريّ، وقاتل وشمكير فهزمه، واستأمن اليه الكثير من جنده. وسار وشمكير الى الريّ فاعترضه الحسن بن الفيرزان من جرجان وهزمه الى خراسان، وراسل الحسن ركن الدولة، وتزوّج ابنته واتصل ما بينهما.

وفاة السعيد نصر وولاية ابنه نوح

ثم أصاب السعيد نصراً صاحب خراسان وما وراء النهر مرض السلّ فاعتل ثلاثة عشر شهراً ، ومات في شعبان سنة احدى وثلاثين لثلاثين سنة من ولايته. وكان يؤثر عنه الكرم والحلم ، وأخلص في مرضه التوبة ، الى أن توفي . ولما مات ولي مكانه ابنه نوح ، وكان يؤثر الكرم والحلم عنه ، وبايعه الناس ، ولقّب الحميد . وقام بتدبير ملكه أبو الفضل أحمد بن حَويّه وهو من أكابر أصحاب أبيه، كان أبوه السعيد ولى ابنه اسمعيل بخارى في كفالة أبي الفضل وولايته فأساء السيرة مع نوح ، وحقد له ذلك. وتوفي اسمعيل في حياة أبيه ، وكان يؤثر أبا الفضل فحذره من ابنه نوح . فلما ولي نوح سار أبو الفضل من بخارى وعبر جيحون الى آمد . وكان بينه وبين أبي علي بن محتاج صهر فبعث اليه يخبره بقدومه فنهاه عن القدوم عليه .

ثم كتب له نوح بالامان ، وولاه سمرقند وكان [1] على الحاكم صاحب الدولة ولا يلتفت اليه، والآخر يحقد عليه ويعرض عنه . ثم انتقض عبد الله بن اشكام بخوارزم على الامير نوح

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٦ ص ٢٩٣ : وكان أبو الفضل معرضاً عن محمد بن أحمد الحاكم ولا يلتفت إليه، ويسميه الخياط فأضمر الحاكم بغضه والإعراض عنه .

فسار من بخارى الى مرو سنة اثنتين وثلاثين، وبعث اليه جيشاً مع ابراهيم بن فارس فمات في الطريق . واستجار ابن اشكام بملك الترك . وكان ابنه محبوساً ببخاري فبعث اليه نوح باطلاق ابنه على أن يقبض على ابن اشكام ، وأجابه ملك الترك لذلك . ولما علم بذلك ابن اشكام عاد الى طاعة نوح وعفا عنه وأكرمه .

استيلاء أبي علي على الري ودخول جرجان في طاعة نوح

ثم انّ الامير نوحاً سار الى مرو ، وأمر أبا علي بن محتاج أن يسير بعساكر خراسان الى الري وينتزعها من يد رُكن الدولة بن بُويَه فسار لذلك ، ولقي في طريقه وشمكير وافداً على الامير نوح فبعثه اليه . وسار أبو علي الى بَسطـام فاضطرب جنوده ، وعاد عنه منصور بن قراتكين من أكابر أصحاب نوح فقصدوا جَرْجـان ، وصَدّهم الحسن بن الفيرزان فانصرفوا الى نيسابور . وسار الى الامير نوح بمرو فأعاده وأمدّه بالعساكر . وسار من نيسابور في منتصف ثلاث وثلاثين . وعلم ركن الدولة بكثرة جموعه فخرج من الريّ واستولى أبو علي عليها ، وعلى سائر أعمال الجبال . وأنفذ نوّابه الى الاعمال ، وذلك في رمضان من سنتـه .

ثم سار الامير نوح من مرو الى نيسابور ، وأقـام بهـا ،

ووضع[١] جماعة من الغوغاء والعامّة يستغيثون من أبي علي ، ويشكون سوء السيرة منه ومن نوابه فولّى على نيسابور ابراهيم ابن سَيْجور ، وعاد عنها ، وقصد أن يقيم أبو علي بالري لحسن دفاعه عنها ، وينقطع طمعه عن خراسان فاستوحش أبو علي للعزل وشقّ عليه . وبعث أخاه أبا العبّاس الفضل بن محمد الى كور الجبال ، وولاه همذان ، وخلافة العساكر فقصد الفضل نهاوَنْد والدِّيْنَوَر ، واستولى عليها . واستأمن اليه رؤساء الاكراد بتلك النواحي ، واعطوا رهنهم على الطاعة . وكان وشمكير لما وفد على الامير نوح بمرو كما قدّمناه استمدّه على جرجان فأمدّه بعسكر ، وبعث الى أبي علي بمساعدته فلقي أبا علي منصرفه[٢] في المرّة الاولى من الريّ الى نيسابور ، فبعث معه جميع من بقي من العسكر . وسار وشمكير الى جرجان ، وقاتل الحسن بن الفيرزان فهزمه ، واستولى على جرجان بدعوة نوح بن السعيد ، وذلك في صفر سنة ثلاث وثلاثين .

انتقاض أبي علي وولاية منصور بن قراتكين على خراسان

قد تقدّم لنا أنّ الامير نوحاً عزل أبا علي بن محتاج عن خُراسان ، وكان من قبلها عزله عن ديوان الجند وهو لنظره ،

(١) كذا . والسياق يقتضي : ورأى .
(٢) كذا . وربما كانت : منصرفاً .

وبعث من يستعرض الجند فمحا وأثبت وزاد في العطاء ونقص فاستوحش لذلك كله ، واستوحش الجند من التعرّض اليهم بالاسقاط ، ولارزاقهم بالنقصان . وخلص بعضهم الى بعض بالشكوى ، واتفقوا في سيرهم الى الريّ وهم بهمذان على استقدام ابراهيم بن أحمد أخي السعيد الذي كان قد هرب امامه الى الموصل كما تقدم . وظهر أبو علي على شأنهم فنكر عليهم فتهددوه ، وكاتبوا ابراهيم واستدعوه ، وجاء اليهم بهمذان في رمضان سنة أربع وثلاثين . وكاتبه أبو علي ، وكتب أخوه الفضل سراً الى الامير نوح بذلك . ونمي خبر كتابه الى أخيه أبي علي فقبض عليه وعلى متولي الديوان . وسار الى نيسابور ، واستخلف على الري والجبل ، وبلغ الخبر الى الامير نوح فنهض الى مرو ، واضطرب الناس عليه ، وشكوا من محمد بن أحمد الحاكم مدبّر ملكه ، ورأوا أنه الذي أوحش أبا عليّ وأفسد الدولة فنقموا ذلك عليه ، واعتلوا عليه فدفع اليهم الحاكم فقتلوه منتصف خمس وثلاثين .

ووصل أبو علي الى نيسابور وبها ابراهيم بن سيجور ومنصور ابن قراتكين وغيرهما من القواد فاستمالهم ، وساروا معه ودخلها في محرم سنة ست وثلاثين . ثم ارتاب بمنصور بن قراتكين فحبسه ، وسار من نيسابور ، ومعه العم ابراهيم الى مرو ، وهرب أخوه الفضل في طريقه من محبسه ، ولحق بقهستان . ولما قاربوا مرو

اضطرب عسكر الامير نوح ، وجاء اليهم أكثرهم . واستولى عليها وعلى طخارستان. وبعث نوح العساكر من بخارى مع الفضل أبي علي الى الصغانيان فأقاموا بها ، ودسّ اليهم أبو علي فقبضوا على الفضل وبعثوا به الى بخارى . وعاد أبو علي من طخارستان الى الصغانيان فأقاموا بها في ربيع سنة سبع وثلاثين ، وقاتل العساكر فغلبوه ، ورجع الى الصغانيان . ثم تجاوزها وأقام قريباً منها ودخلتها العساكر فخربوا قصوره ، ومساكنه ، وخرجوا في اتباعه فرجع وأخذ عليهم المسالك فضاقت أحوالهم، وجنحوا الى الصلح معه ، على أن يبعث بابنه أبي المظفر عبد الله الى الامير نوح رهينة فانعقد ذلك منتصف سنة سبع وثلاثين. وبعث بابنه الى بخارى فأمر نوح بلقائه ، وخلع عليه وخلطه بندمائه ، وسكنت الفتنة .

قال ابن الاثير : هذا الذي ذكره مؤرخو خراسان في هذه القصة ، وأمّا أهل العراق فقالوا انّ أبا علي لما سار نحو الري استمدّ ركن الدولة بن بويه أخاه عماد الدولة فكتب يشير عليه بالخروج عن الريّ ، وملكها أبو علي . وكتب عماد الدولة الى نوح سراً يبذل له في الريّ في كل سنة مائة ألف دينار وزيادة على ضمان أبي علي ، ويعجل له ضمان سنة وسجله عليه . ثم دس عماد الدولة الى نوح في القبض على أبي علي وخوّفه منه فأجاب الامير نوح الى ذلك ، وبعث تقرير الضمان ، وأخذ المال . ودسّ ركن

الدولة الى أبي علي بهمذان ، ورجع به على خراسان. وعاد ركن الدولة الى الريّ ، واضطربت خراسان ، ومنع عماد الدولة مال الضمان خوفاً عليه في طريقه من أبي علي. وبعث الى أبي علي يحرضه على اللقاء ، ويعده بالمدد. وفسد ما بينه وبين ابراهيم وانقبض عنه، وانّ الامير نوحاً سار الى بخارى عند مفارقتها أبي علي. وحارب ابراهيم العم ففارقه القواد الى الامير نوح فأخذ أسيراً ، وسمله الامير نوح وجماعة من أهل بيته ، والله أعلم.

انتقاض ابن عبد الرزاق بخراسان

كان محمد بن عبد الرزاق عاملًا بطوس وأعمالها ، وكان أبو علي استخلفه بنيسابور عندما زحف منها الى الامير نوح ، فلما راجع الامير نوح ملكه انتقض ابن عبد الرزاق بخراسان. وولّى الامير نوح على خراسان محمد بن عبد الرزاق[1] ، واتفق وصول وشمكير منهزماً من جرجان أمام الحسن بن فيرزان. واستمدّ الامير نوحاً فأخرج معه منصوراً في العساكر ، وأمرهما بمعاجلة ابن عبد الرزاق فخرج سنة ست وثلاثين الى استراباذ ومنصور في

(١) العبارة مشوشة كثيراً. ويظهر أن ابن عبد الرزاق انتقض على أبي علي لأن الأمير هو الذي ولاه. ثم يأمر الأمير نوح بعد ذلك بمعاجلة ابن عبد الرزاق ثم نرى منصوراً الذي بعثه الأمير نوح مدداً لوشمكير يصفي قضية محمد بن الرزاق ويحمل أمه إلى بخارى. وهكذا تتداخل الحوادث حتى تضيع. ويظهر أن هنا عبارة سقطت أثناء النسخ وتصويب العبارة: وولى الأمير نوح على جيش خراسان منصور بن قراتكين لمحاربة محمد بن عبد الرزاق الذي انتفض.

اتباعه فلحق بجرجان، واستأمن الى ركن الدولة بن بويه، ومضى الى الريّ . وسار منصور بن قراتكين الى طوس، وحاصر رافع الى قلعة اخرى فحاصره منصور بها حتى استأمن اليه، وجمع ما معه فأنّبه أصحابه . وخرج معهم فافترقوا في الجبال، واحتوى منصور على ما وجد بالحصن، وحمل عيال محمد بن عبد الرزاق وأمه الى بخارى فاعتقلوا بها . ولما وصل محمد بن عبد الرزاق الى ركن الدولة بن بويه أفاض عليه العطاء، وسرّحه الى محاربة المَرْزُبان بأَذْرَبيجان كما يأتي .

استيلاء ركن الدولة بن بويه على طبرستان وجرجان ومسير العساكر إلى جرجان والصلح مع الحسن بن الفيرزان

ولما وقع من الاضطراب ما وقع بخراسان اجتمع ركن الدولة بن بويه والحسن بن الفيرزان، وقصدوا بلاد وشمكير فهزموه، وملك ركن الدولة طَبَرِسْتان. وسار الى جرجان فملكها، وأقام بها الحسن بن الفيرزان . واستأمن قواد وشمكير اليهم فأمنوهم. وسار وشمكير الى خراسان مستنجداً بصاحب خراسان فسار معه منصور بن قراتكين في عساكر خراسان الى جرجان، وبها الحسن بن الفيرزان . واسترهن ابنه ثم أبلغه عن الأمير نوح ما أقلقه فأعاد على الحسن ابنه، وعاد الى نيسابور وأقام وشمكير بارزن .

مسير ابن قراتكين الى الري وعوده اليه

ثم سار منصور بن قراتكين سنة تسع وثمانين الى الريّ بأمر الامير نوح لغيبة ركن الدولة بن بويه في نواحي فارس، فوصل الى الريّ، واستولى عليها وعلى الجبل الى قرميسين فكبس الذين بها من العسكر وهم غازون، وأسروا مقدمهم محكماً وحبس ببغداد ورجع الباقون الى همذان فسار سبكتكين نحوهم، وجاء ركن الدولة اثر الانهزام، وشاور وزيره أبا الفضل بن العميد فأشار عليه بالثبات. ثم أجفل عسكر خراسان الى الريّ لانقطاع الميرة عنهم، وكان ذلك سواء بين الفريقين إلاّ أنّ الديلم كانوا أقرب الى البداوة فكانوا أصبر على الجوع والشظف فركب ركن الدولة، واحتوى على ما خلّفه عسكر خراسان.

وفاة ابن قراتكين ورجوع أبي علي بن محتاج الى ولاية خراسان

ثم توفي منصور بن قراتكين صاحب خراسان بالريّ بعد عوده من اصفهان في ربيع سنة أربعين، وحملت جنازته الى اسفيجاب فدفن بها عند والده فولى الامير نوح على خراسان أبا علي بن محتاج، وأعاده الى نيسابور. وقد كان منصور يستقيل من ولاية خراسان لما يلقى بها من جندها، ويستعفي نوحاً المرّة بعد المرّة. وكان نوح يعد أبا علي بعوده الى ولايته. فلما توفي

منصور بعث اليه بالخلع واللواء ، وأمره بالمسير ، وأقطعه الريّ، وأمره بالمسير اليها فسار عن الصغانيان في رمضان سنة أربعين ، واستخلف مكانه ابنه أبا منصور ، وانتهى الى مرو فأقام الى أن أصلح أمر خوارزم وكانت شاغرة . ثم سار الى نيسابور فأقام بها .

ولما كانت سنة اثنتين وأربعين كتب وشمكير الى الامير نوح أن يامر أبا علي بن محتاج بالمسير معه في عساكر خراسان فساروا في ربيع من السنة، وخام ركن الدولة عن لقائهم فامتنع بطزل[1]، وأقام عليه أبو علي عدّة شهور يقاتله حتى سئم العسكر ، وعجفت دوابهم فمال الى الصلح ، وسعى بينهما فيه محمد بن عبد الرزاق المقدّم ذكره فتصالحا على مائتي ألف دينار ضريبة يعطيها ركن الدولة في كل سنة ، ورجع أبو علي الى خراسان. وكتب وشمكير الى الامير نوح بأنّ أبا علي لم ينصح في الحرب ، وانّ بينه وبين ركن الدولة مداخلة . وسار ركن الدولة بعد انصراف أبي علي نحو وشمكير فانهزم الى أسْفَراين ، واستولى ركن الدولة على طَبَرِسْتان .

(١) طزل اسم حصن من حصون فارس.

عزل الأمير أبي علي عن خراسان ومسيره الى ركن الدولة وولاية بكر بن مالك مكانه

ولما تمكنت سعاية وشمكير من أبي علي عند الامير نوح كتب اليه بالعزل عن خراسان سنة اثنتين وأربعين ، وكتب الى القواد بمثل ذلك . واستعمل على الجيوش مكانه أبا سعيد بكر ابن مالك الفرغاني ، وبعث أبو علي يعتذر فلم يقبل . وأرسل جماعة من أعيان نيسابور يسألون ابقاءه فلم يجيبوا فانتقض أبو علي ، وخطب لنفسه بنيسابور . وكتب نوح الى وشمكير والحسن ابن الفيرزان بأن يتفقا ويتعاضدا على أولياء ركن الدولة حيث كانوا ففعلا ذلك ، فارتاب أبو علي بأمره ، ولم يمكنه العود الى الصغانيان ، ولا المقام بخراسان فصرف وجهه الى ركن الدولة ، واستأذنه في المسير إليه فأذن . وسار أبو علي الى الري سنة ثلاث وأربعين فأكرمه ركن الدولة ، وأنزله معه ، واستولى بكر على خراسان .

وفاة الأمير نوح وولاية ابنه عبد الملك

ثم توفي الامير نوح بن نصر ، ولقبه الحميد ، في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة لاثنتي عشرة سنة من ولايته ، وولي بعده ابنه عبد الملك . وقام بأمره بكر بن مالك الفرغاني فلما

قرر أمر دولتـه ، وثبت ملكه أمر بكراً بالمسير الى خراسان فكان من شأنه مع أبي علي ما قدّمناه .

مسير العساكر من خراسان الى الري وأصفهان

ثم زحفت عساكر خراسان الى الري سنة أربـع وأربعين ، وبها ركن الدولة بن بويه قدم اليها من جرجان ، واستمدّ أخاه. معز الدولة ببغـداد فأمدّه بالحاجب سبكتكين . وبعث بكر عسكراً آخر من خراسان مع محمد بن ماكان على طريق المفازة الى اصفهان . وكان بأصفهان أبو منصور علي بن بويه بن ركن الدولة فخرج عنها بحرم أبيه وخزائنه ، وانتهى الى خالنجـان . ودخل محمد بن ماكان اصفهان ، وخرج في اتباع بن بويه ، وأدرك الخزائن فأخذها وسار فأدركه . ووافق وصول أبي الفضـل بن العميد وزير ركن الدولة في تلك الساعة فقاتله ابن ماكان وهزم أصحابه ، وثبت ابن العميد ، وشغل عسكر ابن ماكان بالنهب فاجتمع على ابن العميد لمة من العسكر فاستمات ، وحمـل على عسكر ابن ماكان فهزمهم وأسر ابن ماكان . وسار ابن العميد الى اصفهان فملكها ، وأعاد حرم ركن الدولة وأولاده الى حيث كانوا من اصفهان . ثم بعث ركن الدولة الى بكر بن مـالك صاحب الجيوش بخراسان ، وقرّر معه الصلح على مال يحمله ركن الدولة اليه على الريّ وبلد الجبل فتقرّر ذلك بينهما ، وبعث اليه

من عند أخيه ببغداد بالخلع واللواء بولاية خراسان فوصلت اليه في ذي القعدة سنة أربع وأربعين.

وفاة عبد الملك بن نوح صاحب ما وراء النهر وولاية أخيه منصور

ثم توفي الامير عبد الملك لاحدى عشرة خلت من شوّال سنة خمس وثلاثين وثلثمائة لسبع سنين من ولايته. وولي بعده أخوه أبو الحرث منصور بن نوح، واستولى ركن الدولة لاوّل أيامه على طَبَرِسْتان وجَرْجان فملكهما وسار وشمكير عنها فدخل بلاد الجبل.

مسير العساكر من خراسان الى الري ووفاة وشمكير

قد ذكرنا من قبل انّ وشمكير كان يقدح في عمال بني سامان بأنهم لا ينصحون لهم، ويداخلون عدوّهم من الديلم. ووقد أبو علي بن الياس صاحب كرمان على الامير أبي الحرث منصور مستجيشاً به على بني بُويْه فحرّضه على قصد الري، وحذره من الاستمالة في ذلك الى عماله كما أخبره وشمكير، وبعث الى الحسن بن الفَيْرَزان بالنفير مع عساكره. ثم أمر صاحب جيوش خُراسان أبا الحسن بن محمد بن سيجور[1] الدواني بالمسير الى الريّ

(١) اسمه في الكامل: سيجور.

وأوصاه بالرجوع الى رأي وشمكير ، وبلغ الخبر الى ركن الدولة فاضطرب وبعث بأهله وولده الى اصفهان . واستمدّ ابنه عضد الدولة بفارس وبختيار ابن أخيه عزّ الدولة ببغداد ، فبادر عضد الدولة الى امداده وبعث العساكر على طريق خراسان يريد قصدها لخلوّها من العسكر ، فاجحفت عساكر خراسان ، وانتهوا الى الدامغان فأقاموا ، وبرز ركن الدولة نحوهم في عساكره من الريّ . وبينما هم في ذلك ركب وشمكير يوماً ليتصيد فاعترضه خنزير فاجفل فرسه ، وسقط الى الارض وانهشم ومات ، وذلك في المحرم سنة سبع وخمسين ، وانتقض ما كانوا فيه . وقام يسنون بن وشمكير مقام أبيه ، وراسل ركن الدولة وصالحه فامدّه ركن الدولة بالمال والرجال .

خبر ابن الياس بكرمان

كان أبو علي بن الياس قد ملك كرمان بدعوة بني سامان ، واستبدّ بها وأصابه فالج وأزمن به . وكان له ثلاثة من الولد إلْيَسَع وإلْياس وسُلَيْمان : فعهد الى اليسع وبعده الياس ، وأمر سليمان بالعود الى أرضهم ببلاد الصغد ، يقيم بها فيما لهم هنالك من الاموال لعداوة كانت بين سليمان واليسع فخرج سليمان لذلك ، واستولى على السِّيْرَجان فانفذ اليه أبوه أبو علي ابنه الآخر في عسكر ، وأمره باجلائه عن البلاد ، ولا يمكنه من قصد الصُّغْد

إن طلبها فسار وحاصره. ولما ضاق الحصار على سليمان جمع أمواله، ولحق بخراسان. وملك اليسع السيرجان، وسار الى خراسان. ثم لحق أبو علي ببخارى ومعه ابنه سليمان فأكرمه الامير أبو الحرث، وقرّبه. وأغزاه أبو علي بالريّ، وتجهيز العساكر اليه كما ذكرناه. وأقام عنده إلى أن توفي سنة ست وخمسين كما نذكر في أخباره. ولحق اليسع ببخارى فأقام بها. ثم سعى سليمان عند الامير أبي الحرث منصور في المسير الى كرمان وأطمعه في ملكها، وانّ أهلها في طاعته فبعث معه عسكراً. ولما وصل أطاعه أهل نواحيها من القُفْص والبولص وجميع المنتقضين على عضد الدولة، واستفحل أمره فسار اليه كورتكين عامل عضد الدولة بكرمان وحاربه، ونزعت عساكره عنه فانهزم وقتل معه ابنا أخيه اليسع، وهما بكر والحسين وكثير من القواد وصارت كرمان للديلم.

انعقاد الصلح بين منصور بن نوح وبين بني بويه

ثم انعقد الصلح بين الامير أبي الحرث منصور بن نوح صاحب خراسان وما وراء النهر، وبين ركن الدولة، وزوّجه ابنته، وحمل اليه من الهدايا والتحف ما لم يحمل مثله. وكتب بينهم كتاب الصلح، شهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق. وتم ذلك على يد أبي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور صاحب الجيوش بخراسان من جهة الامير أبي الحرث في سنة احدى وستين.

وفاة منصور بن نوح وولاية ابنه نوح

ثم توفي الامير أبو الحرث منصور ببخارى منتصف سنة ست وستين وثلثمائة ، وولي بعده ابنه أبو القاسم نوح صبياً لم يبلغ الحلم فاستوزر أبا الحسن العتبي ، وجعل على حجابة بابه مولاه أبا العباس قاسماً ، وكان من موالي أبي الحسن العتبي فاهداه الى الامير أبي صالح وشركهما في أمر الدولة أبو الحسن فائق ، وأقرّ على خراسان أبا الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور ، واطردت أمور الدولة على استقامتها .

عزل ابن سيجور عن خراسان وولاية أبي العباس تاش

قد تقدّم لنا شأن خلف بن أحمد الليثي صاحب سِجِسْتان ، وانتصاره بالامير منصور بن فرج على قريبه طاهر بن خَلَف بن أحمد بن الحسين المنتقض عليه لسنة أربع وخمسين ، وأنه مدّه بالعسكر وردّه الى ملكه . ثم انتقض طاهر ثانياً بعد انصراف العسكر عن خلف ، وبعث مستجيشاً فأمدّه ثانياً . وقد هلك طاهر وولى ابنه الحسين فحاصره خلف ، وأرهقه الحصار فنزل لخلف عن سجستان ولحق بالسعيد نوح بن منصور . وأقام خلف دعوة نوح في سجستان ، وحمل المال متقرّراً عليه كل سنة . ثم قصر في الطاعة والخدمة ، وصار يتلقى الأوامر بالاعراض والاهمال فرمى

بالحسين بن طاهر في جيوش خراسان، وحاصره بقلعة أرك، وطال انحصاره. وأمده العتبي الوزير بجماعة القواد كالحسن بن مالك وبكتاش فأقاموا عليه سبع سنين، حتى فنيت الرجال والاموال.

وكان ابن سيجور بخراسان، وكانت أيامه قد طالت بها فلا يطيع السلطان الا فيما يراه. وكان خلف بن احمد صاحبه فلم يغن عليه، وعوتب في ذلك، وعزل عن خراسان بابي العباس تاش فكتب يعتذر، ورحل الى قهستان ينتظر جواب كتابه فجاءه كتاب الامير نوح بالمسير الى سجستان فسار، واستنزل خلفاً من معقله للحسين بن طاهر. وسار خلف الى حصن الطاق، وداخله ابن سيجور، وأقام خطبة لرضا نوح به وانصرف. ولما ولي الامير نوح الحاجب أبا العباس تاش قيادة خراسان، سار اليها سنة احدى وسبعين فلقي هنالك فخر الدولة ابن ركن الدولة، وشمس المعالي قابوس بن وشمكير ناجين من جرجان. وكان من خبرهما انّ عضد الدولة لما استولى على بلاد أخيه فخر الدولة وهزمه، ولحق فخر الدولة بقابوس، وبعث عضد الدولة في طلبه ترغيباً وترهيباً فأجاره قابوس، وبعث عضد الدولة في طلبه أخاه مؤيد الدولة في العساكر اليهم، ولقيهم قابوس فهزموه فسار الى بعض قلاعه، واحتمل منها ذخائره ولحق بنيسابور. ولحق به فخر الدولة ناجياً من المعركة فأكرمهم أبو العباس تاش، وأنزلهم

خير منزل وأقاموا عنده . واستولى مؤيد الدولة على جرجان وطَبَرِسْتان .

مسير أبي العباس في عساكر خراسان الى جرجان ثم مسيره الى بخارى

ولما وصل قابوس بن وشمكير وفخر الدولة بن ركن الدولة الى أبي العباس تاش مستجيرين بالامير نوح على استرجاع جرجان وطبرستان من يد مؤيد الدولة ، كتب بذلك الى الامير نوح ببخارى فأمره بالمسير معهما، واعادتها الى ملكهما فسار معهما لذلك في العساكر ، ونازلوا جرجان شهرين ، حتى ضاق عليهم الحصار . وداخل مؤيد الدولة فائقاً من قواد خراسان ، ورغّبه فوعده بالانهزام. ثم خرج مؤيد الدولة من جرجان في عساكره مستميتاً فهزمهم ، ورجعوا الى نيسابور ، وكتبوا الى بخارى بالخبر فأجابهم الامير نوح بالوعد ، واستنفر العساكر من جميع الجهات الى نيسابور للمسير مع قابوس وفخر الدولة فاجتمعوا هنالك . ثم جاء الخبر بقتل الوزير أبي الحسن العتبي ، وكان زمام الدولة بيده فيقال : إنّ أبا الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور وضع عليه من قتله ، وذلك سنة اثنتين وسبعين . ولما قتل كتب الامير نوح ابن منصور الى الحاجب أبي العباس تاش يستدعيه لتدبير دولته ببخارى فسار عن نيسابور اليها ، وقتل من ظفر به من قتلة أبي الحسن .

رد أبي العباس الى خراسان ثم عزله وولاية ابن سيجور

ولما سار أبو العباس الى بخارى وكان أبو الحسن بن سيجور من حين سار الى سجستان كما مرّ مقيماً بها . ثم رجع آخرا الى قهستان. فلما سار أبو العباس تاش الى بخارى وكتب ابن سيجور الى فائق يطلب مظاهرته على ملك خراسان اجابه الى ذلك ، واجتمعا بنيسابور، واستوليا على خراسان، وسار اليهما أبو العباس تاش في العساكر . ثم تراسلوا كلهم واتفقوا على أن يكون بنيسابور وقيادة العساكر لابي العباس تاش، وبلخ لفائق، وهراة لابي الحسن بن سيجور ، وانصرف كل واحد الى ولايته. وكان فخر الدولة بن بُوَيْه خلال ذلك معهما بنيسابور ينتظر النجدة الى أن هلك أخوه مؤيد الدولة بجرجان في شعبان سنة ثلاث وسبعين . واستدعاه أهل دولته للملك فكاتبه الصاحب ابن عباد وغيره فسار اليهم ، واستولى على ملك أخيه بجرجان وطبرستان . وكان الامير نوح لما سار أبو العباس من بخارى الى نيسابور استوزر مكانه عبد الله بن عزيز ، وكانت بينه وبين أبي الحسن العتبي منافسة وعداوة . ثم لما ولي الوزارة تقدّم على عزل أبي العباس عن خراسان وكتب الى أبي الحسن محمد بن ابراهيم بخراسان بولاية نيسابور .

انتقاض أبي العباس وخروجه مع ابن سيجور ومهلكه

ولما عزل أبو العباس تاش عن خراسان كتب الى الامير نوح يستعطفه فلم يجبه فانتقض ، وكتب الى فخر الدولة يستمدّه على ابن سيجور فأمدّه بالاموال والعسكر مع أبي محمد عبد الله بن عبد الرزاق ، وسار الى نيسابور في عساكره وعساكر الديلم ، وتحصن ابن سيجور بنيسابور. وجاءه[1] مدد آخر من فخر الدولة ، وبرز ابن سيجور للقائهم فهزموه ، وغنموا منه . واستولى أبو العباس على نيسابور ، وكتب الى الامير نوح يستعطفه ولجّ ابن عزيز في عزله . ثم ثاب لابن سيجور رأيه ، وعادت اليه قوّته ، وجاءه الامراء من بخارى مدداً. وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس ابن عضد الدولة بفارس يستمدّه فأمده بألفي فارس مراغمة لعمه فخر الدولة . فلما كثف جمعه زحف الى أبي العباس وقاتله فهزمه، ولحق بفخر الدولة ابن بويه بجرجان فأكرمه وعظمه ، وترك له جرجان ودهستان واستراباذ اقطاعاً . وسار عنها الى الري ، وبعث اليه من الاموال والآلات ما يخرج عن الحدّ . وأقام أبو العباس بجرجان. ثم جمع العساكر وسار الى خراسان فلم يقدر على الوصول اليها ، وعاد الى جرجان وأقام بها ثلاث سنين ، ومات سنة سبع

(١) الضمير عائد في الظاهر إلى ابن سيجور. وسير الحوادث يقتضي أن يعود إلى تاش.

وسبعين . وقام أهل جرجان بأصحابه لما كانوا يحقدون عليهم من سوء السيرة فقاتلهم أصحابه، واستباحوهم حتى استأمنوا وكفوا عنهم. ثم افترق أصحابه وسار أكثرهم وهم كبار الخواص والغلمان الى خراسان، وقد كان صاحبها أبو الحسن سيجور مات فجأة، وقام بأمرها مكانه ابنه أبو علي، وأطاعه اخوته وكبيرهم أبو القاسم ونازعه فائق الولاية فلحق به أصحاب أبي العباس، واستكثر بهم لشأنه .

ولاية أبي علي بن سيجور على خراسان

قد تقدّم اتفاق أبي الحسن بن سيجور وأبي العباس تاش وفائق على أن تكون نيسابور وقيادة خراسان لتاش، وبَلْخ لفائق، وهَراة لأبي علي بن أبي الحسن سيجور . ثم عزل تاش بسعاية الوزير ابن عزيز، وولي أبو الحسن، وكانت بينهما الحرب التي مرّ ذكرها. وانهزم تاش الى جرجان فاستقرّ أبو علي بهراة وفائق ببلخ، وكان ابن عزيز يستحث الحسن لقصد جرجان . ثم عزل ابن عزيز ونفي الى خوارِزْم، وقام مكانه أبو علي محمد بن عيسى الدامغاني. ثم عجز لما نزل بالدولة من قلة الخراج وكثرة المصاريف فصرف عن الوزارة بابي نصر بن أحمد بن محمد بن أبي يزيد، ثم عزل وأعيد أبو علي الدامغاني . وهلك أبو الحسن بن سيجور خلال ذلك، وقام ابنه أبو علي مقامه . وكاتب الامير نوح بن

منصور يطلب أن يعقد له الولاية كما كانت لابيه فأجيب الى ذلك ظاهراً وكتب لفائق بولاية خراسان، وبعث اليه بالخلع والالوية . وكان أبو علي يظن أنها له فلما بدا له من ذلك ما لم يحتسب، جمع عسكره وأغذّ السير، وأوقع بفائق ما بين هراة وبوشنج فانهزم فائق الى مرو الروذ، وملك أبو علي مرو، ووصله عهد الامير نوح بقيادة الجيوش وولاية نيسابور وهراة وقهستان، ولقبه عماد الدولة، ثم رقاه الامير نوح، واستولى على سائر خراسان. واستبدّ بها على السلطان حتى طلبه نوح في بعض أعمالها لنفقته فمنعه، وأقام مظهراً لطاعته، وخشي غائلة السلطان من طلبة نوح فكاتب بقراخان ملك الترك ببلاد كاشغر وشاغور يغريه ويستحثه لملك بخارى وما وراء النهر على أن يستقر هو بخراسان .

خبر فائق

وأقام بعد انهزامه أمام أبي علي بمرو الروذ حتى اندملت جراحه، واجتمع اليه أصحابه. وسار الى بخارى قبل أن يستأذن فارتاب به الامير نوح فسرح اليه العساكر مع أخي الحاجب وبكثرزون فانهزم وعبر النهر الى بلخ، فأقام بها أياماً . وسار الى ترمذ، وكاتب بقراخان يستحثه . وكتب الامير نوح الى والي الجوزجان أبي الحرث أحمد بن محمد الفيرقوني بقصد فائق

فقصده في جموعه ، وسرح فائق اليه بعض عسكره فهزمه وعاد الى بلخ . وكان طاهر بن الفضل قد ملك الصغانيان على أبي المظفر محمد بن أحمد ، وهو واحد خراسان فانقطع أبو المظفر الى فائق صريخاً فأمدّه ، وسار الى طاهر بعسكر فائق ؛ واقتتلوا فانهزم طاهر وقتل وصارت الصغانيان لفائق .

استيلاء الترك على بخارى

ولما خرج الامير نوح عن بخارى عبر النهر واستقر بآمل الشط ، وكاتب أبا علي بن سيجور يستحثه للنصرة وكاتب فائقاً أيضاً يستصرخه فلم يصرخه أحد منهما . وبلغه مسير بقراخان عن بخارى فأغذ السير اليها ، وعاود الجلوس على كرسي ملكه ، وتباشر الناس بقدومه . ثم بلغه مهلك بقراخان فتزايد سرورهم . ولما عاد الامير نوح الى بخارى ندم أبو علي على ما فرط فيه من نصرته ، وأجمع الاستظهار بفائق فأزاحوه عن ملكه وملكوها ، ولحق فائق بأبي علي بن سيجور وتظاهرا على الامير نوح ، وذلك سنة أربع وثمانين .

عزل أبي علي بن سيجور عن خراسان وولاية سبكتكين

ولما اجتمع أبو علي بن سيجور وفائق على منافرة الامير نوح وعصيانه ، كتب الامير نوح الى سبكتكين ، وكان أميراً

على غزنة ونواحيها يستقدمه لنصره منهما ، وانجاده عليهما وولاه خُراسان . وكان سبكتكين في شغل عن أمرهم بما هو فيه من الجهاد مع كفار الهند . فلما جاءه كتاب نوح ورسوله بادر اليه ، وتلقى أمره في ذلك ، وعاد الى غزنة فجمع العساكر . وبلغ الخبر أبا علي وفائقاً فبعثا الى فخر الدولة بن بويه يستنجدانه ، واستعانا في ذلك بوزيره الصاحب بن عبّاد فبعث اليهما مدداً من العساكر . ثم سار سبكتكين وابنه محمود نحو خراسان سنة أربع وثمانين . وسار الامير نوح واجتمعوا ولقوا أبا علي وفائقاً بنواحي هَراة ، وكان معهما دارا بن قابوس بن وشمكير فنزع الى الامير نوح ، وانهزم أصحاب أبي علي وفائق ، وفتك فيهم أصحاب سبكتكين ، واتبعوهم الى نيسابور فلحقا بجرجان ، وتلقاهما فخر الدولة بالهدايا والتحف والاموال ، وأنزلهما بجرجان . واستولى نوح على نيسابور ، واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ، ولقبه سيف الدولة ، ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة . وعاد نوح الى بخارى وترك سبكتكين بهراة ومحمود بنيسابور .

عود ابن سيجور الى خراسان

لما افترق نوح وسبكتكين طمع أبو علي وفائق في خراسان فسار عن جرجان الى نيسابور في ربيع سنة خمس وثمانين ، وبرز محمود للقائهما بظاهر نيسابور ، وأعجلوه عن وصول المدد من أبيه

سبكتكين . وكان في قلة ، وانهزم الى أبيه ، وغنموا سواده . وأقام أبو علي بنيسابور . وكان الامير نوح يستميله ويتلطف في العذر مما كان من سبكتكين فلم يجيباه الى ما طلب .

ظهور سبكتكين وابنه محمود على أبي علي وفائق ومقتل أبي علي

ولما دخل أبو علي نيسابور ، وانهزم عنها محمود جمع سبكتكين العساكر ، وسار اليه فالتقوا بطوس . وجاء محمود على أثره مدداً فانهزم هو وفائق الى أبيورد ، فاتبعهما سبكتكين بعد أن استخلف ابنه محموداً بنيسابور فلحقا بمرو ، ثم آمل الشط ، وكتبا الى الامير نوح يستعطفانه فشرط على أبي علي أن ينزل بالجرجانية ، ويفارق فائقاً ففعل . ونزل قريباً من خوارزم بالجرجانية فأكرمه أبو عبدالله خوارزم شاه ، وسكن اليه ، وبعث من ليلته من جاء به واعتقله وأعيان أصحابه . وبلغ الخبر الى مأمون بن محمد صاحب الجرجانية فاستعظم ذلك ، وسار بعساكره الى خوارزم شاه ، وافتتح مدينته وتسمى كاش عَنْوَةً وخلص أبا علي من محبسه ، وعاد الى الجرجانية. واستخلف بعض أصحابه على بلاد خوارزم. ولما عاد الى الجرجانية أخرج خوارزم شاه ، وقتله بين يدي أبي علي بن سيجور ، وكتب الى الامير نوح يشفع في أبي علي فشفعه . واستدعى أبا علي الى بخارى فسار اليها وأمر الامراء والعساكر بتلقيه ، فلما دخل عليه أمر بحبسه . وشفع سبكتكين فيه فهرب ولحق بفخر الدولة ،

وأقام عنده . وأمّا فائق فلما فارقه أبو علي كما شرط عليه الامير نوح، سار الى ايلك خان ملك الترك بكاشغر فأكرمه ، وكتب الى نوح يشفع فيه فقبل شفاعته ، وولاه عليها وأقام بها .

وفاة الأمير نوح وولاية ابنه منصور وولاية بكتزون على خراسان

ثم توفي الامير نوح بن منصور منتصف سبع وثمانين لاحدى وعشرين سنة من ملكه، وانتقض بموته ملك بني سامان ، وصار الى الانحلال . ولما توفي قام بالملك بعده ابنه أبو الحرث منصور ، وتابعه أهل الدولة واتفقوا على طاعته ، وقام بتدبير دولته بكتزون . واستوزر أبا طاهر محمد بن ابراهيم . وبلغ خبر وفاة نوح الى ايلك خان فطمع في ملكهم ، وسار الى سمرقند، وبعث من هنالك فائقاً والخاصة الى بخارى فاضطرب منصور ، وهرب عن بخارى ، وقطع النهر . ودخل فائق بخارى ، وأعلم الناس أنه انما جاء لخدمة الامير منصور فبعث مشايخ بخارى بذلك الى منصور ودخل . واستقدموه بعد أن أخذوا له مواثيق العهود من فائق فاطمأنّ ، وعاد الى بخارى ، وأقام فائق بتدبير أمره ، وتحكم في دولته، وأبعد بكتزون الى خراسان أميراً. وقد كان سبكتكين توفي في شعبان من هذه السنة ، ووقعت الفتنة بين ابنيه اسمعيل ومحمود فقدم بكتزون أيام فتنتهما واستولى على خراسان .

عود أبي القاسم بن سيجور الى خراسان وغيبته

قد ذكرنا مسير بكتُزون الى خراسان عند مفرّه أيام محمود ابن سبكتكين من خراسان، وأقام عند فخر الدولة، وعند أبيه مجد الدولة؛ واجتمع عنده أصحاب أبيه. وكتب اليه فائق من بخارى يغريه ببكتزون ويأمره بقصد خراسان، ويخرج بكتزون منها فسار عن جرجان الى نيسابور، وبعث جيشاً الى اسفراين فملكوها من يد أصحاب بكتزون. ثم تردّد السفراء بينهما، ووقع الصلح والصهر، وعاد بكتزون الى نيسابور.

انتقاض محمود بن سبكتكين وملكه نيسابور ثم خروجه عنها

لما فرغ محمود بن سبكتكين من أمر الفتنة بينه وبين أخيه اسمعيل، واستولى على ملك غزنة، وعاد الى بلخ وجد بكتزون والياً على خراسان كما ذكرنا فبعث الى الامير منصور بن نوح يذكر وسائله في الطاعة والمحاباة، ويطلب ولاية خراسان فاعتذر له عنها، وولاه تُرْمُذ وبَلْخ وما وراءهما من أعمال بَست فلم يرض ذلك، وأعاد الطلب فلم يجب فسار الى نيسابور، وهرب منها بكتزون وملكها محمود سنة ثمان وثمانين فسار الامير منصور من بخارى اليه فخرج عنها الى مرو الروذ وأقام بها.

خلع الأمير منصور وولاية أخيه عبد الملك

ولما سار الامير منصور عن بخارى الى خراسان لمدافعة محمود ابن سبكتكين عن نيسابور ، سار بكثرزون للقائه فلقيه بسرخس ثم لم يلق من قبوله ما كان يؤمّله فشكا ذلك الى فائق فألفاه واجداً مثل ذلك فخلصا في نجواهما ، واتفقا على خلعه ، وإقامة أخيه عبد الملك مقامه . ووافقهما على ذلك جماعة من أعيان العسكر . ثم قبضوا عليه وسملوه أوّل سنة تسعين لعشرين شهراً من ولايته . وولي مكانه أخوه عبد الملك ، وبعث محمود الى فائق وبكثرزون يقبّح عليهما فعلهما ، وسار نحوهما طامعاً في الاستيلاء على الملك .

استيلاء محمود بن سبكتكين على خراسان

ثم سار محمود بن سبكتكين الى فائق وبكثرزون ومعهما عبد الملك الصبي الذي نصبوه فساروا اليه ، والتقوا بمرو سنة تسعين ، وقاتلهم فهزمهم وافترقوا . ولحق عبد الملك ببخارى ومعه فائق ، ولحق بكثرزون بنيسابور ، ولحق أبو القاسم بن سيجور بقهستان . وقصد محمود نيسابور ، وانتهى الى طرسوس فهرب بكثرزون الى جرجان ، وبعث في اثره ارسلان الحاجب الى أن وصل جرجان ، ورجع فاستخلفه محمود على طرسوس ، وسار الى هَراة فخالفه

بكتزون إلى نيسابور وملكها. ورجع اليها محمود فأجفل عنها، ومرّ بمرو فنهبها، ولحق ببخارى. واستقرّ محمود بخراسان، وأزال عنها ملك بني سامان، وخطب فيها للقادر العباسي، واستدعى الولاية من قبله فبعث اليه بالعهد عليها والخلع لبني سيجور، وأنزله نيسابور. وسار هو الى بلخ كرسي أبيه فافتقده[1] واتفق أصحاب الاطراف بخراسان على طاعته؛ مثل آل افريقون بالجوزجان، والشاه صاحب غرسيان، وبني مأمون بخوارزم.

استيلاء ايلك خان على بخارى وانقراض دولة بني سامان

ولما ملك محمود خراسان، ولحق عبد الملك ببخارى اجتمع اليه فائق وبكتزون وغيرهما من الامراء، وأخذوا في جمع العساكر لمناهضة محمود بخراسان. ثم مات فائق في شعبان من هذه السنة فاضطربوا ووهنوا لانه كان المقدّم فيهم، وكان خَصِيّاً من موالي نوح بن نصر فطمع ايلك خان في الاستيلاء على ملكهم، كما ملكه بقراخان قبله فسار في جموع الترك يظهر المدافعة لعبد الملك عنه، فاطمأنوا لذلك، وخرج بكتزون وغيره من الامراء والقواد للقائه فقبض عليهم جميعاً، ودخل بخارى عاشر ذي القعدة، ونزل دار الامارة. واختفى عبد الملك فبعث العيون

(١) افتقد الشيء: طلبه عند غيبته. ولا معنى له هنا. ولعلها: اقتوده، أي ركب عليه.

عليه حتى ظفر به ، وأودعه السجن في أرزكند فمات . وحبس معه أخاه أبا الحرث منصوراً المخلوع واخوته الآخرين أبا ابراهيم اسمعيل وأبا يعقوب ، وأعمامه أبا زكريا وأبا سليمان وأبا صالح القاري وغيرهم من بني سامان . وانقرضت دولتهم بعد أن كانت انتشرت في الآفاق ما بين حُلوان وبلاد الترك ، ووراء النهر ، وكانت من أعظم الدول وأحسنها سياسة .

خروج اسمعيل بن نوح بخرسان

ثم هرب أبو ابراهيم اسمعيل بن نوح من محبسه في زيّ امرأة كانت تتعاهد خدمته فاختفى ببخارى . ثم لحق بخوارزم ، وتلقب المنتصر ، واجتمع اليه بقايا القواد والأجنـاد. وبعث قابوس عسكراً مع ابنيه منوجهر ودارا . ووصل اسمعيل الى نيسابور في شوّال سنة احدى وتسعين ، وجبى أموالها . وبعث اليـه محمود مع التونتاش الحاجب الكبير صاحب هراة فلقيهم، فانهزم المنتصر الى ابيورد ، وقصد جرجان فمنعه قابوس منهـا فقصد سرخس ، وجبى أموالها وسكنها في ربيع سنة اثنتين وتسعين فأرسل اليها محمود العساكر مع منصور ، والتقوا فانهزم اسمعيل ، وأسر أبو القاسم بن سيجور في جماعة من أعيان العسكر فبعث بهم منصور الى غزنة . وسار اسمعيل حائراً فوافى أحياء الغُزّ بنواحي بخارى

فتعصبوا عليه ، وسار بهم الى ايلك خان في شوّال سنة ثلاث وتسعين فلقيه بنواحي سمرقند .

وانهزم ايلك ، واستولى الغز على سواده وأمواله ، وأسرى من قواده. ورجعوا الى احيائهم وتفاوضوا في اطلاق الاسرى من أصحاب ايلك خان ، وشعر بهم اسمعيل فسار عنهم خائفاً ، وعبر النهر الى آمل الشط . وبعث الى مرو ونسا وخوارزم فلم يقبلوه ، وعاودوا العبور الى بخارى . وقاتله واليها فانهزم الى دبوسية وجمع بها . ثم عاد فانهزم من عساكر بخارى ، وقاتله واليها . وجاءه جماعة من فتيان سمرقند فصاروا في جملته . وبعث اليه أهله بأموال وسلاح ودواب . وسار اليه ايلك خان بعد أن استوعب في الحشد ، ولقيه بنواحي سمرقند في شعبان سنة أربع وتسعين .

وظاهر الغز اسمعيل فكانت الدَبَرَة على ايلك خان . وعاد الى بلاد الترك فاحتشد ، ورجع الى اسمعيل وقد افترقت عنه أحياء الغز الى أوطانهم . وخف جمعه فقاتلهم بنواحي مروسية فهزموه ، وفتك الترك في أصحابه . وعبر اسمعيل النهر الى جوزجان فنهبها، وسار الى مرو وركب المفازة الى قنطرة راغول ، ثم الى بسطام وعساكر محمود في اتباعه مع أرسلان الحاجب صاحب طوس . وأرسل اليه قابوس عسكراً مع الاكراد الشاهجانية فأزعجوه عن بسطام ، فرجع الى ما وراء النهر ، وأدرك أصحابه الكلل

والملال ففارقه الكثير منهم، وأخبروا أصحاب ايلك خان وأعلموهم بمكانه فكبسه الجند فطاردهم ساعة. ثم دخل في حيّ من أحياء العرب بالفلاة من طاعة محمود بن سبكتكين يعرف أميرهم بابن بهيج، وقد تقدم اليهم محمود في طلبه فأنزله[1] عندهم، حتى اذا جن الليل وثبوا عليه وقتلوه، وذلك سنة خمس وتسعين. وانقرض أمر بني سامان، وانمحت آثار دولتهم، والبقاء لله وحده.

دولة بني سبكتكين

الخبر عن دولة بني سبكتكين ملوك غزنة وما ورثوه من الملك بخراسان وما وراء النهر عن مواليهم وما فتحوه من بلاد الهند وأول أمرهم ومصاير أحوالهم

هذه الدولة من فروع دولة بني سامان وناشئة عنها. وبلغت من الاستطالة والعزّ المبالغ العظيمة، واستولت على ما كانت دولة بني سامان عليه في عُدوتي جيحون وما وراء النهر وخراسان وعراق العجم وبلاد الترك، وزيادة بلاد الهند. وكان مبدأ أمرهم عن غزنة. وذلك انّ سبكتكين من موالي بني ألْتَيكين. وكان التيكين من موالي بني سامان، وكان في جملته، وولاه

(١) كذا. والسياق يقتضي: فأنزلوه.

حجابته ، وورد بخارى أيام السعيد منصور بن نوح وهو اذ ذاك حاجبه . ثم توفي التيكين هذا ، وعقد له السعيد منصور بن نوح سنة خمس وستين وثلثمائة ، وولى ابنه نوح ، ويكنّى أبا القاسم ، واستوزر أبا الحسن العتبي ، وولى على نيسابور أبا الحسن محمد بن سيجور . وكان سبكتكين شديد الطاعة له والقيام بحاجاته .

وطرقت دولة بني سامان النكبة من الترك ، واستولى بقراخان على بخارى من يد الامير نوح . ثم رجع اليها ، ومات أبو الحسن ابن سيجور ، وولي مكانه بخراسان ابنه أبو علي . واستبد على الامير نوح في الاستيلاء على خراسان عند نكبة الترك . فلما عاد الامير نوح الى كرسيه وثبت في الملك قدمه كاشفه أبو علي في خراسان بالانتقاض ، واستدعى أبا منصور سبكتكين يستمده على أبي علي ويستعين به في أحوال الدولة فبادر لذلك ، وكان له المقام المحمود فيه. وولاه الامير نوح خراسان فدفع عنها أبا علي .

ثم استبدّ بعد ذلك على بني سامان بها . ثم غلبهم على بخارى وما وراء النهر ، ومحا أثر دولتهم وخلفهم أحسن خلف ، وأورث ذلك بنيه . واتصلت دولتهم في تلك الاعمال الى أن ظهر الغزّ ، وملك الشرق والغرب بنو سُلجوق منهم فغلبوهم على أمرهم ، وملكوا تلك الاعمال جميعاً من أيديهم حسبما يذكر ذلك كله . ولنبدأ الآن بسبكتكين من الجهاد في بلاد الهند قبل ولايته خراسان .

فتح بست

كانت بست هذه من أعمال سجستان وفي ولايتها. ولما فسد نظام تلك الولاية بانقراض دولة بني الصفّار ، واخترقت تلك العمالات طوائف فانفرد ببست أمير اسمه طَغان . ثم غلبه عليها آخر اسمه كان ، يكنّى بأبي ثور فاستصرخ طغان سبكتكين على مال ضمنه على الطاعة والخدمة ، فسار سبكتكين الى بست وفتحها ، وأخذ الوزير أبا الفتح علي بن محمد البستي الشاعر المشهور فأحضره واستكتبه ، وكتب لابنه محمود من بعده. ثم استخلف سبكتكين وسار الى قصْدار من ورائها فملكها وتقبض على صاحبها . ثم أعاده الى ملكه على مال يؤدّيه ، وطاعة يبذلها له .

غزو الهند

ثم سار سبكتكين بعد ما فتح بست ، وقصد غازياً بلاد الهند ، وتوغل فيها حتى افتتح بلاداً لم يدخلها أحد من بلاد الاسلام . ولما سمع به ملك الهند سار اليه في جيوشه ، وقد عبّى العساكر والفِيَلة على عادتهم في ذلك بالتعبية المعروفة بينهم . وانتهى الى لمغان من ثغوره ، وتجاوزه ؛ وزحف اليه سبكتكين من غزنة في جموع المسلمين . والتقى الجمعان ، ونصر الله المسلمين ،

وأسر ملك الهند وفدى نفسه على ألف ألف درهم، وخمسين فيلًا، ورهن في ذلك من قومه. وبعث معه رجالاً لقبض ذلك فغدر بهم في طريقه. وتقبض عليهم فسار سبكتكين في تعبيته إلى الهند فقبض كل من لقيه من جموعهم، وأثخن فيهم. وفتح لمغان وهدمها، وهي ثغر الهند مما يلي غزنة فاهتز لذلك جيال واحتشد، وسار الى سبكتكين فكانت بينهم حرب شديدة. وانهزم جيال وجموع الكفر، وخمدت شوكتهم، ولم يقم لملوك الهند بعدها معه قائمة. ثم صرف وجهه الى اعانة سلطانه الامير نوح كما نذكر.

ولاية سبكتكين على خراسان

قد قدّمنا أنّ الامير نوح بن منصور لما طرقته النكبة ببخارى من الترك، وملكها عليه بقراخان، عبر النهر الى آمل الشط واستصرخ ابن سيجور صاحب خراسان وفائقاً صاحب بلخ فلم يصرخاه، وبلغه مسير بقراخان عن بخارى فأغذّ السير اليها، وارتجع ملكه كما كان. وهلك بقراخان فثبت قدمه في سلطانه، وارتاب أبو علي وفائق بامرهم عنده، وغلط فائق بالمبادرة الى بخارى للتهنئة والتقدّم في الدولة من غير اذن في ذلك، فسرح الامير نوح غلمانه ومواليه فحاربوه، وملكوا بلخاً من يده. ولحق بأبي علي بن سيجور فاستظهر به على فتنة الامير نوح،

وذلك سنة أربع وثمانين . فكتب الامير نوح عند ذلك الى سبكتكين يستدعيه للنصرة عليهما ، وعقد له على خراسان وأعمالها ، وكان في شغل شاغل من الجهاد بالهند كما ذكرناه فبادر لذلك . وسار إلى نوح فلقيه ، واتفق معه . ثم رجع الى غزنة ، واحتشد وسار هو وابنه محمود ، ولقيا الامير نوحاً بخراسان في الموضع الذي تواعد معه ، ولقيهم أبو علي بن سيجور وفائق فهزمهما . وفتك فيهم أصحاب سبكتكين واتبعوهم الى نيسابور ، ثم صدوهم عنها الى جرجان . واستولى نوح على نيسابور ؛ واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ، وأنزله بها ، ولقّبه سيف الدولة . وأنزل أباه سبكتكين بهراة ، ولقبه ناصر الدولة ورجع الى بخارى .

الفتنة بين سيجور وفائق بخراسان وظهور سبكتكين وابنه محمود عليهم

ولما رجع نوح الى بخارى ، وطمع أبو علي بن سيجور وفائق في انتزاع خراسان من يد سبكتكين وابنه . وبادروا الى محمود ابن سبكتكين بنيسابور سنة خمس وثمانين ، وأعجلوه عن وصول المدد اليه من ابنه سبكتكين . وكان في قلة فانهزم الى أبيه بهراة ، وملك أبو علي نيسابور ؛ وسار اليه سبكتكين في العساكر ، والتقوا بطوس فانهزم أبو علي وفائق حتى انتهيا الى آمل الشط . واستعطف أبو علي الامير نوحاً فاستدعاه وحبسه ،

ثم بعث به الى سبكتكين وحبسه عنده، ولحق فائق بملك الترك ايلك خان في كاشغر ، وشفع فيه الى الامير نوح فولّاه سمرقند كما مر ذلك كله في أخبارهم . وكان أبو القاسم أخو أبي علي قد نزع الى سبكتكين يوم اللقاء فأقام عنده مدّة مديدة. ثم انتقض وزحف الى نيسابور فجاء محمود بن سبكتكين فهرب، ولحق بفخر الدولة بن بويه فأقام عنده ، واستولى سبكتكين على خراسان .

مزاحفة سبكتكين وأيلك خان

كان ايلك خان ولي بعد بقراخان على كاشغر وشاغور، وعلى امم الترك ، وطمع في أعمال الامير نوح كما طمع أبوه ، ومدّ يده اليها شيئاً فشيئاً . ثم اعتزم على الزحف اليه فكتب الامير نوح الى سبكتكين بخراسان يستجيشه على ايلك خان فاحتشد، وعبر النهر ، وأقام بين نسف وكشف حتى لحقه ابنه محمود بالحشود من كل جهة، وهنالك وصله أبو علي بن سيجور مقيداً، بعث به اليه الامير نوح فأبى من ذلك ، وجمع ايلك خان امم الترك من سائر النواحي. وبعث سبكتكين الى الامير نوح يستحثه فخام عن اللقاء ، وبعث قواده وجميع عساكره وجعلهم لنظره وفي تصريفه فألح عليه سبكتكين ، وبعث أخاه بغراجق وابنه محموداً لاستحثاثه فهرب الوزير ابن عزيز خوفاً منهم ، وتفادى نوح من اللقاء فتركوه ، وفتّ ذلك في عزم سبكتكين . وبعث ايلك

خان في الصلح فبادر سبكتكين وبعث أبا القاسم . ثم ارتاب به عند عبوره الى ايلك خان فحبسه مع أبي علي وأصحابه حتى رجع سبكتكين من طوس الى بلخ فبلغ الخبر بقتلهم ، ووصل نعي مأمون بن محمد صاحب الجرجانية بخوارزم غدر به صاحب جيشه في صنيع أعدّه له وقتله ، ووصل خبر الامير نوح اثرهما وانه هلك منتصف رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة .

أخبار سبكتكين مع فخر الدولة بن بويه

كان أبو علي بن سيجور وفائق لما هزمهما سبكتكين لحقا بجرجان عند فخر الدولة بن بويه . ثم لما أجلب أبو القاسم على خراسان ، وسار اليه محمود بن سبكتكين ، وعمه بغراجق وكان معه أبو نصر بن محمود الحاجب فهربا الى فخر الدولة ، وأقاما في نزله وتحت حرابه بقُوْمِس والدامِغان وجَرْجان ، وأناخ سبكتكين على طوس . ثم وقعت المهاداة بينه وبين فخر الدولة بن بويه صاحب الري ، وكان آخر هدية من سبكتكين جاء بها عبد الله الكاتب من ثغابة. ونمي الى فخر الدولة انه يتجسس عدد الجند، وغوامض الطرق فبعث الى سبكتكين بالعتاب في ذلك . ثم ضعف الحال بينهما ، واتصل ما بين فخر الدولة والامير نوح على يد سبكتكين .

وفاة سبكتكين وولاية ابنه اسمعيل

ولما فرغ سبكتكين من أمر ايلك خان ورجع الى بلخ وأقام بها قليلًا طرقه المرض فبادر به الى غزنة ، وهلك في طريقه في شعبان سنة سبع وثمانين لعشرين سنة من ملكه في غزنة وخراسان ، ودفن بغزنة . وكان عادلاً خيراً حسن العهد محافظاً على الوفاء كثير الجهاد. ولما هلك بايع الجند لابنه اسمعيل بعهده اليه ، وكان أصغر من محمود فأفاض فيهم العطاء وانعقد أمره بغزنة .

استيلاء محمود بن سبكتكين على ملك أبيه وظفره بأخيه اسمعيل

ولما ولي اسمعيل بغزنة استضعفه الجند واستولوا عليه ، واشتطوا عليه في الطلب حتى أنفذ خزائن أبيه ، وكان أخوه محمود بنيسابور فبعث اليه أن يكتب له بالاعمال التي لنظره مثل بلخ فأبى ، وسعى أبو الحرب والي الجوزجان في الاصلاح بينهما فامتنع اسمعيل ، فسار محمود الى هراة معتزماً عليه ، وتحيّز معه عمه بغراجق . ثم سار الى بست وبها أخوه نصر فاستماله ، وساروا جميعاً الى غزنة. وقد كتب اليه الامراء الذين مع اسمعيل واستدعوه ووعدوه بالطاعة . وأغذ السير ولقيه اسمعيل بظاهر غزنة فاقتتلوا قتالاً شديداً . وانهزم اسمعيل واعتصم بقلعة غزنة . واستولى محمود على الملك وحاصر أخاه اسمعيل حتى استنزله على الامان

فأكرمه وأشركه في سلطانه ، وذلك لسبعة أشهر من ولاية اسمعيل ، واستقامت الممالك لمحمود ولقّب بالسلطان ، ولم يلقب به أحد قبله ثم سار الى بلخ .

استيلاء محمود على خراسان

لما ولي أبو الحرث منصور بعد نوح استوزر محمد بن ابراهيم ، وفوض أمره الى فائق كفالة وتدبيراً لصغره . وكان عبد الله بن عزيز قد هرب من بخارى عند قدوم محمد اليها في استحثاث الامير نوح للقاء ايلك خان كما مر ، فلما مات الامير نوح وولي ابنه منصور أطمع عزيز أبا منصور محمد بن الحسين الاسبيجابي في قيادة الجيش بخراسان ، وحمله على الانحدار به الى بخارى مستغيثاً بايلك خان على غرضه ، فنهض ايلك خان لمصاحبتهما ، وسار بهما كأنه يريد سمرقند . ثم قبض على أبي منصور وابن عزيز وأحضر فائقاً وأمره بالمسير على مقدّمته الي بخارى فهرب أبو الحرث ، وملك فائق بخارى ، ورجع ايلك خان . واستدعى فائق أبا الحرث فاطمأنّ ، وبعث من مكانه بكتزرون الحاجب الاكبر على خراسان ولقبه بستان الدولة ، ورجع الى بخارى فتلقاه فائق ، وقام بتدبير دولته . وكانت بينه وبين بكتزرون ضغن فأصلح أبو الحرث بينهما ، وأقام بكتزرون وجبى الاموال ، وزحف اليه أبو القاسم بن سيجور ، وكانت بينهما الفتنة التي مر ذكرها .

وجاء محمود الى بلخ بعد فراغه من فتنة أخيه اسمعيل، فبعث الى أبي الحرث منصور رسله وهداياه، فعقد له على بلخ وترمذ وهراة وبست. واعتذر عن نيسابور فراجعه مع ثقته أبي الحسن الجولي فاستخلصه أبو الحرث لوزارته، وقعد عن رسالة صاحبه فأقبل محمود الى نيسابور، وهرب عنها بكثرزون فنهض أبو الحرث الى نيسابور، فخرج محمود عنها الى مرو الروذ، وجمع أبو الحرث وكحلة وبكثرزون، وبايعوا لاخيه عبد الملك بن نوح.

وبعث محمود الى فائق وبكثرزون بالعتاب على صنيعهما بالسلطان، وزحف اليهما فبرزا من مرو للقائه. ثم سألوه الابقاء فأجاب وارتحل عنهم، وبعض أوباشهم في اعقابه فرجع اليهم. وحشدوا الناس للقائه فهزمهم وافترقوا فسار عبد الملك الى بخارى وبكثرزون الى نيسابور، وكان معهم أبو القاسم بن سيجور. ولحق بقهستان، واستولى محمود على خراسان وذلك سنة تسع وثمانين.

ثم سار الى طوس، وهرب بكثرزون الى جرجان، وبعث محمود ارسلان الحاجب في أثره فأخرجه من نواحي خراسان فولى ارسلان على طوس، وسار الى هراة لمطالعة أحوالها فخالفه بكثرزون الى نيسابور، وملكها. ورجع فطرده عنها أبو القاسم ابن سيجور وملكها، وولى محمود أخاه نصر بن سبكتكين قيادة الجيوش بخراسان، وأنزله بنيسابور. ثم سار الى بلخ فأنزل بها سريره. ثم استراب بأخيه اسمعيل فاعتقله ببعض القلاع موسعاً

عليه ، وكتب بالبيعة للقادر الخليفة من بني العباس فبعث اليه بالخلع والالوية على العادة . وأقام بين يديه السماطين ، واستوثق له ملك خراسان ، وبقي يردّد الغزو الى الهند كل سنة .

استيلاء محمود على سجستان

كان خَلَف بن أحمد صاحب سجستان في طاعه بني سامان ، ولما شغل عنه بالفتن استفحل أمره ، وشغل للاستبداد فلما سار سبكتكين للقاء ملك الهند كما مر ، اغتنم الفرصة من بست ، وبعث اليها عسكراً فملكوها وجبوها . ولما رجع سبكتكين من الهند ظافراً تلقاه بالمعاذير والتعزية والهدايا والطاعة فقبل وأعرض عنه ، وارتهن عنده على طاعته . وسار معه الحرث أبو علي بن سيجور بخراسان فملأ يده ويد عسكره بالعطاء ، وبتقدّمه لقتال ايلك خان بما وراء النهر كما مر فدس الى ايلك خان يغريه بسبكتكين . واعتزم سبكتكين على غزو سِجِستان ، ثم أدركه الموت فاغتنم خلف الفرصة وبعث طاهراً الى قَهِسْتان وبوشَنْج فلكها ، وكاتب البغراجق أخا سبكتكين . فلما فرغ محمود من شأن خراسان ، بعث لبغراجق عمه بانتزاع قهستان وبوشنج ، فسار الى طاهر فهزمه واتبعه ، وكر عليه طاهر فقتله وانهزم الفريقان . وزحف محمود الى خلف سنة تسعين وثلثمائة فامتنع في حِصن بَلَد ، وهي قلعة عالية منيعة ، وحاصره بها حتى لاذ بالطاعة .

وبذل مائة ألف دينار فافرج عنه وسار الى الهند فتوغّل فيها ، وانتهى في اثني عشر ألف فارس ، وثلاثين ألف راجل فاختار محمود من عساكره خمسة عشر ألفاً ، وسار لقتال جيبال فهزمه وأسره في بنيه وحفدته وكثير من قرابته؛ ووجد في سَلَبِه مقلد من فصوص يساوي مائة ألف دينار وأمثال ذلك ، فوزّعها على أصحابه ، وكان الاسرى والسبي خمسمائة ألف رأس ، وذلك سنة اثنتين وتسعين . وفتح من بلاد الهند بلاداً أوسع من بلاد خراسان . ثم فادى جيبال ملك الهند نفسه بخمسين رأساً من الفيلة ارتهن فيها ابنه وحافده ، وخرج الى بلده فبعث الى ابنه اندبال وشاهينة وراء سيجور فأعطوه تلك الفيلة ، وسار لا يعود له ملك . وسار السلطان محمود الى ويهند فحاصرها وافتتحها ، وبعث العساكر لتدويخ نواحيها فأثخنوا في القتل في أوباش كانوا مجتمعين للفساد ، مستترين بخمر الغياض فاستلحموهم .

ورجع السلطان محمود الى غزنة . وكان خلف بن أحمد عند منصرف السلطان عنه أظهر النسك ، وولى ابنه طاهراً على سجستان فلما طالت غيبة السلطان ، أراد الرجوع الى ملكه فلم يمكنه ابنه فتمارض وبعث اليه بالحضور للوصية ، والاطلاع على خبايا الذخيرة . فلما حضر اعتقله ، ثم قتله كما مر .

وجزعت نفوس قواده لذلك وخافوه، وبعثوا للسلطان محمود بطاعتهم ما بقيت له الدعوة في سجستان سنة ثلاث وتسعين .

وسار السلطان محمود الى خلف فامتنع منه في معقله بحصن الطاق، وهو في رأس شاهق تحيط به سبعة أسوار عالية، ويحيط به خندق بعيد المهوى، وطريقه واحدة على جسر فجثم عليه أشهراً. ثم فرض على أهل العسكر قطع الشجر التي تليه، وطمّ بها الخندق. وزحف اليه، وقدّم الفيول بين يديه على تعبيتها فحطم الفيل الاعظم على باب الحصن فقلعه ورمى به. وفشا القتل في أصحاب خلف، وتماسكوا داخل الباب يتناضلون باحجار المجانيق والسهام والحراب فرأى خلف هول المطلع فأثاب[1] واستأمن، وخرج الى السلطان وأعطاه كثيراً من الذخيرة فرفع من قدره وخيره في مقاماته فاختار الجوزجان، فأذن له في المسير اليها على ما بينه وبين ايلك خان من المداخلة.

ثم هلك خلف سنة تسع وتسعين، وأبقى السلطان على ولده عمر، وكان خلف كثير الغاشية من الوافدين والعلماء، وكان محسناً لهم. ألّف تفسيراً جمع له العلماء من أهل ايالته، وأنفق عليهم عشرين ألف دينار، ووضعه في مدرسة الصابوني بنيسابور. ونسخه يستغرق عمر الكاتب إلّا أن يستغرق في النسخ. واستخلف السلطان على سجستان أحمد الفتحي من قواد أبيه ورجع الى غزنة. ثم بلغه انتقاض أحمد بسجستان فسار اليهم في عشرة آلاف، ومعه

(١) كذا. ولا معنى لها. ولعلها: أناب. أي تاب.

أخوه صاحب الجيش أبي المظفر نصر والتونتاش الحاجب وزعيم العرب أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي فحاصرهم، وفتحها ثانية، وولى عليها أخاه صاحب الجيش نصر بن سبكتكين مضافة الى نيسابور فاستخلف عليها وزيره أبا منصور نصر بن اسحق. وعاد السلطان محمود الى بلخ مضمراً غزو الهند. هكذا مساق خبر السلطان محمود مع خلف بن أحمد، وخبر سجستان عند العيني. وأمّا عند ابن الاثير فعلى ما وقع في أخبار دولة بني الصفار.

غزو بهاطية والملتان وكوكير

ولما فرغ السلطان محمود من سجستان اعتزم على غزو بهاطِيَة من أعمال الهند، وهي وراء الملتان، مدينة حصينة عليها نطاق من الأصبوان، وآخر من الخنادق، بعيدة المهوى. وكانت مشحونة بالمقاتلة والعدّة، واسم صاحبها بجير فعبر السلطان اليها جيحون، وبرز اليه بُجَيْر فاقتتلوا بظاهر بهاطية ثلاثة أيام. ثم انهزم بجير وأصحابه في الرابع. وتبعهم المسلمون الى باب البلد فملكوه عليهم، وأخذتهم السيوف من أمامهم ومن ورائهم فبلغ القتل والسبي والسلب والنهب فيهم مبالغه. وسار بجير في رؤوس الجبال فستر في شعابها وبعث السلطان سريّة في طلبه فأحاطوا به، وقتلوا من أصحابه. ولما أيقن بالهلكة قتل نفسه بخنجر معه، وأقام السلطان محمود في بهاطية حتى أصلح أمورها، واستخلف

عليها من يعلم أهلها قواعد الاسلام ، ورجع الى غزنة فلقي في طريقه شدّة من الامطار في الوحل وزيادة المدد في الانهار ، وغرق كثير من عسكره .

ثم بلغه عن أبي الفتوح والي الملتان انه ملحد ، وأنه يدعو أهل ولايته الى مذهبه فاعتزم على جهاده ، وسار كذلك . ومنعه سيجور من العبور لكثرة المدد فبعث السلطان الى اندبال ملك الهند في أن يبيح له العبور الى بلاده لغزو الملتان ، فأبى فبدأ بجهاده ، وسار في بلاده ودوخها . وفرّ اندبال بين يديه ، وهو في طلبه الى أن بلغ كشمير . ونقل أبو الفتوح أمواله على الفيول الى سرنديب ، وترك الملتان فقصدها السلطان ، وامتنع أهلها فحاصرهم حتى افتتحها عنوةً ، وأغرمهم عشرين ألف ألف درهم عقوبة لهم على عصيانهم .

ثم سار الى كوكبر واسم صاحبها بيدا ، وكان بها ستمائة صنم فافتتحها ، وأحرق أصنامها . وهرب صاحبها الى قلعته وهي كاليجار ، وهو حِصن كبير يسع خمسمائة ألف انسان ، وفيه خمسمائة وعشرون ألف راية ، وهو مشحون بالاقوات ، والمسالك اليه متعذرة بِخَمَر[1] الشجر ، وملتف الغياض فأمر بقطع الاشجار حتى اتضحت المسالك . واعترضه دون الحصن واد بعيد المهوى فطمّ منه عشرين

(١) ما واراك من شجر وغيره .

ذراعاً بالاجربة المحشوّة بالتراب ، وصيّره جسراً ومضى منه الى القلعة ، وحاصرها ثلاثة وأربعين يوماً حتى جنح صاحبها الى السلم. وبلغ السلطان أنّ ايلك خان مجمع على غزو خراسان فصالح ملك الهند على خمسين فيلًا وثلاثة آلاف من الفضة. وخلع عليه السلطان فلبس خلعته وشدّ منطقته. ثم قطع خلعته وأنفذها الى السلطان، وتبعه بما عقد معه، وعاد السلطان الى خراسان بعد أن كان عازماً على التوغل في بلاد الهند.

مسير ايلك خان إلى خراسان وهزيمته

كان السلطان محمود لما ملك ايلك خان بخارى كما مر، وكتب اليه مهنياً ، وتردّد السفراء بينهما في الوصلة، وأوفد عليه سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي امام الحديث ، ومعه طغان جق والي سرخس ، في خطبة كريمته بهديّة فاخرة من سبائك العقيان واليواقيت والدرّ والمرجان والوشي والحمر، وصواني الذهب مملوءة بالعنبر والكافور والعود والنصول ، وأمامه الفيول تحت الحروج المغشّاة فقوبلت الهدية بالقبول ، والوافد بالتعظيم له ولمن أرسله. وزفّت المخطوبة بالهدايا والالطاف، واتحدت الحال بين السلطانين. ولم يزل السعاة يغرون ما بينهما حتى فسد ما بينهما ، فلما سار السلطان محمود الى الملتان اغتنم ايلك خان الفرصة، وبعث سباسي تكين قريبه وقائد جيشه الى خراسان ، وبعث معه أخاه جعفر

تكين وذلك سنة تسعين فملك بلخاً وأنزل بها جعفر تكين . وكان ارسلان الحاجب بهراة أنزله السلطان بها ، وأمره اذا دهمه أن ينحاز الى غزنة . وقصد سباسي هراة وسكنها ، وندب الحسين ابن نصر الى نيسابور فملكها ، ورتب العمال واستخرج الاموال .

وطار الخبر الى السلطان بالهند ، وقصد بلخ فهرب جعفر تكين الى تِرْمذ ، واستقرّ السلطان ببلخ وسرّح ارسلان الحاجب في عشرة آلاف من العساكر الى سباسي تكين بهراة فسار سباسي الى مرو ، واعترضه التركمان ، وقاتلهم فهزمهم وأثخن فيهم . ثم سار الى أبيورد ، ثم الى نسا وارسلان في اتباعه حتى انتهى الى جَرْجان فصدّ عنها ، وركب قلل الجبال والغياض ، وتسلّط الكراكلة على اثقاله ورجاله ، واستأمن طوائف من أصحابه الى قابوس لعدم الظهر . ثم عاد الى نسا وأصدر ما معه الى خوارِزم شاه أبي الحسن علي بن مأمون ، وديعة لايلك خان ، واقتحم المفازة الى مرو فسار السلطان لاعتراضه ، ورماه محمد بن سبع بمائة من القواد حملوا الى غزنة .

ونجا سباسي تكين في فلّ من أصحابه فعبر النهر الى ايلك خان . وقد كان ايلك خان بعث أخاه جعفر تكين في ستة آلاف راجل الى بلخ ليفتر من عزيمة السلطان عن قصد سباسي تكين فلم يفتر ذلك من عزمه ، حتى أخرج سباسي من خراسان . ثم

قصدهم فانهزموا أمامه، وتبعهم أخوه نصر بن سبكتكين صاحب جيش خراسان الى ساحل جيحون فقطع دابرهم. ولما بلغ الخبر الى ايلك خان قام في ركائبه وبعث بالصريخ الى ملك الختل وهو قدر خان بن بقراخان لقرابة بينهما وصهر فجاءه بنفسه، ونفر معه. واستجاش أحياء الترل ودهاقين ما وراء النهر، وعبر النهر في خمسين ألفاً، وانتهى الى السلطان خبره، وهو بطخارستان فقدم الى بلخ، واستعدّ للحرب، واستنفر جموع الترك والجند والخلنجيّة والافغانية والفربوية. وعسكر على أربعة فراسخ من بلخ. وتزاحفوا على التعبية فجعل السلطان في القلب أخاه نصراً صاحب الجيش بخراسان، وأبا نصر بن أحمد الفريغوني صاحب الجوزَجان، وأبا عبد الله بن محمد بن ابراهيم الطائي في كماة الاكراد والعرب والهنود. وفي الميمنة حاجبه الكبير أبا سعيد التَمَرتاشي، وفي الميسرة ارسلان الحاجب. وحصّن الصفوف بخمسمائة من الفِيَلة.

وجعل ايلك خان على ميمنته قدر خان ملك الختل، وعلى ميسرته أخاه جعفر تكين، وهو في القلب. وطالت الحرب، واستمات الفريقان. ونزل السلطان وعفر خدّه بالارض متضرعاً. ثم ركب وحمل في فيلته على القلب فأزاله عن مكانه، وانهزم الترك واتبعوهم يقتلون ويأسرون الى أن عبروا بهم النهر. وأكثر الشعراء تهنئة السلطان بهذا الفتح، وذلك سنة سبع وتسعين. ولما فرغ السلطان من هذه الحرب سار للهند للايقاع بنواسه شاه

أحد أولاد الملوك ، كان أسلم على يده ، واستخلفه على بعض المعاقل التي افتتحها فارتد ، ونبذ الاسلام فأغذّ السير اليه ففرّ أمامه ، واحتوى على المعاقل التي كانت في يده من أصحابه ، وانقلب الى غزنة ظافراً وذلك سنة سبع وتسعين .

فتح بهيم نقرا

ثم سار السلطان سنة ثمان وتسعين في ربيع منها غازياً الى الهند فانتهى الى سبط وبهند ، فلقيه هنالك ابن هزبال ملك الهند في جيوش لا تحصى ، فصدقهم السلطان القتال فهزمهم ، واتبعهم الى قلعة بهيم نقرا ، وهي حِصن على حُصن عالية اتخذها أهل الهند خزانة للصنم ، ويودعون به أنواع الذخائر والجواهر التي يتقرّب بها للصنم فدافع عنه خزنته أياماً . ثم استأمنوا وأمكنوا السلطان من القلعة فبعث عليه أبا نصر الفريغوني ، وحاجبه الكبير ابن التمرتاش ، وواسع تكين ، وكلفهما بنقل ما في الخزائن فكان مبلغ المنقول من الوزن سبعين ألف ألف شامية ومن الذّهبِيّات والفِضّيات موزونة ، والديباج السوسي ما لا عهد بمثله . ووجد في جملتها بيت من الفضة الخالصة طوله ثلاثون ذراعاً في خمسة عشر صفائح مضروبة ، ومعالق للطي والنشر ، وشراع من ديباج طوله أربعون ذراعاً في عرض عشرين بقائمتين من ذهب ، وقائمتين من فضة فوكلها بحفظ ذلك . ومضوا الى غزنة فأمر بساحة داره

ففرشت بتلك الجواهر ، واجتمعت وفود الاطراف لمشاهدتها ، وفيهم رسول طغان أخي ايلك خان .

خبر الفريغون واستيلاء السلطان على الجوزجان

وكان بنو فريغون هؤلاء ولاة على الجوزجان أيام بني سامان ، يتوارثونها . وكان لهم شهرة مكارم . وكان أبو الحرث أحمد بن محمد غرتهم . وكان سبكتكين خطب كريمته لابنه محمود ، وأنكح كريمته أخت محمود لابنه أبي نصر فالتحم بينهما . وهلك أبو الحرث فأقرّ السلطان محمود ابنه أبا نصر على ولايته الى أن مات سنة احدى وأربعمائة ، وكان أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المعروف بالبديع يؤلف له التآليف ويجعلها باسمه . ونال عنده بذلك فوق ما أمّل .

غزوة بارين

ثم سار السلطان محمود على رأس المائة الرابعة لغزو بلاد الهند فدوّخها واستباحها ، وأوقع بملكها ، ورجع الى غزنة فبعث اليه ملك الهند في الصلح على جزية مفروضة ، وعسكر مقرّر عليه ، وعلى تعجيل مال عظيم ، وهديّة فيها خمسون فيلاً ، وتقرّر الصلح بينهما على ذلك .

غزوة الغور وقصران

بلاد الغور هذه تجاور بلاد غزنة ، وكانوا يفسدون السابلة ويمتنعون بجبالهم وهي وعرة ضيقة . وأقاموا على ذلك متمرّدين على كفرهم وفسادهم فامتعض السلطان محمود ، وسار لحسم عللهم سنة احدى وأربعمائة . وفي مقدمته الترنتاش الحاجب والي هراة وأرسلان الحاجب والي طوس ، وانتهوا الى مضيق الجبل وقد شحنوه بالمقاتلة فنازلتهم الحرب ودهمهم السلطان فارتدّوا على أعقابهم ، ودخل عليهم لبلادهم وملكها . ودخل حِصْناً في عشرة آلاف واستطرد لهم السلطان الى فسيح من الارض . ثم كرّ عليهم فهزمهم وأثخن فيهم وأسر ابن سوري وقرابته وخواصه ، وملك قلعتهم ، وغنم جميع أموالهم ، وكانت لا يعبّر عنها . وأسف ابن سوري على نفسه فتناول سماً كان معه ومات . ثم سار السلطان سنة اثنتين وأربعمائة لغزو قصران ، وكان صاحبها يحمل ضمانه كل سنة فقطع الحمل ، وامتنع بموالاة ايلك خان ، وسار اليه فبادر باللقاء وتنصّل واعتذر ، وأهدى عشرين فيلًا وألزمه السلطان خمسة عشر ألف درهم ، ووكل بقبضها ورجع الى غزنة .

خبر اليشار واستيلاء السلطان على غرشتان

كان اسم اليشار عند الاعاجم لقبا على ملك غرشتان ، كما

أن كسرى على ملك الفرس وقيصر على ملك الروم ومعناه الملك الجليل. وكان اليشار أبو نصر محمد بن اسمعيل بن أسد ملكها الى ان بلغ ولده محمد سن النجابة فغلب على أبيه، وانقطع أبو نصر للنظر في العلوم لشغفه بها، وصاحب خراسان يومئذ أبو علي بن سيجور. ولما انتقض على الرضى نوح خطبهم لطاعته وولايته فابوا من ذلك لانتقاضه على سلطانه، فبعث العساكر اليهم وحاصرهم زماناً. ثم نهض سبكتكين الى أبي علي بن سيجور، وانضاف اليشار الى سبكتكين في تلك الفتنة كلها فلما ملك السلطان محمود خراسان، وأذعن له ولاة الاطراف والاعمال بعث اليهم في الخطبة فأجابوه. ثم استنفر محمد بن أبي نصر في بعض غزواته فقعد عن النفير، فلما رجع السلطان من غزوته بعث حاجبه الكبير أبا سعيد الترنتاش في العساكر وأردفه بارسلان الحاجب والي طوس لمناهضة اليشار ملك غرشتان. واستصحبا معهما أبا الحسن المنيعي الزعيم بمرو الروذ لعلمه بمخادع تلك البلاد. فأمّا أبو نصر فاستأمن الى الحاجب، وجاء به الى هراة مرفها محتاطاً عليه. وأما ابنه محمد فتحصّن بالقلعة التي بناها أيام ابن سيجور فحاصروها طويلًا، واقتحموها عنوة، وأخذ أسيراً فبعث به الى غزنة، واستصفيت أمواله، وصودرت حاشيته. واستخلف الحاجب على الحصن ورجع الى غزنة فامتحن الولد بالسياط،

واعتقله مرفها واستقدم أباه أبا نصر من هراة فأقـام عنده في كرامة الى أن هلك سنة ست وأربعمائة .

وفاة ايلك خان وصلح أخيه طغان خان مع السلطان

كان ايلك خان بعد هزيمته بخراسان يواصل الاسف، وكان أخوه طغان يكبر عليه فعلته ، ونقضه العهد مع السلطان. وبعث الى السلطان يتبرأ ويعتذر فنافره ايلك خان بسبب ذلك ، وزحف اليه. ثم تصالحا. ثم هلك ايلك خان سنة ثلاث وأربعمائة ، وولي مكانه أخوه طغان خان فراسل السلطان محمود وصالحه. وقال له : اشتغل أنت بغزو الهند ، وأنا بغزو الترك فأجابه الى ذلك. وانقطعت الفتنة بينهما ، وصلحت الاحوال . ثم خرجت طوائف الترك من جانب الصين في مائة ألف خركاه ، وقصدوا بلاد طغان فهال المسلمين أمرهم ، فاستنفر طغان من الترك أزيد من مائة ألف ، واستقبل جموع الكفرة فهزمهم ، وقتل نحواً من مـائة ألف ، وأسر مثلها ، ورجع الباقون منهزمين . وهلك طغان اثر ذلك ، وملك بعده أخوه ارسلان خان سنة ثمان وأربعمائة ، وخلص ما بينه وبين السلطان محمود ، وخطب بعض كرائمه للسلطان مسعود ولده فأجـابه . وعقد السلطان لابنه على هراة فسار اليهـا سنة ثمان وأربعمائة .

فتح بارين

ثم سار السلطان سنة ثمان وأربعمائة عندما فصل الشتاء غازياً الى الهند ، وتوغل فيها مسيرة شهرين . وامتنع عظيم الهند في جبل صعب المرتقى ومنع القتال . واستدعى الهنود وملك عليهم الفيله . وفتح الله بارين ؛ وكثرت الاسرى والغنائم . ووجد به في بيت البدجي حجر منقوش قال التراجمة كتابته : انه مبنيّ منذ أربعين ألف سنة. ثم عاد الى غزنة ، وبعث الى القادر يطلب عهد خراسان وما بيده من الممالك .

غزوة تنيشرة

كان صاحب تنيشرة عالياً في الكفر والطغيان ، وانتهى الخبر الى السلطان في ناحيته من الفيلة فيلة من الفيتلمان الموصوفة في الحروب فاعتزم السلطان على غزوه ، وسار اليه في مسالك صعبة وعزة بين أودية وقفارات حتى انتهى الى نهر طام قليل المخاضة . وقد استندوا من ورائه الى سفح جبل فسرب اليهم جماعه من الكماة خاضوا النهر ، وشغلوهم بالقتال حتى تعدّت بقية العسكر . ثم قاتلوهم وانهزموا ، واستباحهم المسلمون ، وعادوا الى غزنة ظافرين ظاهرين . ثم غزا السلطان على عادته فضلّ الادلاء طريقهم فوقع السلطان في مخاضات من المياه غرق فيها كثير من العسكر ،

وخاض الماء بنفسه أياماً حتى تخلص ورجع الى خراسان .

استيلاء السلطان على خوارزم

كان مأمون بن محمد صاحب الجرجانية من خوارزم ، وكان مخلصاً في طاعة الرضى نوح أيام مقامه في آمد كما مرّ فأضاف نسا الى عمله فلم يقبلها لمودّة بينه وبين أبي علي بن سيجور. وكان من خبره مع ابن سيجور واستنقاذه اياه من أسر خوارزم شاه سنة ست وثمانين ما مرّ ذكره ، وصارت خوارزم كلها له . ثم هلك وملك مكانه أبو الحسن علي. ثم هلك وملك مكانه ابنه مأمون ، وخطب الى السلطان محمود بعض كرائمه فزوّجه اخته. واتحد الحال بينهما الى أن هلك وولي مكانه أبو العباس مأمون، ونكح اخته كما نكحها أخوه من قبله. ثم دعاه الى الدخول في طاعته والخطبة له كما دعا الناس فمنعه أصحابه وأتباعه ، وتوجس الخيفة من السلطان في ذلك فرجعوا الى الفتك به فقتلوه، وبايعوا ابنه داود. وازداد خوفهم من السلطان في ذلك فتعاهدوا على الامتناع ومقدّمهم التكين البخاريّ . وسار اليهم السلطان في العساكر حتى أناخ عليهم وبيتوا محمد بن ابراهيم الطائي ، وكان في مقدمة السلطان فقاتلهم الى أن وصل السلطان فهزمهم ، وأثخن فيهم بالقتل والاسر . وركب التكين السفن ناجياً فغدره الملاحون، وجاؤا به الى السلطان فقتله في جماعة من القواد الذين قتلوا مأموناً على

قبره . وبعث بالباقين الى غزنة فأخرجوا في البعوث الى الهند ، وأنزلوا هنالك في حامية الثغور وأجريت لهم الارزاق ، واستخلف على خوارزم الحاجب الترنتاش ورجع الى بلاده .

فتح كشمير وقنوج

ولما فرغ السلطان من أمر خوارزم ، وانضافت الى مملكته عدل الى بست ، وأصلح أحوالها ورجع الى غزنة . ثم اعتزم على غزو الهند سنة تسع وأربعمائة ، وكان قد دوّخ بلادها كلها ، ولم يبق عليه إلا كشمير ، ومن دونها الفيافي والمصاعب فاستنفر الناس من جميع الجهات من المرتزقة والمُتطَوّعة . وسار تسعين مرحلة ، وعبر نهر جيحون وحيلم وخيالا[1] هو وامراؤه . وبث عساكره في أودية لا يعبر عن شدّة جريها وبعد أعماقها ، وانتهى الى كشمير . وكانت ملوك الهند في تلك الممالك تبعث اليه بالخدمة والطاعة ، وجاءه صاحب درب كشمير وهو جنكي بن شاهي وشهي فأقرّ بالطاعة ، وضمن دلالة الطريق ، وسار أمام العسكر الى حصن مأمون لعشرين من رجب . وهو خلال ذلك يفتتح القلاع الى أن دخل في ولاية هردت أحد ملوك الهند فجاء طائعاً مسلماً .

ثم سار السلطان الى قلعة كلنجد من أعيان ملوكهم فبرز

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٢٨٢ : وعبر نهر سيحون وجيلوم . وهما نهران عميقان شديدا الجرية ـ فوطىء أرض الهند، وأتاه رسل ملوكها بالطاعة .

للقائه ، وانهزم . واعترضهم أنهار عميقة سقطوا فيها وهلكوا قتلاً وغرقاً ، يقال هلك منهم خمسون ألفاً . وغنم السلطان منهم مائة فيل وخمسة الى غير ذلك مما جل عن الوصف . ثم عطف الى سقطالتقيذ[1] ، وهو بيت مبني بالصخور الصمّ يشرع منها بابان الى الماء المحيط ، موضوعة ابنيته فوق التلال ، وعن جنبتيه ألف قصر مشتملة على بيوت الاصنام .

وفي صدر البلد بيت أصنام : منها خمسة من الذهب الاحمر مضروبة على خمسة أذرع في الهواء قد جعلت عينا كل واحدة منها ياقوتتين تساويان خمسين ألف دينار ؛ وعين الآخر قطعة ياقوت أزرق تزن أربعمائة وخمسين مثقالاً . وفي وزن قدمي الصنم الواحد أربعة آلاف وأربعمائة مثقال ، وجملة ما في الاشخاص من الذهب ثمانية وتسعون ألف مثقال . وزادت شخوص الفضّة على شخوص الذهب في الوزن فهدمت تلك الاصنام كلها وخربت . وسار السلطان طالباً قنوج ، وخرب سائر القلاع في طريقه ، ووصل اليها في شعبان سنة تسع ، وقد فارقها نزوجبال حين سمع بقدومه ، وعبر نهر كنك[2] الذي تغرق الهنود فيه أنفسهم ، ويذرون فيه رماد المحرقين منهم .

---

(١) كذا ، وفي الكامل : ثم سار نحو بيت متعبد لهم ـ وهو من مهرة الهند وهو من أحصن الأبنية على نهر . ولهم به من الأصنام كثير ، منها خمسة أصنام من الذهب الأحمر ، مرصعة بالجواهر .

(٢) كذا بالأصل ، وكذا في الكامل ، وهو نهر الغانج كما في الكتب الحديثة .

وكان أهل الهند واثقين بقنوج: وهي سبع قلاع موضوعة على ذلك الماء، فيها عشرة آلاف بيت للاصنام، تزعم الهنود أن تاريخها منذ مائتي ألف سنة أو ثلثمائة ألف سنة، وانها لم تزل متعبداً لهم. فلما وصلها السلطان ألفاها خالية قد هرب أهلها ففتحها كلها في يوم واحد، واستباحها أهل عسكره. ثم أخذ في السير منها الى قلعة لنج، وتعرف بقلعة البراهمة فقاتلوا ساعة، ثم تساقطوا من أعاليها على سنا الرماح وضياء الصفاح. ثم سار الى قلعة اسا وملكها جندبال فهرب وتركها، وأمر السلطان بتخريبها. ثم عطف على جندراي من أكابر الهنود في قلعة منيعة، وكان جيال ملك الهند من قبل ذلك يطلبه للطاعة والالفة فيمتنع عليه. ولحق جيال بنهوجد أحد المغرورين بحصانة المعقل فنجا بنفسه.

ورام جندراي المدافعة وثوقاً بامتناع قلعته. ثم تنصح له بهميال، ومنعه من ذلك فهرب اليه أمواله وأنصاره الى جبال وراء القلعة، وافتتحها السلطان، وحصل منها على غنائم. وسار في أتباع جندراي، وأثخن فيهم قتلًا ونهباً، وغنم منهم أموالاً وفيولاً. وبلغت الغنائم ثلاثة آلاف ألف درهم ذهباً وفضة يواقيت، والسبي كثير وبيع بدرهمين الى عشرة. وكانت الفيول تسمى عندهم جنداي داد. ثم قضى السلطان جهاده ورجع الى

غزنة فابتنى مسجدها الجامع ، وجلب اليه جذوع الرخام من الهند ، وفرشه بالمرمر ، وأعالي جدرانه بالاصباغ وصباب الذهب المفرغة من تلك الاصنام . واحتضر بناء المسجد بنفسه. نقل اليه الرخام من نيسابور ، وجعل أمام البيت مقصورة تَسَعُ ثلاثة آلاف غلام . وبنى بازاء المسجد مدرسة احتوت فيها الكتب من علوم الاوّلين والآخرين ، وأجريت بها الارزاق ، واختصت لنفسه يفضي منه اليه في أمن من العيون وامر القوّاد والحجاب وسائر الخدّام ، فبنوا بجانب المسجد من الدور ما لا يحصى . وكانت غزنة تحتوي على مربط ألف فيل ، يحتاج كل واحد منها لسياسته ومائدته خطة واسعة .

غزوة الافقانية

لما رجع السلطان الى غزنة راسل بيدو ووالي قنوج ، واسمه راجبان بدلحه ، وطال بينهما العتاب وآل الى القتال فقتل والي قنوج ، واستلحمت جنوده . وطغى بيدو ، وغلب على الملوك الذين معه ، وصاروا في جملته ، ووعدهم بردّ ما غلبهم عليه السلطان محمود . ونمي الخبر بذلك اليه فامتعض ، وسار الى بيدو فغلبه على ملكه . وكان ابتداؤه في طريقه بالافقانية طوائف من كفار الهند معتصمون بقلل الجبال ، ويفسدون السابلة فسار في بلادهم ودوّخها ، وعبر نهر كنك ، وهو واد عميق ، واذا جيبال

من ورائه فعبر اليه على عسر العبور فانهزم جيبال ، وأسر كثير من أصحابه . وخلص جريحاً ، واستأمن الى السلطان فلم يؤمّنه إلّا أن يسلم فسار ليلحق ببيدو فغدر به بعض الهنود وقتله . فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم الى السلطان في الطاعة على الأتاوة. وسار الى مدينة باري من أحصن بلاد الهند فألفاها خالية فأمر بتخريبها وعشر قلاع مجاورة لها ، وقتل من أهلها خلقاً . وسار في طلب بيدو ، وقد تحصن بنهر أدار ماءه عليه من جميع جوانبه ، ومعه ستة وخمسون ألف فارس ، وثمانون ألف راجل ، وسبعمائة وخمسون فيلًا فقاتلهم هنالك يوماً وحجز بينهم الليل فأجفل بيدو ، وأصبحت دياره بلاقع . وترك خزائن الاموال والسلاح فغنمها المسلمون ، وتتبعوا آثارهم فوجدوهم في الغياض والآكام فأكثروا فيهم القتل والاسر ، ونجا بيدو بذماء نفسه ، ورجع السلطان الى غزنة ظافراً .

فتح سومنات

كان للهند صنم يسمونه سومنات ، وهو أعظم أصنامهم في حصن حصين على ساحل البحر بحيث تلتقفه أمواجه . والصنم مبني في بيته على ستة وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص ، وهو من حجر طوله خمسة أذرع : منها ذراعان غائصان في البناء ، وليس له صورة مشخصة ، والبيت مظلم يضيء بقناديل الجوهر

الفائق ، وعنده سلسلة ذهب بجرس وزنها مائة منّ تحرّك بأدوار معلومة من الليل فيقوم عباد البرهميين لعبادتهم بصوت الجرس . وعنده خزانة فيها عدد كثير من الاصنام ذهباً وفضة ، عليها ستور معلقة بالجوهر منسوجة بالذهب تزيد قيمتها على عشرين ألف ألف دينار . وكانوا يحُجّون الى هذا الصنم ليلة خسوف القمر فتجتمع اليه عوالم لا تحصى . وتزعم الهنود أن الارواح بعد المفارقة تجتمع اليه فيبثها فيمن شاء بناء على التناسخ والمدّ والجزر عندهم ، هو عبادة البحر . وكانوا يقرّبون اليه كل نفيس ، وذخائرهم كلها عنده . ويعطون سدنته الاموال الجليلة . وكان له أوقاف تزيد على عشرة آلاف ضيعة .

وكان نهرهم المسمى كنك الذي يزعمون أنّ مصبه في الجنة ، ويلقون فيه عظام الموتى من كبرائهم ، وبينه وبين سومنات مائتا فرسخ . وكان يحمل من مائه كل يوم لغسل هذا الصنم . وكان يقوم عند الصنم من عباد البرهميين ألف رجل في كل يوم للعبادة ، وثلثمائة لحلق رؤوس الزوار ولحاهم ، وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون ، ولهم على ذلك الجرايات الوافرة . وكان كلما فتح محمود بن سبكتكين من الهند فتحاً أو كسر صنماً يقول أهل الهند : ان سومنات ساخط عليهم ، ولو كان راضياً عنهم لاهلك محموداً دونه . فاعتزم محمود بن سبكتكين الى غزوه ، وتكذيب دعاويهم في شأنه . فسار من غزنة في شعبان سنة ست

عشرة في ثلاثين ألف فارس سوى المتطوّعة ، وقطع القفر الى الملتان، وتزوّد له من القوت والماء قدر الكفاية ، وزيادة عشرين ألف حمل .

وخرج من المفازة الى حصون مشحونة بالرجال قد غوّروا آبارهم مخافة الحصار ، فقذف الله الرعب في قلوبهم ، وفتحها وقتل سكانها وكسر أصنامها ، واستقى منها الماء . وسار الى انهلوارن ، وأجفل عنها صاحبها بهيم ، وسار الى بعض حصونه . وملك السلطان المدينة ، ومرّ الى سومنات ، ووجد في طريقه حصوناً كثيرة فيها أصنام وضعوها كالنقباء والخدمة لسومنات ففتحها ، وخرّبها وكسر الاصنام. ثم سار في قفر معطش ، واجتمع من سكانه عشرون ألفاً لدفاعه فقاتلهم سراياه ، وغنموا أموالهم وانتهوا الى دبلواه على مرحلتين من سومنات فاستولى عليها ، وقتل رجالها ، ووصل الى سومنات منتصف ذي القعدة فوجد أهلها مختفين في أسوارهم ، وأعلنوا بكلمة الاسلام فوقها فاشتد القتال ، حتى حجز بينهم الليل .

ثم أصبحوا الى القتال ، وأثخنوا في الهنود. وكانوا يدخلون الى الصنم فيعنفونه ويبكون ويتضرّعون اليه ، ويرجعون الى القتال . ثم انهزموا بعد أن أفناهم القتل . وركب فلّهم السفن فأدركوا ، وانقسموا بين النهب والقتل والغرق ، وقتل منهم نحو من خمسين ألفاً . واستولى السلطان على جميع ما في البيت .

ثم بلغه أن بهيم صاحب انهلوارن اعتصم بقلعة له تسمى كندهة في جزيرة على أربعين فرسخاً من البرّ فرام خوض البحر اليها . ثم رجع عنها ، وقصد المنصورة ، وكان صاحبها ارتدّ عن الاسلام ففارقها ، وتسرّب في غياض هنالك فأحاطت عساكر السلطان بها ، وتتبعوهم بالقتل فأفنوهم. ثم سار الى بهاطية فدان أهلها بالطاعة، ورجع الى غزنة في صفر سنة سبع عشرة .

دخول قابوس صاحب جرجان وطبرستان في ولاية السلطان محمود

قد قدّمنا وفادة قابوس على الامير نوح بن منصور بن سامان ، وعامله بخراسان أبي العباس تاش مستصرخاً على بني بويه عندما ملكوا طَبَرِسْتان وجَرْجان من يده سنة احدى وسبعين ؛ وأقام بخراسان ثماني عشرة سنة ، وهم يعدونه بالنصرة والمدد حتى يئس منهم . ولما جاء سبكتكين وعده بمثل ذلك . ثم شغله شغل بني سيجور ، ثم وعده السلطان محمود، وشغلته فتنة أخيه . واستولى أبو القاسم بن سيجور على جرجان بعد مهلك فخر الدولة بن بويه. ثم أمر من ببخارى بالمسير الى خراسان فسار الى اسفراين، واستمدّ قابوس رجال الديلم والجبل فأمدّوه، وظاهروه على أمره حتى غلب على طبرستان وجرجان ، وملكها كما يذكر في أخبار الديلم والجبل . وكان نصر بن الحسن بن الفيرزان، وهو ابن عمّ ماكان ابن كالي ينازعه فيها فآل الحال بنصر الى أن اعتقله بنو بويه

بالري ، واستقل قابوس بولاية جرجان وطبرستان وديار الديلم كلها من ممالك محمود .

استيلاء السلطان محمود على الري والجبل

كان مجد الدولة بن فخر الدولة صاحب الريّ ، وكان قد ضعف أمره ، وأدبرت دولته . وكان يتشاغل بالنساء والكتاب نسخاً ومطالعة . وكانت أمّه تدبر ملكه فلما توفيت انتقضت أحواله ، وطمع فيه جنده . وكتب الى محمود يشكو ذلك ، ويستدعي نصرته فبعث اليه جيشاً عليهم حاجبه ، وأمره أن يقبض على مجد الدولة فقبض عليه وعلى ابنه أبي دُلَف عند وصوله . وطير بالخبر الى السلطان فسار في ربيع من سنة عشرين ، ودخل الري وأخذ أموال مجد الدولة ، وكانت ألف ألف دينار ، ومن الجواري قيمة خمسمائة ألف دينار ، ومن الثياب ستة آلاف ثوب ، ومن الآلات ما لا يحصى . ووجد له خمسين زوجة ولدن نيفاً وثلاثين ولداً فسئل عن ذلك فقال : هذه عادة . وأحضر مجد الدولة وعنفه ، وعرض له بتسفيه رأيه في الانتصار عن جندراي منه ، وبعثه الى خراسان فحبس بها .

ثم ملك السلطان قزوين وقلاعها ، ومدينة ساوه وآوه ، وصلب أصحاب مجد الدولة من الباطِنِيَّة . ونفى المعتزلة الى خراسان ، وأحرق كتب الفلسفة والاعتزال والنجوم ، وأخذ مما سوى ذلك

من الكتب مائة حمل . وتحصن منه منوجهر بن قابوس ملك الجيل بالجبال الوعرة فقصده فيها ، ولم تصعب عليه فهرب منوجهر وتحصن بالغياض ، وبعث له بخمسمائة ألف دينار استصلاحاً فقبلها ، ورجع عنه الى نيسابور . وتوفي منوجهر عقب ذلك ، وولي بعده ابنه أنوشروان فأقرّه السلطان على ولايته ، وقرّر عليه خمسمائة ألف دينار ضريبة . وخُطِبَ للسلطان محمود في بلاد الجيل الى أرمينية ، وافتتح ابنه مسعود زِنْجان وأبهر من يد ابراهيم السيلار بن المرزبان من عقب شوذان بن محمد بن مسافر الديلمي ، وجميع قلاعه ، ولم يبق بيده الا شهرزان قرر عليه فيها ضريبة كما يأتي في أخبار الديلم . ثم أطاعه علاء الدولة بن كاكويه بأصفهان ، وخطب له ، وعاد السلطان الى خراسان . واستخلف بالريّ ابنه مسعوداً فقصد أصفهان وملكها من علاء الدولة ، واستخلف مسعود عليها بعض أصحابه ، وعاد عنها فثار أهلها بعامله ، وقتلوه فرجع اليهم واستباحهم ، ثم عاد الى الري فأقام بها .

استيلاء السلطان محمود على بخارى ثم عوده عنها

كان ايلك خان ملك الترك وصاحب تركستان لما ملك بخارى من يد بني سامان سنة تسعين وثلثمائة ولي عليها ، ورجع الى بلاده كما مرّ ، وكان الغز أحياء بادية بضواحي بخارى ، وزعيمهم أرسلان بن سلجوق عم السلطان طغرلبك . وكان بينه وبين ايلك

خان وأخيه بقراخان حروب وفتن ، بسبب استظهار بني سامان بهم . فلما ملك ايلك خان بخارى عرف لارسلان بن سيجور حقه ورفع محله ، وهو مع ذلك مستوحش . وكان علي تكين أخو ايلك خان، وحبس أرسلان ولحق ببخارى فاستولى عليها، وطلب موالاة أرسلان بن سيجور فوالاه واستفحل أمرهما. ونهض اليهما ايلك خان وقاتلهما فهزماه. واستوثق أمر تكين في بخارى. وكان يسيء جوار السلطان محمود بن سبكتكين في أعماله ، ويعترض رسله المتردّدين الى ملوك الترك فأحفظ ذلك السلطان، وأجمع المسير اليه فنهض من بلخ سنة عشرين وأربعمائة ، وعبر النهر وقصد بخارى فهرب منها تكين ولحق بايلك خان. ودخل السلطان بخارى، وملك سائر أعمالها ، وأخذ الجزية من سمرقند . وأجفلت أحياء الغزّ وارسلان بن سلجوق ، وتلطف في استدعائه . فلما حضر عنده تقبض عليه ، وبعثه الى بعض قلاع الهند وحبسه بها . وسار الى أحياء الغز فنهبهم ، وأثخن فيهم قتلًا وأسراً ، ورجع الى خراسان .

خبر السلطان محمود مع الغز بخراسان

لما حبس السلطان أرسلان بن سلجوق، ونهب أحياءهم أجلاهم عن ضواحي بخارى فعبروا نهر جيحون الى خراسان ، وامتدّت فيهم أيدي العمال بالظلم والتعدّي في أموالهم وأولادهم فتفرّقوا .

وجاءت منهم طائفة في أكثر من ألفي خركاه الى كرمان، ثم الى أصفهان ، وكانوا يسمون العراقية. وطائفة الى جبل بكجان عند خوارزم القديمة، وعاث كل منهم فيما سار فيه من البلاد. وبعث السلطان الى علاء الدولة بأصفهان لردّ الذين ساروا اليه الى الري وقبلهم، وحاول ذلك بالغدر فلم يستطع، وحاربهم فهزموه وساروا عنه الى اذربيجان ، وأفسدوا ما ساروا عليه وصانعهم وهشوذان صاحب اذربيجان وآنسهم . وكان مقدّموهم : بوقا و كوكاش ومنصور ودانا. وأمّا الذين ساروا الى خوارزم القديمة فكثر عيثهم في تلك النواحي . وأمر السلطان محمود صاحب طوس أرسلان الحاجب أن يسير في طلبهم فاتبعهم سنتين . ثم جاء السلطان على أثره فشردهم على نواحي خراسان ، واستخدم بعضهم . وكان أمراؤهم : كوكاش وبوقا وقزل ويغمر وتاصفلي .

ولما مات السلطان محمود استخدمهم ابنه مسعود أيضاً، وساروا معه من غزنة الى خراسان فسألوه فيمن بقي منّهم بجبل بكجان عند خوارزم فأذن لهم أن يسهلوا الى البسائط على شرط الطاعة. ثم انتقض أحمد نيال عامل الهند فسار مسعود اليه ، وولى على خراسان تاش، وكثر عيث هؤلاء الغز في البلاد فأوقع بهم تاش، وقتل أميرهم يغمر . وبعث السلطان مسعود من أجلاهم عن البلاد ، ومثل بهم بالقتل والقطع والصلب . فساروا الى الريّ طالبين اذربيجان للحاق بالعراقية منهم كما مرّ ذكرهم فملكوا

الدامغان ونهبوهـا ، ثم سمنان . ونهبوا جوار الري وايجاباذ ومشكوبة من أعمال الريّ ، وخربوا كل ما مرّوا عليه من القرى والضياع فاجتمع لحربهم تاش وأبو سهل الحمدوني صاحب الري . وسار اليهم تاش في العساكر والفيله على التعبية ، ولقوه مستميتين ، وسبق اليه أحياؤهم فهزموه وقتلوه .

ثم ساروا الى الريّ فهزموا أبا سهل الحمدوني وعسكره ، ولحق بقلعة طبول ، ونهبوا الري واستباحوا أموالها. وجاء عسكر من جرجان فاعترضوه وكبسوه ، وأثخنوا فيهم قتلًا وأسراً ، ومضوا الى اذربيجان ليجتمعوا بالعراقية . ثم رجع علاء الدولة بن كاكويه الى أصفهان بعد مسيرهم من الري ، وطلبوا مولاه أبا سهل على طاعة مسعود فلم يتم وعاث الغز في اذربيجان ، وأوقع بهم وهشوذان وقتل منهم ، وجمع عليهم أهل اذربيجان وأوقع بهم ففارقوها اشفاقاً من نيال وأخيه طغرلبك ، وافترقوا بين الموصل وديار بكر فملكوها ونهبوها وعاثوا في نواحيها ، كما مرّ ذكره في أخبار قرواش صاحب الموصل وابن مروان صاحب ديار بكر .

هذه أخبار أرسلان بن سلجوق مفصلة إلّا ما اختصر منها بالري واذربيجان فانه يأتي في مواضعه من دولة الديلم . وأمّا طغرلبك واخوته داود وبيقو ، وأخوه لامّه نيال المسمى بعد الاسلام ابراهيم فانهزموا وأقاموا بعد سلجوق ببلاد ما وراء النهر .

وكان بينهم وبين علي تكين صاحب بخارى حروب ظهر عليهم فيها فعبروا جيحون الى خوارزم وخُراسان ، وكان من أخبارهم فيها ومآل أمرهم الى الملك والدولة ما يأتي ذكره.

افتتاح نرسي من الهند

كان السلطان محمود قد استخلف على الهند من مواليه أحمد نيال تكين ، فغزا سنة احدى وعشرين مدينة نرسي من أعظم مدن الهند في مائة ألف مقاتل، فنهب وخرب الاعمال واستباحها. وجاء الى المدينة فدخلها من أحد جوانبها ، واستباحها يوماً ولم يستوعبها حتى خرجوا فباتوا بظاهرها خوفاً على أنفسهم من أهل البلد . وقسموا الاموال كيلًا ، وأرادوا العود من الغد فدافعهم أهلها ، ورجع أحمد نيال بعساكره الى بلده .

وفاة السلطان محمود وولاية ابنه محمد

ثم توفي السلطان محمود في ربيع سنة احدى وعشرين وأربعمائه ، وكان ملكاً عظيماً استولى على كثير من الممالك الاسلامية ، وكان يعظم العلماء ويكرمهم ، وقصدوه من أقطار البلاد . وكان عادلاً في رعيته رفيقاً بهم محسناً اليهم، وكان كثير الغزو والجهاد، وفتوحاته مشهورة . ولما حضرته الوفاة أوصى بالملك لابنه محمد وهو ببلخ ، وكان أصغر من مسعود الا أنه كان مقبلًا عليه

ومعرضاً عن مسعود . فلما توفي بعث أعيان الدولة الى محمد بخبر الوصية واستحثوه ، وخطب له في أقاصي الهند الى نيسابور ، وسار الى غزنة فوصلها لاربعين يوماً ، واجتمعت العساكر على طاعته ، وقسم فيهم الاعطيات .

خلع السلطان محمد ابن السلطان محمود وولاية ابنه الأخ مسعود الأكبر

لما توفي السلطان محمود كان ابنه مسعود بأصفهان فسار الى خراسان ، واستخلف على اصفهان فثار أهلها بخليفته وعسكره فقتلوهم ، فعاد اليهم مسعود وحصرها وافتتحها عنوة واستباحها. ثم استخلف عليها، وسار الى الري ومنها الى نيسابور . وكتب الى أخيه محمد بالخبر وانه لا ينازعه ، ويقتصر على فتحه من طبرستان وبلد الجبل وأصفهان، ويطلب تقديمه على محمد في الخطبة فأحفظه ذلك ، واستحلف العساكر . وسار الى مسعود ، وكان أكثر العساكر يميلون الى مسعود لقوّته وشجاعته وعلوّ سنه . وأرسل التوتناش صاحب خوارزم وكان من أصحاب السلطان محمود يشير على محمد بترك الخلاف فلم يسمع ، وسار فانتهى الى بكياباد أوّل رمضان من سنته . وأقام وكان مشتغلاً باللعب عن تدبير الملك فتفاوض جنده في خلعه والادالة منه بأخيه مسعود . وتولى كبر ذلك عمه يوسف بن سبكتكين ، وعلي حشاوند صاحب أبيه . وحبسوا محمداً بقلعة بكياباد ، وكتبوا بالخبر الى

مسعود ، وارتحلوا اليه بالعساكر فلقوه بهراة فقبض على عمه ، وعلى صاحب أبيه ، وعلى جماعة من القواد . واستقرّ في ملك أبيه شهر ذي القعدة من سنته ، وأخرج الوزير أبا القاسم أحمد بن الحسن السيمندي من محبسه ، وفوّض اليه الوزارة وأمور المملكة . وكان أبوه قبض عليه سنة ست عشرة وصادره على خمسة آلاف دينار . ثم سار الى غزنة فوصلها منتصف اثنتين وعشرين ، ووفدت عليه رسل جميع الملوك من جميع الآفاق ، واجتمع له ملك خُراسان وغَزْنَة والهِنْـد والسِّنْد وسِجِسْتان وكَرمـان ومَكْران والري وأَصْفَهان والجَبَل ، وعظم سلطانه .

عود أصفهان الى علاء الدولة بن كاكويه ثم رجوعها للسلطان مسعود

كان فناخر مجد الدولة بن بويه صاحب أصفهان ، وملكها السلطان محمود من يده فهرب عنها ، وامتنع بحصن قصران . وأنزل السلطان محمود ابنه مسعوداً بأصفهان ، وأنزل معه علاء الدولة ابن كاكويه فاستقل بها ، وسار عنه مسعود . ثم زحف اليه وملكها من يده ، ولحق علاء الدولة بخوزستان يستنجد أبا كليجار ابن سلطان الدولة . وسار عنه الى تستر ليستمدّ له من أخيه جلال الدولة العساكر لمعاودة أصفهان . وكان ذلك عقب فتنة وحرب بين أبي كليجار وأخيه جلال الدولة فوعده أبوه بذلك اذا اصطلحا ، وأقام عنده الى أن توفي السلطان محمود . ولما توفي السلطان محمود

جمع قناخر جمعاً من الديلم والاكراد ، وقصد الري ، وقاتله نائبه مسعود فهزمه ، ودفعه عن الري ، وفتك في عسكره قتلًا وأسراً. وعاد قناخر الى بلده ، وبلغ الخبر الى علاء الدولة بموت السلطان محمود ، وهو عند أبي كليجار بخوزستان ، وقد أيس من النصر فبادر الى أصفهان فملكها ، ثم همذان . وقصد الري فقاتله نائب مسعود ، ورجع الى أصفهان . ثم اقتحموا عليه البلد عنوة ، ونجا علاء الدولة الى قلعة قردخان على خمسة عشر فرسخاً من هَمَذان ، وخطب لمسعود بالريّ وجرجان وَطَبَرِسْتان .

فتح التيز ومكران وكرمان ثم عود كرمان لأبي كليجار

كان صاحب ألتيز ومكران لما توفي خلّف ولدين أبا العساكر وعيسى ، واستبدّ عيسى منهما بالملك فسار أبو العساكر الى خراسان مستنجداً بمسعود فبعث معه عسكراً ودعوا عيسى الى الطاعة فامتنع ، وقاتلوه فاستأمن كثير من أصحابه الى أبي العساكر فانهزم عيسى وقتل في المعركة . واستولى أبو العساكر على البلاد وملكها . وخطب فيها للسلطان مسعود ، وذلك سنة اثنتين وعشرين . وفي هذه السنة ملك السلطان مسعود كرمان ، وكانت للملك أبي كليجار بن سلطان الدولة فبعث اليها السلطان مسعود عساكر خراسان ، فحاصروا مدينة بردسير ، وشدّوا في حصارها ، واستبدّ الى أطراف البلاد . ثم وصل عسكر أبي كليجار الى

جيرفت ، واتبعوا الخراسانية بأطراف البلاد فعاود هزيمتهم ، ودخلوا المفازة الى خراسان ، وعاد العساكر الى فارس .

فتنة عساكر السلطان مسعود مع علاء الدولة بن كاكويه وهزيمته

قد تقدّم لنا هزيمة علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه من الريّ ، ونجاته الى قلعة قردخان . ثم سار منها الى يَزْدَجُرْد ومعه فرهاد ابن مرداويج مدداً له . وبعث صاحب الجيوش بخراسان عسكراً مع ابن عِمْران الدَّيْلَمِيّ لاعتراضهما ، فلما قاربها العسكر فرّ فرهاد الى قلعة شكمين ، ومضى علاء الدولة الى سابور خرات، وملك علي بن عمران يزدجرد. ثم ارسل فرهاد الى الاكراد الذين مع علي بن عمران ، وداخلهم في الفتك به ؛ وشعر بذلك فسار الى همذان ، ولحقه فرهاد فاعتصم بقلعة في طريقه منيعة ؛ وكادوا يأخذونه لولا عوائق الثلج والمطر في ذلك اليوم ، وكانوا ضاحين من الخيام فتركوه ورجعوا عنه . وبعث ابن عمران الى تاش قرواش صاحب جيوش خراسان يستمدّه في العسكر الى همذان . وبعث علاء الدولة يستدعي أبا منصور ابن أخيه من أصفهان بالسلاح والاموال ففعل . وسار علي بن عمران من هَمَذان لاعتراضه فكبسه بجرباذقان ، وغنم ما معه ، وقتل كثيراً من عسكره وأسره ، وبعث به الى تاش قرواش صاحب جيوش خراسان ، وسار الى همذان . وزحف اليه علاء الدولة وفرهاد فانقسموا عليه ،

وجاؤه من ناحيتين فانهزم علاء الدولة ، ونجا الى أصفهان ، وفرّ هارباً الى قلعة شمكين فتحصن بها .

مسير السلطان مسعود إلى غزنة والفتن بالري والجبل

لما استولى السلطان على أمره سار من غزنة الى خراسان لتمهيد أمورها ، وكان عامله وعامل أبيه على الهند أحمد نيال تكين قد استفحل فيها أمره ، وحدثته نفسه بالاستبداد فمنع الحمل وأظهر الانتقاض فسار السلطان الى الهند ، ورجع أحمد نيال الى الطاعة . وقام علاء الدولة باصفهان ، وأظهر الانتقاض ، ومعه فرهاد بن مرداويج فزحف اليهم أبو سهل وهزمهم ، وقتل فرهاد ، ونجا علاء الدولة الى جبال أصفهان وجرباذقان فامتنع بها . وسار أبو سهل الى اصفهان فملكها سنة خمس وعشرين ، ونهب خزائن علاء الدولة ، وحمل كتبه الى غزنة . وأحرقها الحسين الغوري بعد ذلك .

عود أحمد نيال تكين الى العصيان

ولما عاد السلطان الى خراسان لقتال الغزّ عاد أحمد نيال تكين الى العصيان بالهند ، وجمع الجموع فبعث السلطان سنة ست وعشرين اليه جيشاً كثيفاً . وكتب الى ملوك الهند بأخذ المذاهب عليه . فلما قاتله الجيوش انهزم ومضى هارباً الى ملتان ، وقصد

منها بهاطية ، وهو في جمع فلم يقدر ملك بهاطية على منعــه . وأراد عبور نهر السند في السفن فهيأ له الملك ليعبر الى جزيرة وسط النهر ظنها متصلة بالبر ، وأوصى الملك الملاحين أن ينزلوه بها ويرجعوا عنه . وعلموا انها منقطعة فضعفت نفوسهم ، وأقاموا بها سبعة أيام ففنيت أزوادهم وأكلوا دوابهم ، وأوهنهم الجوع . وأجاز اليهم ملك بهاطية فاستوعبهم بالقتــل والغرق والاسر ، وقتل أحمد نفسه .

فتح جرجان وطبرستان

كانت جرجان وطبرستان وأعمالها لدارا بن منوجهر بن قابوس ، وكان السلطان مسعود قد أقرّه عليها فلما سار السلطان الى الهند ، وانتشر الغز في خراسان منع الحمــل ، وداخل عــلاء الدولة بن كاكويه وفرهاد بن ماكان في العصيان . فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز عن خراسان ، سار الى جرجان سنة ست وعشرين فملكها . ثم سار الى آمد فملكها وفارقها أصحابها ، وافترقوا في الغياض فتبعهم ، وقتــل منهم وأسر . ثم راسله دارا في الصلح وتقرير البلاد عليه ، وحمل ما بقي عليه فأجابه السلطان الى ذلك ورجع الى خراسان .

مسير علاء الدولة الى أصفهان وهزيمته

كان أبو سهل الحمدوني قد أنزله السلطان باصفهان[1] ودلهم على النواحي القريبة من علاء الدولة فأوقع بهم وغنم ما معهم، وقوي طمعه بذلك في أصفهان فجمع الجموع. وسار اليها فخرج اليهم أبو سهل وقاتلهم، وتحيّز من كان مع علاء الدولة من الاتراك الى أبي سهل فانهزم علاء الدولة، ونهب سواده وسار الى بروجرد، ثم الى الطرم فلم يقبله ابن السلار صاحبها.

استيلاء طغرلبك على خراسان

كان طغرلبك وأخواه بيقو وحقريبك، واسم طغرلبك محمد، ولما أسر السلطان محمود أرسلان بن سلجوق وحبسه كما مرّ وأجاز أحياء من الغزّ الى خراسان فكان من أخبارهم ما قدّمناه، وأقام طغرلبك واخوته في أحيائهم بنواحي بخارى. ثم حدثت الفتنة بينهم وبين علي تكين صاحب بخارى، وكانت بينهم حروب ووقائع، وأوقعوا بعساكره مراراً فجمع أهل البلاد عليهم، وأوقع بهم واستلحمهم واستباحم فانحازوا الى خراسان سنة ست وعشرين،

(١) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص ١٠: سار طائفة من العساكر الخراسانية التي مع الوزير أبي سهل الحمدوني بأصبهان يطلبون الميرة، فوضع عليهم علاء الدولة من أطمعهم في الامتيار من النواحي القريبة منه فساروا إليها ولا يعلمون قربه منهم، فلما أتاه خبرهم خرج إليهم وأوقع بهم وغنم ما معهم.

واستخدموا لصاحب خوارزم وهو هرون بن التونتاش . وغدر بهم فساروا عنه الى مفازة نسا ؛ ثم قصدوا مرو ، وطلبوا الامان من السلطان مسعود على أن يضمنهم أمان السابلة فقبض على الرسل ، ولم يجبهم على ما سألوا . وبعث العساكر فأوقعوا بهم على نسا ، ثم طار شررهم في البلاد ، وعمّ ضررهم .

وسار السلطان ألب أرسلان الى نيسابور ففارقها أبو سهل الحمدوني فيمن معه ، واستولى عليها داود . وجاء أخوه طغرلبك على أثره ، ولقيهم رسل الخليفة اليهم والى العراقية الذين قتلهم بالري وهمذان يعنفهم وينهاهم عن الفساد ، ويطمعهم فتلقوا الرسل بالاعظام والتكرمة . ثم امتدّت عين داود الى نهب نيسابور فمنعه طغرلبك ، وعرّض له بشهر رمضان ووصية الخليفة فلجّ فقوي طغرلبك في المنع وقال : والله لئن نهبت لأقتلنّ نفسي فكف داود عن ذلك ، وقسطوا على أهل نيسابور ثلاثين ألف دينار فرقوها في أصحابهم . وجلس طغرلبك على سرير ملك مسعود بدار الملك ، وصار يقعد للمظالم يومين في الاسبوع على عادة ولاة خراسان ، وكانوا يخطبون للملك مسعود مغالطة وايهاماً .

مسير السلطان مسعود من غزنة الى خراسان واجلاء السلجوقية عنها

ولما بلغ الخبر الى السلطان مسعود باستيلاء طغرلبك والسلجوقية على نيسابور ، جمع عساكره من غزنة ، وسار الى خراسان فنزل

بلخ في صفر سنة ثلاثين ، وأصهر الى بعض ملوك الخانيّة دفعاً لشرّه. واقطع خوارزم ، ولحق اسمعيل بطغرلبك. ثم أراح السلطان مسعود ، وفرغ من خوارزم والخانية فبعث السلطان سباسي فسار اليهم في العساكر فلم يشف نفسه ، ونزل سرخس ، وعدلوا عن لقائه ، ودخلوا المفازة التي بين مرو وخوارزم . واتبعهم السلطان مسعود وواقعهم في شعبان من هذه السنة فهزمهم فما بعدوا حتى عادوا في نواحيه ، فأوقع بهم أخرى. وكان القتلى فيها منهم ألفاً وخمسمائة ، وهربوا الى المفازة .

وثار أهل نيسابور بمن عندهم وقتلوهم ، ولحق فلّهم باصحابهم في المفازة . وعدل السلطان الى هَراة ليجهز العساكر ليطلبهم فبلغه الخبر بأنّ طغرلبك سار الى استراباذ ، وأقام بها في فصل الشتاء يظن أنّ الثلج يمنعهم عنه فسار السلطان اليه هنالك ، ففارقها طغرلبك وعدل عن طوس الى جبال الريّ التي كان فيها طغرلبك وأصحابه ، وقد امتنعوا بجبالهم خوفاً من السلطان ، لما كان منهم من موالاة السلجوقية فأغذّ اليهم السير ، وصبحهم فتركوا أهلهم وأموالهم واعتصموا بوعر الجبل ، وغنمت عساكره جميع ما استولوا عليه . ثم صعد اليهم بنفسه وعساكره ، وهلك كثير من العسكر بالثلج في شعاب الجبل . ثم ظفروا بهم في قنة الجبل واستلحموهم . وسار مسعود الى نيسابور في جمادى سنة احدى وثلاثين ليريح ويخرج في فصل الربيع لطلبهم في المفاوز .

ثم عاد طغرلبك وأصحابه من المفازة ، وبعث اليهم السلطان بالوعيد فيقال ان طغرلبك قال لكاتبه ، اكتب اليه :﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ الآية ، ولا تزده عليها . ولما ورد الكتاب على السلطان مسعود كتب اليه وآنسه بالمواعيد ، وبعث اليه بالخلع وأمره بالرحيل الى آمل الشط على جيحون . وأقطع نسا لطغرلبك، ودهستان لداود ، وبدارة لبيقو ، وسمى كل واحد منهم بالدهقان فلم يقبلوا اشياء من ذلك ولا وثقوا به ، وأكثروا من العيث والفساد . ثم كفُّوا عن ذلك ، وبعثوا الى السلطان مسعود يخادعونه بالطاعة ببلخ ، ورغبوه في أن يسرّح اليهم أخاهم ارسلان المحبوس بالهند فبعث اليه السلطان مسعود ، وجاؤا بارسلان من الهند . ولما لم يتم بينهم أمر باعادته الى محبسه .

هزيمة السلطان مسعود واستيلاء طغرلبك على مدائن خراسان وأعمالها

ولما تغلبت السلجوقية على نواحي خراسان ، وفضوا عساكر السلطان ، وهزموا الحاجب سباسي اهتز السلطان لذلك ، وأجمع لخراسان الحشدّ وبث العطاء وأزاح العلل . وسار من غزنة في الجيوش الكثيفة والفيلة العديدة على التعبية المألوفة ، ووصل الى بلخ ، ونزل بظاهرها . وجاء داود باحيانه فنزل قريباً منه ، وأغار يوماً على معسكره فساق من باب الملك مسعود عدّة من الجنائب المقربات ، معها الفيل الاعظم ، وارتاع الملك لذلك . وارتحل مسعود

من بلخ في رمضان سنة تسع وعشرين ، ومعه مائة ألف مقاتل . ومرّ بالجوزجان فصلب الوالي الذي كان بهـا للسلجوقية ، وانتهى الى مرو الشاهجان . ومضى داود الى سرخس ، واجتمع معه أخوه طغرلبك وبيقو ، وبعث اليهم السلطان في الصلح فوفد عليه بيقو فأكرمه السلطان وخلع عليه ، وأجابه هو عن أصحابه بالامتناع من الصلح للخوف من السلطان .

وسار من عند السلطان فسقط في يده[1] وسار في اتبـاعهم من هراة الى نيسابور ، ثم سرخس . كلما تبعهم الى مكان هربوا منه الى آخر ، حتى أظلهم فصل الشتاء فأقاموا بنيسابور ينتظرون انسلاخه فانسلخ ، والسلطان عاكف على لهوه غافل عن شأنه ، حتى انقضى زمن الربيع . واجتمع وزراؤه وأهل دولته وعذلوه في اهمال أمر عدوّه فسار من نيسابور الى مرو في طلبهم ، فدخلوا المفـازة فدخل وراءهم مرحلتين ، وقد ضجر العسـكر من طول السفر وعنائه . وكانوا منذ ثلاث سنين منقلبين فيه منذ سفرهم مع سباسي فنزل بعض الايام في منزلة على قليل من الماء ، وازدحم الناس على الورود ، واستأثر به أهل الدولة والحاشية فقاتلهم عليه الجمهور ، ووقعت في العساكر لذلك هيعة .

(١) العبارة مشوشة. فالسلطان يطلب الصلح ، وبيقو يجيب «بـالامتناع» والسلطان لا يفعـل شيئاً إزاء الجواب فلماذا «سقط في يده» وهو لم يعد السلطان شيئاً ويخـالفه. والعبـارة التي بعدهـا غير واضحة أيضاً. ولدى مراجعة الكامـل لابن الأثير م ٨ ص ١٧ ومـا بعدهـا وجدنـا هذه الأحـداث مذكورة في حوادث سنة ٤٣٠ و ٤٣٢ بعبارات مطولة مشوشة أكثر مما هي هنا.

وخالفهم الدعرة الى الخيام ينهبون ويتخطفون . وكان داود وأحياؤه متابعاً للعسكر على قرب يتخطف الناس من حولهم فشعر بتلك الهيعة ، فركب في قومه ، وصدم العساكر ، وهمّ في تلك الحال فولوا منهزمين ، والسلطان والوزير ثابتان في موقفهما يحرضان الناس على الثبات فلم يثبت أحد ، فانصرفا مع المنهزمين في فلّ ، واتبعهم داود وأثخن فيهم بالقتل . ثم رجع الى العسكر ، وقد غنمه أصحابه فآثرهم بالغنائم ، وقسم فيهم ما حصل له . وقعد على كرسيّ السلطان ، وأقام عسكره ثلاثة أيام ولياليها خشية من كرّ العساكر السلطانية عليهم . ونجا السلطان الى غزنة فدخلها في شوّال سنة احدى وثلاثين ، وقبض على سباسي وغيره من الامراء وسار طغربلك الى نيسابور فملكها آخر احدى وثلاثين ، ونهب عسكره أهلها ، وكان بها هرج عظيم من الدعرة . وكانوا ينالون من الناس بالنهب والزنا والقتل فارتدعوا لذلك لهيبة طغربلك ، وسكن الناس .

وملك السلجوقية البلاد فسار بيقو الى هراة فملكها ، وسار داود الى بلخ وبها الحاجب التونتاش فاستخلفه السلطان عليها فأرسل اليه داود في الطاعة فسجن الرسل ، وحاصره داود . وبعث السلطان مسعود جيشاً كثيفاً لامداده . ودفع السلجوقية عن البلاد فسار فريق منهم الى الرخج فدفعوا من كان بها من السلجوقية ، وهزموهم وافحشوا في قتلهم وأسرهم . وسار فريق منهم الى

بيقو في هراة فقاتلوه ودفعوه عنها. ثم بعث السلطان ابنه مودود بعساكر أخرى، وجعل معه وزيره أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد يدبره فسار عن غزنة سنة اثنتين وثلاثين. فلما قارب بلخ وداود يحاصرها، بعث داود جماعة من عسكره فلقوا طلائع مودود فهزمهم. فلما وصلت منهزمة تأخر مودود عن نهايته، وأقام وسمع التوتناش باحجام مودود عنه فأطاع داود وخرج اليه.

خلع السلطان مسعود ومقتله وولاية أخيه محمد مكانه

ولما بعث السلطان ولده مودود الى خراسان لمدافعة السلجوقية عنها، وأقام بعده سبعة أيام، وخرج من غزنة في ربيع سنة اثنتين وثلاثين يريد الهند للمشتى به على عادة أبيه، ويستنفر الهنود لقتال السلجوقية. واستصحب أخاه محمدا المسمول معه. وكان أهل الدولة قد ضجروا منه فتفاوضوا في خلعه وولاية أخيه محمد، وأجمعوا ذلك فلما عبروا نهر سيحون وتقدّم بعض الخزائن فتخلف أنوش تكين البلخي في جماعة من الغلمان الفداوية، ونهبوا بقية الخزائن، وبايعوا لمحمد المسمول، وذلك في منتصف ربيع الآخر من السنة. وافترق العسكر، واقتتلوا وعظم الخطب، وانهزم السلطان محمود، وحاصروه في رباط هناك. ثم استنزلوه على الامان. وخيره أخوه محمد في السكنى فاختار مسعود قلعة كيدي فبعث اليها، وأمر باكرامه.

ورجع محمد بالعساكر الى غزنة ، وفوّض الى ابنه أحمد أمر دولته . وكان أهوج فاعتزم على قتل عمه مسعود ، وداخل في ذلك عمه يوسف وعلي خشاوند فوافقوه عليه ، وحرّضوه فطلب من أبيه خاتمه ليختم به بعض خزائنهم ، وبعث بهم الى القلعة مع بعض خدمه ليؤدّي رسالة مسعود ، وهو بخراسان يعتذر بأنّ أولاد أحمد نيال تكين قتلوا السلطان مسعود قصاصاً بأبيهم فكتب اليه يتوعده . ثم طمع الجند في السلطان محمد ومدوا أيديهم الى الرعايا ونهبوها . وخربت البلاد وارتحل عنها محمد . وكان السلطان مسعود شجاعاً كريماً غزير الفضل حسن الخط سخياً محباً للعلماء مقرّباً لهم محسناً اليهم والى غيرهم من ذوي الحاجات ، كثير الصلوات والعطاء والجوائز للشعراء ، حليت تصانيف العلوم باسمه ، وكثرت المساجد في البلاد بعمارته . وكان ملكه فسيحاً . ملك أصْفَهان وهَمَذان والريّ وَطَبَرِسْتان وجَرْجان وخُراسان وخَوَارِزم وبلاد الداورن وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور ، وأطاعه أهل البرّ والبحر ، وقد صنف في أخباره ومناقبه .

مقتل السلطان محمد وولاية مودود بن أخيه مسعود

لما بلغ الخبر بمقتل السلطان مسعود الى ابنه مودود بخراسان سار مجدّاً في عساكره الى غزنة فلقيه عمه محمد في شعبان سنة اثنتين وثلاثين ، وانهزم محمد وقبض عليه وعلى ابنيه أحمد وعبد الرحمن

وعلي أنوش تكين البلخي الخصيّ وعلي علي خشاوند وقتلهم أجمعين، الا عبد الرحمن لرفقه بأبيه مسعود عند القبض عليه. وقتل كل من داخل في قبض أبيه وخلعه، وسار سيرة جدّه محمود. وبلغ الخبر الى اهل خراسان فثار أهل هراة بمن عندهم من السلجوقية فأخرجوهم، وتشوّف أهل خراسان للنصر على الغزّ من قبل مودود، وكان أبوه السلطان مسعود قد بعث ابنه الآخر الي الهند أميراً عليها سنة ست وعشرين. فلما بلغه موت أبيه بايع لنفسه، وقفل الى لهاور والملتان فملكها، وأخذ الاموال، وجمع العساكر، وأظهر الخلاف على أخيه مودود. وحضر عيد الاضحى فأصبح ثالثه ميتاً بلهاور، بعد ان كان مودود يجهز العساكر من غزنة لقتاله، وهو في شغل شاغل من أمره ففرغ عن الشواغل، ورسخت قدمه في ملكه. وخالفه السلجوقية بخراسان، وخاطبه خان الترك من وراء النهر بالانقياد والمتابعة.

استيلاء طغرلبك على خوارزم

كانت خوارزم من ممالك محمود بن سبكتكين وابنه مسعود من بعده، وكان عليها التونتاش حاجب محمود من أكابر امرائه ووليها لهما معاً. ولما شغل مسعود بفتنة أخيه محمد عند مهلك أبيهما أغار علي تكين صاحب بخارى من أطراف البلاد وغيرها فلما فرغ مسعود من مراجعة محمد، واستقل بالملك بعث الى التونتاش بالمسير

الى أعمال علي وانتزاع بخارى وسمرقند منه ، وأمدّه بالعساكر فعبر جيحون سنة أربع وعشرين ، وأخذ من بلاد تكين كثيراً فأقام بها ، وهرب تكين بين يديه . ثم دعته الحاجة الى الاموال للعساكر ، ولم يكن في جبايته تلك البلاد . وجاء بها فاستأذن في العود الى خوارزم ، وعاد واتبعه علي تكين ، وكبسه على غرّة فثبت وانهزم علي تكين ، ونجا الى قلعة دبوسية .

وحاصره التوتناش وضيق عليه فبعث اليه واستعطفه فأفرج عنه ، وعاد الى خوارزم ، وكانت به جراحة من هذه الوقعة فانتقض عليه ومات . وترك من الولد ثلاثة وهم : هرون ورشيد واسمعيل . وضبط وزيره أحمد بن عبد الصمد البلد والخزائن حتى جاء هرون الاكبر من الولد من عند السلطان بعهده على خوارزم ، ثم توفي المتميدي وزير السلطان مسعود ، وبعث على أبي نصر لوزارته ، واستناب أبو نصر عند هرون بخوارزم ابنه عبد الجبار. ثم استوحش من هرون وسخطه ، وأظهر العصيان في رمضان سنة خمس وعشرين فاختفى عبد الجبار خوفاً من غائلته ، وسعى عند السلطان مسعود .

وكتب مسعود الى شاه ملك بن علي أحد ملوك الاطراف بنواحي خوارزم بالمسير لقتال اسمعيل فسار ، وملك البلد فهزمها ، وهرب اسمعيل ، وشكر الى طغرلبك وداود صريخين فسار داود الى خوارزم فلقيهما شاه ملك وهزمهما . ثم قتل مسعود ، وملك

ابنه مودود فدخل شاه ملك بأمواله وذخائره في المفاوز الى دَهِسْتان ثم الى طَبس ، ثم الى نواحي كرمان، ثم الى أعمال البتر ومكران. وقصد ارتاش أخا ابراهيم نيال ، وهو ابن عم طغرلبك في أربعة آلاف فارس فأسره ، وسلمه الى داود واستأثر هو بما غنم من أمواله . ثم أعاد ارتاش الى باذغيس، وأقام على محاصرة هراة على طاعة مودود بن مسعود فامتنعوا منه خوفاً من معرة هجومه عليهم.

مسير العساكر من غزنة الى خراسان

ولما ملك الغزّ خُراسان ، واستولوا على سائر أملاكها وأعمالها واستولى طغرلبك على جرْجان وطَبَرِسْتان وخَوارِزْم ، وابراهيم نيال على هَمَذان وعلى الريّ والجبل ؛ وولى على خراسان وأعمالها داود بن ميكايل ، وبعث السلطان أبو الفتح مودود عساكره مع بعض حجابه الى خراسان سنة خمس وثلاثين فسرّح اليهم داود ابنه ألبْأرسلان في العساكر فاقتتلوا ، وكان الغلب لألْب ارسلان. وعاد عسكر غزنة مهزوماً ، وسار عسكر من الغزّ إلى نواحي بست وعاثوا وأفسدوا فبعث أبو الفتح مودود اليهم عسكراً فقاتلهم ، وانهزموا وظفر عسكر مودود بهم وأثخنوا فيهم.

مسير الهنود لحصار لهاور وامتناعها وفتح حصون أخرى من بلادهم

وفي سنة خمس وثلاثين اجتمع ثلاثة من ملوك الهند على لهاور

فجمع مقدّم العساكر الاسلاميّة هناك عسكره، وبعثهم للدفاع عنها. وبعث الى السلطان مودود، وحاصرها الثلاثة ملوك. ثم أفرج الآخران وعادا الى بلادهما. وسارت عساكر الاسلام في اتباع أحدهما وهو دوبالي هربابة فانهزم منهم، وامتنع بقلعة له هو وعساكره، وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين الف راجل. وحاصرهم المسلمون حتى استأمنوا، وسلموا ذلك الحصن وجميع الحُصون التي من أعمال الملك، وغنموا أموالهم، وأطلقوا من كان في الحصون من أسرى المسلمين بعد ان أعطوهم خمسة آلاف ثم ساروا الى ولاية الملك الآخر واسمه باس الريّ فقاتلوه وهزموه وقتل في المعركة هو وخمسة آلاف من قومه، وأسر الباقون، وغنم المسلمون ما معهم. وأذعن ملوك الهند بعدها بالطاعة، وحملوا الاموال وطلبوا الامان والاقرار على بلادهم فأجيبوا.

وفاة مودود وولاية عمه عبد الرشيد

ثم توفي أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بغزنة لعشر سنين من ولايته في رجب سنة احدى واربعين، وقد كان كاتب فأجابوه [1] وجمع كليجار صاحب اصفهان العساكر، وسار

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ٥٣: وكان قد كاتب أصحاب الأطراف في سائر البلاد، ودعاهم إلى نصرته وإمداده بالعساكر، وبذل لهم الأموال الكثيرة، وتفويض أعمال خراسان ونواحيها إليهم على قدر مراتبهم فأجابوا إلى ذلك. منهم أبو كاليجار صاحب أصبهان فإنه جمع عساكره، وسار في المفازة فهلك كثير من عسكره ومرض وعاد.

في المفازة لنصره فمرض في طريقه ورجع. وسار خاقان الى تِرْمِذ لنصره، وطائفة اخرى مما وراء النهر الى خوارِزْم. وسار مودود من غزنة فعرض له بعد رحيله من غزنة مرض القولنج فعاد الى غزنة، وبعث الى وزيره أبي الفتح عبد الرزاق ابن احمد المتميدي في العساكر الى سجستان لانتزاعها من الغز. ثم اشتد وجعه فات ونصب ابنه للأمر خمسة أيام. ثم عدل الناس عنه الى عمه علي بن مسعود، وكان مسعود لأول ولايته قبض على عمه عبد الرشيد أخي محمود، وحبسه بقلعة بطريق بست. فلما قاربها الوزيرأبو الفتح وبلغه وفاة مودود، نزل عبد الرشيد الى العسكر فبايعوا له، ورجعوا به الى غزنه فهرب علي بن مسعود واستقرّ الامر لعبد الرشيد، ولقب سيف الدولة، وقيل جمال الدولة. واستقام أمر السُلجوقِيَّة بخُراسان، واندفعت العوائق عنهم.

مقتل عبد الرشيد وولاية فرخزاد

كان لمودود صاحب اسمه طغرل، وجعله حاجباً ببابه. وكان السلجوقية قد ملكوا سجستان، وصارت في قسم بيغو أخي طغرلبك، وولّى عليها أبا الفضل من قبله فأشار طغرلبك على عبد الرشيد بانتزاعها منهم، وألح عليهم في ذلك فبعث اليها طغرل في ألف فارس، فحاصر حِصْن الطاق أربعين يوماً. وكتب أبو الفضل من سجستان يستنجده. وسار طغرل، ولما سمع أصوات البوقات

والدبادب، وأخبر أنه بيقو فتحاجزوا، وعلم أنه تورط ولقيهم مستميتاً فهزمهم وسار الى هَراة. واتبعهم طغرل فرسخين، وعاد الى سجستان فملكها، وكتب الى عبد الرشيد بالخبر، واستمدّه لغزو خراسان فأمدّه بالعساكر. ثم حدّثته نفسه بالملك فأغذّ السير الى غزنة حتى كان على خمسة فراسخ منها، كتب الى عبد الرشيد باستيحاش العسكر، وطلبهم الزيادة في العطاء فشاور أصحابه فكشفوا له وجه المكيدة في ذلك. وحذروه من طغرل فصعد الى قلعة غزنة وتحصن بها. وجاء طغرل من الغد فنزل في دار الامارة، وأرسل أهل القلعة في عبد الرشيد فأسلموه اليه فقتله، واستولى على ملكهم. وتزوّج ابنة السلطان عبد الرشيد [1] ويحضهم على الاخذ بثاره فأجابوا ودخلوا عليه في مجلسه[2] وقتلوه وجاء خرخيز الحاجب لخمسة ايام من قتله، وجمع وجوه القواد وأعيان البلد، وبايع فرخاد بن السلطان مسعود، وقام بتدبير دولته

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ٦١: فقتله واستولى على البلد وتزوج ابنة مسعود كرهاً. وكان في الأعمال الهندية أمير يسمى خرخيز، ومعه عسكر كثير، فلما قتل طغرل عبد الرشيد واستولى على الأمر كتب إليه ودعاه إلى الموافقة والمساعدة على إنجاح الأعمال من أيدي الغز ووعده على ذلك وبذل البذول الكثيرة فلم يرض فعله، وأنكره، وامتعض منه، وأغلظ له في الجواب، وكتب إلى ابنة مسعود بن محمود زوجة طغرل ووجوه القواد ينكر ذلك عليهم، ويوبخهم على أغضائهم وصبرهم على ما فعله طغرل من قتل ملكهم وابن ملكهم ويحثهم على الأخذ بثأره.

(٢) كذا وفي الكامل: فلما وقفوا على كتبه عرفوا غلطهم. ودخل جماعة منهم على طغرل، ووقفوا بين يديه فضربه أحدهم بسيفه.

وقتل الساعين في (١) الى غزنة، ولقي الغز وهزمهم. ودخل غزنة فملكها من أيديهم. ثم سار من غزنة الى كرمان وسوران فملكها. وكرمان هذه بين غزنة والهند، وليست كرمان المعروفة. ثم سار غياث الدين الى نهر السند ليعبر الى لهاور كرسي خسرو شاه بن بهرام شاه فبادر خسرو شاه ومنعه العبور فرجع، وملك ما يليه من جبال الهند وأعمال الانبار. وولى على غزنة أخاه شهاب الدين ورجع الى فيروزكوه.

استيلاء الغورية على لهاور ومقتل خسروشاه وانقراض دولة بني سبكتكين

ولما ولي شهاب الدين الغوري غزنة أحسن السيرة فيهم، وافتتح جبال الهند مما يليه فاستفحل ملكه، وتطاول الى ملك لهاور قاعدة الهند من يد خسرو شاه فسار سنة تسع وسبعين في

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ٦٢: وجمع وجوه القواد وأعيان أهل البلد وقال لهم: قد عرفتم ما جرى مما خولفت به الديانة والأمانة، وأنا تابع، ولا بد للأمر من سائس فاذكروا ما عندكم من ذلك فأشاروا بولاية فرخزاد بن مسعود بن محمود، وكان محبوساً في بعض القلاع فأحضر وأجلس بدار الامارة. وأقام خرخيز بين يديه يدبر الأمور، وأخذ من أعان على قتل عبد الرشيد فقتله، فلما سمع داود أخو طغرلبك صاحب خراسان قتل عبد الرشيد جمع عساكره، وسار إلى غزنة فخرج إليه خرخيز ومنعه، وقاتله فانهزم داود، وغنم ما كان معه. ولما استقر ملك فرخزاد وثبت قدمه جهز جيشاً جراراً إلى خراسان فاستقبلهم الأمير كلسارغ وهو من أعظم الأمراء فقاتلهم، وصبر لهم فظفروا به، وانهزم أصحابه عنه، وأخذ أسيراً، وأسر معه كثير من عسكر خراسان ووجوههم وأمرائهم. فجمع ألب أرسلان عسكراً كثيراً، وسير والده داود في ذلك العسكر إلى الجيش الذي أسروا كلسارغ فقاتلهم وهزمهم، وأسر جماعة من أعيان العسكر فأطلق فرخزاد الأسرى، وخلع على كلسارغ وأطلقه.

عسكر عزنة والغور، وعبر اليها وحاصرها، وبذل الامان لخسرو شاه وأنكحه ابنته وسوّغه ما يريد من الاقطاع على أن يخرج اليه، ويخطب لاخيه فأبى من ذلك. وأقام شهاب الدين يحاصره حتى ضاق مخنقه. وخذله أهل البلد فبعث القاضي والخطيب يستأمنان له فأمنه ودخل شهاب الدين، وبقي خسرو شاه عنده مكرماً. وبقي شهرين ينتظر المعونة من يد غياث الدين فأنفذ خسرو شاه اليه فارتاب من ذلك، وأمنه شهاب الدين وحلف له، وبعث به وبأهله وولده مع جيش يحفظونهم. فلما وصلوا بلد الغور حبسهم غياث الدين ببعض قلاعه فكان آخر العهد به. وانقرضت دولة بني سبكتكين بموته، وكان مبدؤها سنة ست وستين وثلثمائة فتكون مدّة الدولة مائتين وثلاث عشر سنة.

دولة الترك[٧]

الخبر عن دولة الترك في كاشغر وأعمال تركستان وما كان لهم من الملك في الملة الاسلامية بتلك البلاد وأولية أمرهم ومصاير أحوالهم

كان هؤلاء الترك ملوك تركستان، ولا أدري أولية أمرهم بها إلا أنّ أوّل من أسلم منهم سبق قراخان، وتسمى عبد الملك وكانت له تركستان، وقاعدتها كاشغر وساغون وخيمو وما يتصل

بها الى أوان المفازة المتصلة بالصين في ناحية الشمال عنهم ، أعمال طراز والشاش وهي للترك أيضاً . إلّا أنّ ملوك تركستان أعظم ملكاً منهم بكثير . وفي المغرب عنهم بلاد ما وراء النهر التي كان ملكها لبني سامان وكرسيهم بخارى . ولما أسلم ملكهم عبد الكريم سبق أقام على ملكه بتلك الناحية ، وكان يطيع بني سامان هو وعقبه يستنفرونهم في حروبهم ، الى ان ملك عهد الامير نوح بن منصور في عشر التسعين والثلثمائة على حين اضطراب دولة بني سامان ، وانتقاض عمالهم بخراسان .

وانتقض أبو علي بن سيجور فراسل بقراخان وأطمعه في ملك بخارى فطمع بقراخان في البلاد . ثم قصد أعمال بني سامان وملكها شيئاً فشيئاً . وبعث الامير نوح اليه العساكر مع قائده أنج فلقيهم بقراخان وهزمهم ، وأسر أنج وجماعة من القواد . وسار فائق الى بقراخان واختص به ، وصار في جملته . ورجع الامير نوح الى بخارى كما مرّ من قبل ، وهلك بقراخان في طريقه .

وفاة بقراخان وملك أخيه ايلك خان سليمان

ولما ارتحل بقراخان من بخارى ، وهو على ما به من المرض أدركه الموت في طريقه فمات سنة ثلاث وثمانين ، وكان ديناً عادلا حسن السيرة محباً للعلماء وأهل الدين مكرماً لهم ، متشيّعاً سنياً . وكان موالياً لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما مات ولي

بعده أخوه ايلك خــان سليان ، ولقبه شهير الدولة . واستوثق ملكه بتركستان وأعمالها ، ووفد عليه فائق بعد حروبه بخراسان مع جيوش الامير نوح وسبكتكين وابنــه محمود ، ولحق بــه مستصرخاً فــأكرمه ووعده ، وكتب الى الامير نوح يشفع في فائق وان يوليه سمرقندفولاه عليها وأقام بها .

استيلاء ايلك خان على ما وراء النهر

لما عاد بقراخان على بخارى وعاد اليهــا الامير نوح ، وقد كان من أبي علي بن سيجور واجلائه عن خراسان مــا كان استدعى الامير نوح مولاه سبكتكين بعد ذلك ، واختلف ابناه بكثرزون ومنصور كما تقدّم ذلــك سنة خمس وثمــانين . ثم هلك سبكتكين كما تقدّم ذلك كله قبل ، ثم استوحش بكثرزون من منصور واتفق مع فــائق على خامه فخلعه وسمله بخراسان سنة تسع وثمانين ، وكان فــائق خصياً من موالي نوح بن منصور . وهذه الاخبار كلها مستوفاة في دولة بني سامان . ثم بلغ الخبر الى ايلك خان فطمع في ملك بخارى وأعمالها ، وسار في جموع الترك الى بخارى موريا بالمحامــاة عن عبد الملــك والنصرة له وخرج بكثرزون والامراء والقواد للقــائه فقبض عليهم ، وسار فدخــل بخارى عاشر ذي القعدة من سنة تسع وثمانين ، ونزل دار الامارة وظفر بعبد الملك فحبسه فانكدر حتى مات . وحبس معه أخاه

المخلوع أبا الحرث منصور، وأخويه الآخرين اسمعيل ويوسف ابني نوح، وأعمامه محموداً وداود وغيرهم وانقرضت دولة بني سامان والبقاء لله.

ثورة اسمعيل الى بخارى ورجوعه عنها

قد تقدّم لنا أنّ اسمعيل فرّ من محبسه ولحق بخوارزم، واجتمع اليه قوّادهم، وبايعوه ولقّبوه المستنصر. وبعث قائداً من أصحابه الى بخارى ففرّ من كان بها من عساكر ايلك خان فهزمهم، وقتل منهم وحبس. وكان النائب بها جعفر تكين أخي ايلك خان فحبسه، واتبع المنهزمين الى سمرقند. ولحق اسمعيل باحياء الغزّ وجمعوا عليه. وجاء ايلك خان في جيوشه، والتقوا فانهزم ايلك خان، وأسروا قواده، وغنموا سواده، ورجعوا الى بلادهم. وتشاوروا في الاسرى فارتاب بهم اسمعيل، وعبر النهر، وانضمت اليه فتيان سمرقند. واتصل الخبر بأيلك خان فجمع والتقى هو واسمعيل، وهزمه بنواحي أسروشنة، وعبر النهر الى نواحي الجوزجان، ثم الى مرو. وبعث محمود العساكر في اثره من خراسان، وكذلك قابوس من جرجان فعاد الى ما وراء النهر، وقد ضجر أصحابه، ونزل بحيّ من العرب فأمهلوه الليل وقتلوه. واستقرّت بخارى في ملك ايلك خان، وولّى عليها أخوه علي تكين.

عبور ايلك خان الى خراسان

قد تقدم لنا ما كان انعقد بين ايلك خان ومحمود من المواصلة. ثم دبت عقارب السعاية بينهما؛ وأكثر محمود من غزو بلاد الهند. ولما سار الى الملتان اغتنم ايلك خان الفرصة في خراسان، وبعث سباسي تكين صاحب جيشه وأخاه جعفر تكين الى بلخ في عدة من الامراء، وأرسلان الحاجب. فسار أرسلان الى غزنة، وملك سباسي هراة وأقام بها، وبعث الى نيسابور عسكراً فاستولى عليها. وبادر محمود بالرجوع من الهند، وفرّق العطايا وأزاح العلل، واستنفر الاتراك الخَلَنْجِيَّه. وسار الى جعفر تكين ببلخ ففارقها الى تِرْمِذ، وبعث العساكر الى سباسي بهراة ففارقها الى مرو ليعبر النهر، فاعترضه التركمان فأوقع بهم، وسار الى أبيورد والعساكر في اتباعه. ثم سار الى خراسان فاعترضه محمود وهزمه، وأسر أخاه وجماعة من قواده، وعبر النهر الى أيلك، وأجلى عساكره وأصحابه من خراسان، فبعث ايلك خان الى قراخان ملك الخُتَّل فاستنفر الترك الغُزّية والخلنجية والهنود، وعسكر على فرسخين من بلخ، وتقدّم ايلك وقراخان في عساكرهما، ونزلوا قبالته، واقتتلوا يوماً الى الليل، ومن الغد اشتدّت الحرب ونزل الصبر. ثم حمل محمود في الفِيَلَة على ايلك خان في القلب فاختل المصافّ، وانهزم الترك،

واتبعهم عساكر محمود، وأثخنوا فيهم بالقتل والاسر الى ان عبر النهر، وانقلب ظافراً غانماً، وذلك سنة سبع وتسعين وثلثمائة

وفاة ايلك خان وولاية أخيه طغان خان

ثم هلك ايلك خان سنة ثلاث واربعمائة، وكان موالياً للسلطان محمود، ومظاهراً[1] له على أخيه طغان خان. فلما ولي تجدد ما بينه وبين السلطان من الولاية، وصلحت الاحوال وانمحت آثار الفتنة في خراسان وما وراء النهر.

وفاة طغان خان وولاية أخيه ارسلان خان

ثم توفي طغان خان ملك الترك سنة ثمان وأربعمائة بعد ان كان له جهاد مع أمم من الترك خرجوا من الصين في زهاء ثلثمائة ألف وقصدوا بلاده في ساغون، وهال المسلمين أمرهم فاستنفر طغان طوائف المسلمين وغيرهم، واستقبلهم فهزمهم، وقتل منهم نحو مائة ألف، وأسر مثلها، ورجع الباقون منهزمين. ومات طغان اثر ذلك، وولي بعده أخوه ارسلان. وكان من الغريب الدال على قصد ايمان

---

(١) يفهم من العبارة أن طغان خان لم يكن متفقاً مع أخيه في الموالاة للسلطان. ولكن كلمة «تجدد» تعطي العكس. وكلمة «تظاهر» تعني «تعاون» و «تدابر» وفي الكامل ج ٧ ص ٢٦٨ : فلما توفي ايلك خان ولي بعده أخوه طغان فراسل يمين الدولة وصالحه وقال له: المصلحة للإسلام والمسلمين أن تشتغل أنت بغزو الهند واشتغل أنا بغزو الترك وأن يترك بعضنا بعضاً، فوافق ذلك هواه فأجابه إليه وزال الخلاف.

طغان انه كان عند خروج الترك الى بلاد ساغون عليلاً، فلما بلغه الخبر تضرع لله ان يعافيه حتى ينتقم من هؤلاء الكفرة ويدفعهم عن البلاد، فاستجاب الله دعاءه. وكان محباً لاهل العلم والدين. ولما توفي واصل أرسلان خان الولاية مع السلطان محمود، وأصهر الى ابنه مسعود في بعض كرائمه فاستحكم الاتصال بينهما.

انتقاض قراخان على ارسلان وصلحه

كان ارسلان خان قد ولى على سمرقند قراخان يوسف بن بقراخان هرون الذي ملك بخارى، فانتقض عليه سنة تسع وأربعمائة وكاتب السلطان محمود صاحب خراسان يستظهر به على ارسلان خان، فعقد السلطان على جيحون جسراً من السفن محكمة الربط بسلاسل الحديد، وعبر اليه. ثم خام عن لقائه فعاد الى خراسان وانقطعت الموالاة بينه وبين أرسلان خان، وتصالح مع قراخان واتفقا على محاربة السلطان محمود، والمسير الى بلاده فسار الى بلخ، وقاتلهما السلطان قتالاً شديداً حتى انهزم الترك، وعبروا النهر الى بلادهم. وكان من غرق أكثر ممن نجا، وعبر السلطان في اثرهم، ثم رجع عنهم.

أخبار قراخان

الذي يظهر من كلام ابن الاثير: ان قراخان ولي بلاد الترك

بتركستان وساغون، فانه ذكره عقب هذا الخبر بالعدل وحسن السيرة وكثرة الجهاد. ثم قال عقب كلامه: فمن فتوحاته ختن بين الصين وتركستان، وهي كثيرة العلماء والفضلاء. ثم قال: وبقي كذلك الى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة فتوفي فيها. ولما توفي خلف ثلاثة بنين: أرسلان خان وكنيته أبو شجاع، ولقبه شرف الدولة، وبقراخان، ولم يذكر الثالث. والظاهر انه شرف الدولة. قال: وكان لارسلان كاشغر وختن وساغون، وخطب له على منابرها وكان عادلاً مكرماً للعلماء وأهل الدين محسناً لهم، وقصده كثير منهم فأكرمهم. قال: وكان لبقراخان طراز واسبيجاب. ووقعت الفتنة بين بقراخان وارسلان فغلبه بقراخان وحبسه وملك بلاده. وقال في موضع آخر: كان يقنع من اخوته وأقاربه بالطاعة فقسم البلاد بينهم، وأعطى أخاه أرسلان تكين كثيراً من بلاد الترك، وأعطى أخاه طراز واسبيجاب، واعطى عمه طغان خان فرغانَة بأسرها، وأعطى ابنه علي تكين بخارى وسمرقند وغيرهما. وقنع هو ببلاد ساغونَ وكاشغر.

قال: وفي سنة خمس وثلاثين أسلم كثير من كفار الترك الذين كانوا يطرقون بلاد الاسلام بنواحي ساغون وكاشغر ويعيشون فيها ويصيفون ببلاد بلغار فأسلموا، وافترقوا في البلاد، وبقي من لم يسلم التتر والخطا في نواحي الصين انتهى. ورجع الى بقراخان الاوّل وقال فيه: حبس أخاه ارسلان خان وملك بلاده،

ثم عهد بالملك لولده الأكبر واسمه حسين جعفر تكين . وكان له ولد آخر أصغر من حسين اسمه ابراهيم فغارت أمه لذلك ، وقتلت بقراخان بالسم ، وخنقت أخاه ارسلان في محبسه . ثم استلحمت وجوه أصحابه وأمرائه ، وملكت ابنها ابراهيم سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وبعثته في العساكر الى برسخان ، مدينة بنواحي تركستان ، وكان صاحبها يسمى نيال تكين . فانهزم ابراهيم ، وظفر به نيال تكين وقتله . واختلف اولاد بقراخان وفسد أمرهم ، وقصدهم طقفاج خان صاحب سمرقند وفرغانة ، فأخذ من اولاد بقراخان الملك[1] من ايديهم .

الخبر عن طقفاج خان وولده

كان بسمرقند وفرغانة أيام بني بقراخان واخوته ملك من الترك الخانية اسمه نصر ايلك ، ويلقب عماد الدولة ، ويكنّى أبا المظفر . ثم فلج سنة اثنتين وأربعمائة ومات ، وقد عهد بملكه لابنه شمس الدولة نصر فقصده أخوه طغان خان ابن طقفاج وحاصره بسمرقند ، وبيّته شمس الدولة فهزمه وظفر به . وكان ذلك في حياة أبيها . ثم جاء بعد مماته الى محاربة شمس الدولة بقراخان هرون بن قدرخان يوسف وطغرك خان ، وكان طقفاج قد استولى على ممالكه وحاصره بسمرقند ، ولم يظفروا به ورجعوا

(١) كذا، وتصويب العبارة: فأخذ الملك من أيدي أولاد بقراخان.

عنه . وصارت أعمال الخانية كلها في أيديهما والاعمال المتاخمة لسبحون لشمس الدولة ، والتخم بينهما خَجَنْدة . وكان السلطان ألبأرْسلان قد تزوّج بابنة قدرخان ، وكانت قبله زوجاً لمسعود بن محمود بن سبكتكين .

وتزوّج شمس الدولة بابنة البارسلان شمس الملك ، وذلك سنة خمس وستين وملكها[1] ونقل ذخائرها الى سمرقند . وخاف أهل بلخ منه فاستأمنوا اليه وخطبوا له فيها لان[2] ارباس البارسلان سار الى الجوْزَجان ، وجاء اليها التكين ، وولى عليها وعاد الى ترمذ فثار أهل بلخ بأصحابه وقتلوهم فرجع اليهم ، وأمر باحراق المدينة ، ثم عفا عنهم وصادر التجار . وبلغ الخبر الى البارسلان فعاد من الجوزجان وسار في العساكر الى ترمذ في منتصف سنة خمس فلقيه التكين وهزمه ، وغرق كثير من اصحابه في النهر . ثم استقامت الامور للسلطان ملك شاه فسار الى ترمذ سنه ست وستين ، وحاصرها ورماها بالمنجنيق ، وطمّ

---

(١) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص ١١٤ : فقصد ترمذ أول ربيع الآخر وفتحها ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها إلى سمرقند.

(٢) في العبارة غموض شديد. فإذا لاحظنا عبارة ابن الأثير التي ترفع النقص في العبارة السابقة كانت بلخ خاضعة لألب أرسلان فما علاقة «ارباس» بها؟ ويظهر أن كلمة «ارباس» زائدة وأن الذي ذهب إلى الجوزجان ألب أرسلان نفسه. ويؤيد ذلك قوله فيما بعد: «وبلغ الخبر إلى البأرسلان فعاد من الجوزجان إلخ» وعليه فالذي ذهب إلى الجوزجان البأرسلان لا أرباس الذي زاد في غموض العبارة. وعبارة ابن الأثير: وكان أياز بن ألب أرسلان قد سار عن بلخ إلى الجوزجان فخاف أهل بلخ فأرسلوا إلى التكين يطلبون منه الأمان فأمنهم فخطبوا فيها.

خندقها حتى استأمن أهلهـا واعتصم بقلعتهـا أخو التـكين . ثم استأمن وأطلقه السلطان الى أخيه. ثم سار ملك شاه الى سمرقند ففارقها ، وبعث أخوه السلطان في الصلح فأجابه وردّه الى سمرقند . ورجع السلطان الى خراسان انتهى .

قال ابن الاثير : ثم مات شمس الدولة ، وولي بعده أخوه خضر خان . ثم مات خضر خان فولي بعده ابنه أحمد خان. وكان أحمد هذا أسره ملك شاه في سمرقند لما فتحها ، ووكل به جماعة من الديلم فلقن عنهم معتقدات الاباحة والزندقة . فلما ولي أظهر الانحلال فاعتزم جنده على قتله ، وتفاوضوا في ذلك مع نائبه بقلعة قاشان فأظهر العصيان عليه ، فسار في العساكر ، وحاصر القلعة. وتمكن جنده منه فقبضوا عليه ، ورجعوا به الى سمرقند فدفعوه الى القضاة وقتلوه بالزندقة . وولوا مكانه مسعود خان ابن عمه.

قال ابن الاثير : وكان جدّه من ملوكهم ، وكان أصم . وقصده طغان خان ابن قراخان صاحب طراز فقتله ، واستولى على الملك ، وولّى على سمرقند أبا المعالي محمد بن محمد بن زيد العلوي فوليها ثلاث سنين . ثم عصى عليه فحاصره وأخذه فقتله . ثم خرج طغـان خان الى ترمذ فلقيه السلطان سنجر ، وظفر بـه وقتله ، وأخذها منه عمر خان . وملك سمرقند ، ثم هرب من جنده الى خوارزم فظفر به السلطان أحمد . وولي سمرقند محمد خان ، وولي بخارى محمد تـكين .

وقال ابن الاثير في ذكر كاشغر وتركستان: انها كانت لارسلان خان بن يوسف قدرخان كما ذكرنا. ثم صارت لمحمود نورا خان صاحب طراز والشاش فلكها سنة وثلاثة أشهر، ثم مات فولي بعده طغراخان بن يوسف قدرخان، وملك بلاد ساغون وأقام ست عشرة سنة. ثم توفي فلك ابنه طغرل تكين شهرين. ثم جاء هرون بقراخان بن طقفاج نوراخان، وهو أخو يوسف طغرل خان فلك كاشغر، وقبض على هرون، واستولى على ختن، وما يتصل به الى ساغور، وأقام عشرين سنة، وتوفي سنة ست وتسعين وأربعمائة فولي بعده أحمد بن ارسلان خان، وبعث اليه المستظهر بالخلع، ولقبه نور الدولة.

مقتل قدرخان صاحب سمرقند

قال ابن الاثير، سنة خمس وتسعين وأربعمائة: ولما سار سنجر الى بغداد مع أخيه السلطان محمد، طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند في خراسان فخالف اليها سنجر بعد رجوعه اليها، وقد عظم الخلاف بين بركيارق وأخيه محمد. وكان بعض أمراء سنجر اسمه كنذعري يكاتب قدرخان ويغريه ويستحثه الى البلاد، فسار قدرخان الى بلخ سنة سبع وتسعين في مائة ألف. وبادر سنجر اليها في ستة آلاف فلما تقاربا لحق كنذعري بقدرخان فبعثه الى ترمذ وملكها. وجاء الخبر الى سنجر بأنّ قدرخان نزل

قريباً من بلخ ، وأنه خرج متصيداً في ثلثمائة فارس فجرّد اليه عسكراً مع أميره بُرْغُش فهزمهم ، وجاء بكنذعري وقدرخان أسيرين . وقيل انه وقع بينهما مصاف وانهزم قدرخان وأسر فقتله سنجر ، وسار الى ترمذ فحاصرها حتى استأمن اليه كنذعري فأمّنه ، ولحق بغزنة . وكان محمد ارسلان خان ابن سليمان بن داود بقراخان نازلا بمرو فبعث عنه السلطان سنجر ، وولاه على سمرقند ، وهو من نسل الخانية مما وراء النهر ، وأُمه بنت السلطان سنجر ، وولي ملك شاه (١) دفع عن ملك آبائه فقصد مرو، وأقام بها فلما قتل قدر خان ولاه سنجر أعماله، وبعث معه العساكر الكثيرة فاستولى عليها، واستفحل ملكه. ثم انتقض عليه من أمراء الترك تيمورلنك؛ وجمع وسار الى محمد خان بسمرقند وغيرها فاستنجد محمد خان بالسلطان سنجر فأنجده بالعساكر ، وسار الى تيمورلنك فهزمه وفضّ جموعه ، ورجعت العساكر اليه .

انتقاض محمد خان عن سنجر

ثم بلغ السلطان سنجر سوء سيرة محمد في رعيته واهماله لاوامر السلطان فسار اليه سنة سبع وخمسمائة فخاف محمد خان غائلته ،

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٨ ص ٢١٣ : وكان هذا محمد خان من أولاد الخانية بما وراء النهر، وأمه ابنة السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو وأقام بها إلى الآن.

وبعث الى الامير قماج أعظم أمراء سنجر يعتذر ويسأله الصلح فشرط عليه الحضور عند السلطان فاعتذر بالخوف، وأنه يقف من وراء جيحون، ويقبل الارض من هنالك فأجيب الى ذلك، ووقفوا بعدوة النهر حتى وافى محمد خان بشرطه وسكنت الفتنة،

استيلاء السلطان سنجر على سمرقند

كان السلطان سنجر لما ملك سمرقند، ولى عليها ارسلان خان بن سليمان بقراخان داود فأصابه الفالج، واستناب ابنه نصر خان فوثب به اهل سمرقند وقتلوه. وتولى كبر ذلك اثنان منهم أحدهما علوي، وكان أبوه محمد المفلوج غائباً فعظم عليه، وبعث عن ابنه الآخر من تركستان فجاء وقتل العلوي وصاحبه. وكان والد ارسلان خان قد بعث الى السلطان سنجر يستحثه قبل قدوم ابنه الآخر فسار سنجر لذلك. فلما قدم الى أبيه ارسلان، وقتل قاتلي أخيه، بعث ارسلان الى السلطان سنجر يعرفه، ويسأله العود الى بلده فغضب لذلك، وأقام أياماً. ثم جيء اليه بأشخاص، واعترفوا بأن محمداً خان بعثهم لقتله فغضب، وسار الى سمرقند فملكها عنوةً وتحصّن محمد خان ببعض الحصون حتى استنزله سنجر بالامان بعد مدة وأكرمه. وكانت بنته تحبه فبعثه اليها وأقام عندها، وولّى على سمرقند حسين تكين ورجع الى خراسان. ومات حسين تكين فولي بعده عليها محمود بن محمد خان أخا زوجته.

استيلاء الخطا على تركستان
وبلاد ما وراء النهر وانقراض دولة الخانية

نقل ابن الاثير هذا الخبر عن اضطراب عنده فيه، على أن أخبار هذه الدولة الخانية في كتابه ليست جلية ولا متضحة، وأرجو ان مدّ الله في العمر أن أحقق أخبارها بالوقوف عليها في مظان الصحة وألخصها مرتبة، فاني لم أوفها حقها من الترتيب لعدم وضوحها في نقله. وحاصل ما قرّر في هذا الخبر من أحد طرقه أنه قال: ان بلاد تركستان وهي كاشغر وبلاد ساغون وختن وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ما وراء النهر كانت بيد الملوك الخانية من الترك، وهم من نسل فراسياب ملكهم الاول المنازع لملوك الكينية من الفرس. وأسلم جدّهم الاوّل سبق قراخان. ويقال سبب اسلامه انه رأى في منامه رجلاً نزل من السماء فقال له باللسان التركي ما معناه: اسلم تسلم في الدنيا والآخرة فأسلم في منامه، وأصبح مظهراً لاسلامه. ولما مات قام مقامه ابنه موسى، واتصل الملك في عقبه الى ارسلان خان بن محمد بن سليمان سبق فخرج عليه قدرخان في ملكه سنة أربع وتسعين واربعمائة. واجتمع الترك عليه، وكانوا طوائف فكان منهم القارغلية، وبقية الغز الذين عبروا الى خراسان ونهبوها على ما مرّ.

وكان لارسلان ابن اسمه نصرخان ، وفي صحابتـه شريف علويّ اسمه الاشرف محمد بن أبي شجاع السمرقندي فحسن له طلب الملك من أبيه ، وأطمعه فيه فقتلهما ارسلان . ثم وقعت بينه وبين القارغلية من الترك وحشة دعتهم الى الانتقاض والعصيان ، واستنجد بالسلطان سنجر فعبر جيحون بعساكره سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ووصل الى سمرقند وهرب القـارغلية بين يديه . ثم عثر على رجالة استراب بهم فقبض عليهم ، وتهدّدهم فذكروا أنّ ارسلان خان وضعهم على قتله فرجع الى سمرقند ، وملك القلعة وبعث ارسلان أميراً الى بلخ فمات بها . وقيل انه اختراع منه ، ووضع هذه الحكاية وسيلة لذلك .

ثم ولى السلطان سنجر على سمرقند فلج طمغاج ، وهو أبو المعـالي الحسن بن علي المعروف بحسين تـكين ، كان من أعيان بيت الخانية فلم تطل أيامه . ومـات فولى سنجر مكانه محمود ابن أخته ، وهو ابن السلطان ارسلان فأقام ملكاً عليها . وكان ملك الصين كوخان قد وصل الى كاشغر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة في جيوش كثيفة . ومعنى كو ، بلسان أهـل الصين أعظم ، وخـان سمة ملوك الترك . وكان أعور ، وكان يلبس لبسة ملوك الترك ، وهو مانويّ المذهب . ولما خرج من الصين الى تركستان انضاف اليه طوائف الخطا من الترك ، وكانوا قد خرجوا قبله من

الصين ، وأقـاموا في خدمة الخانية أصحاب تركستان فانضافوا الى كو ، ملك الصين ، وكثف جمعه بهم .

وزحف اليـه صاحب كاشغر ، وهو الخان أحمد بن الحسين بجموعه فهزمه ، وأقامت طوائف الخطا معه في تلك البلاد . وكان سبب خروجهم من الصين ونزولهم ساغون ان ارسلان محمد كان يستنجد بهم ، ويجري عليهم الارزاق والاقطاعات ، وينزلهم مسالح في ثغوره . ثم استوحشوا منـه ونفروا وطلبوا الرحلة الى غير بلده ، وارتادوا البلاد واختاروا منها بلد الساغون فساروا اليها ، وردد عليهم ارسلان الغزو . ولما جاء كوخان ملك الصين صاروا في جملته حتى اذا رجع زحفوا الى بلاد تركستان فملكوها بلداً بلداً . وكانوا اذا ملكوا المدينة يأخـذون ديناراً من كل بيت ولا يزيدون عليه ، ويكلفون من يطيعهم من الملوك ان يعلق في منطقته لوحاً من فضة علامة على الطاعة . ثم ساروا الى بلاد ما وراء النهر سنة احدى وثلاثين وخمسمائة . ولقيهم محمودخـان بن ارسلان خان فهزموه الى سمرقند وبخارى ، واستنجد بالسلطان سنجر ودعاه لنصر المسلمين فجمع العساكر واستنجد صـاحب سجستان ابن خلف والغوري صاحب غزنة ، وملوك مـا وراء النهر وغيرهم . وسار للقائهم وعبر النهر في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين .

وشكا اليه محمود من القارغلية فأراد أخذهم فهربوا الى

كوخان، وسألوه ان يشفع لهم عند السلطان سنجر، وكتب اليه يشفع لهم فلم يشفعه. وكتب اليه يدعوه الى الاسلام ويتهدّده. ولما بلغ الكتاب الى كوخان عاقب الرسول، وسار للقاء سنجر في أمم الترك والخطا والقارغلية فلقيه السلطان سنجر اول صفر سنه ست، وعلى ميمنته قماج، وعلى ميسرته صاحب سجستان وأبلى ذلك اليوم، وساء أثر القارغلية في تلك الحرب، وانهزم السلطان سنجر والمسلمون، واستمرّ القتل فيهم. وأسر صاحب سجستان والامير قماج وزوجة السلطان ابنة ارسلان خان محمد وأطلقهم الكفار. ولم يكن في الاسلام وقعة أعظم من هذه، ولا أفحش قتلًا. واستقرّت الدولة فيما وراء النهر للخطا والترك، وهم يومئذ على دين الكفر. وانقرضت دولة الخانية المسلمين الذين كانوا فيها. ثم هلك كوخان منتصف سبع وثلاثين، وكان جميلًا حسن الصوت، ويلبس الحرير الصيني، وكان له هيبة على أصحابه ولا يقطع أحداً منهم خوفاً على الرعية من العسف. ولا يقدّم أميراً على فوق مائة فارس، خشية أن تحدّثه نفسه بالعصيان. وينهى عن الظلم وعن السكر، ويعاقب عليه. ولا ينهى عن الزنى ولا يقبحه. ولما مات ملكت بعده ابنته وماتت قريباً فملكت بعدها أمّها زوجة كوخان، وبقي ما وراء النهر بيد الخطا الى ان غلبهم عليه علاء الدين محمد بن خوارزم شاه صاحب دولة الخوارزمية سنة اثنتي عشرة وستمائة على ما يأتي في أخبار دولتهم.

اجلاء القارغلية من وراء النهر

لما ملك ما وراء النهر سمرقند وبخارى جقري خان بن حسين تكين من بيت الخانيه، وأمره سنة تسع وخمسين باجلاء الترك القارغلية من اعمال بخارى وسمرقند الى كاشغر، والزامهم الفلاحة ومجانبة حمل السلاح فامتنعوا من ذلك. وألح عليهم جقري خان فامتنعوا واجتمعوا لحربه. وسار الى بخارى فبعث اليهم بالوعظ في ذلك والوعد الجميل بخلال ما جمع بقراخان، وكبسهم على بخارى فانهزموا، وأثخن فيهم، وقطع دابرهم وأجلاهم عن نواحي سمرقند، وصلحت تلك النواحي والله أعلم.

دولة الغورية

الخبر عن دولة الغورية القائمين بالدولة العباسية بعد بني سبكتكين وما كان لهم من السلطان والدولة وابتداء أمرهم ومصاير أحوالهم

كان بنو الحسين أيام سبكتكين ملوكاً على بلاد الغور لبني سبكتكين، وكانت لهم شدّة وشوكة. وكان منهم لآخر دولة بني سبكتكين أربعة أمراء قد اشتهروا واستفحل ملكهم: وهم محمد وشورى والحسين شاه وسام بنو الحسين، ولا أدري الى

مـن ينسب الحسين ، وأظنهم الى بهرام شاه آخر مـلوك بني سبـكتـكين ، والتحم به فعظم شأنه . ثم كانت الفتنة بـين بهرام وأخيه ارسلان فمال محمد الى ارسلان ، وارتاب به بهرام لذلك . ثم انقضى أمر ارسلان ، وسار محمد بن الحسين في جموعه الى غزنة سنة ثلاث وأربعين ، مورياً بالزيارة وهو يريد الغدر به ، وشعر بذلك بهرام فحبسه ثم قتله واستوحش الغورية لذلك .

مقتل محمد بن الحسين الغوري وولاية أخيه الحسين شاه ثم أخيه شورى

ولما قتل محمد ولي من بعده أخوه شاه بن الحسين ، ثم كانت الوقعـة . وملك بعده أخوه شورى بن الحسين ، وأجمع الاخذ بثأر أخيه من بهرام شاه فجمع له ، وسار الى غزنة سنة ثلاث وأربعين فملكها . وفارقها بهرام شاه الى بلاد الهند فجمع عسكره التي هنالك ، ورجع الى غزنة وعلى مقدّمته السلار بن الحسين ، وأمير هندوخان ابراهيم العلوي . وسار شورى للقائه فانفض عنه عسكر غزنة الى بهرام شاه فـانهزم وأسره بهرام ، ودخل غزنة في محرّم سنة أربع وأربعين ، وصلب شورى على باب غزنة واستقرّ في ملكه .

مقتل شورى بن الحسين وولاية أخيه علاء الدين ابن الحسين واستيلاؤه على غزنة وانتزاعها منه

لما هلك شورى بن الحسين ملك الغور من بعده أخوه الحسين ،

ويلقب علاء الدولة . واستولى على جبال الغور ومدينة بيروزكوه المجاورة لأعمال غزنة من بلاد الهند ، وهي تقارب في اتساعها بلاد خراسان فاستفحل ملكه ، وطمع في ملك خراسان . وسار الى هراة باستدعاء أهلها فحاصرها ثلاثاً ، ثم ملكها بالامان ، وخطب فيها للسلطان سنجر . وسار الى بلخ ، وبها الامير قماج من قبل السلطان سنجر فغدر به أصحابه فملك علاء الدولة بلخ ، وسار الى السلطان سنجر ، وقاتله وظفر به فأسره . ثم خلع عليه وردّه الى بيروزكوه . ثم سار علاء الدين يريد غزنة سنة سبع وأربعين ففارقها صاحبها بهرام شاه ، وملكها علاء الدولة وأحسن السيرة ، واستخلف عليهم أخاه سيف الدولة ، وعاد الى بلاد الغور فلما جاء فصل الشتاء وسدّ الثلج المسالك ، كتب أهل غزنة الى بهرام شاه واستدعوه فلما وصل وثبوا بسيف الدولة وصلبوه ، وبايعوا لبهرام شاه وملّكوه عليهم كما كان .

انتقاض شهاب الدين وغياث الدين على عمهما علاء الدولة

لما استفحل أمر علاء الدولة ، واستفحل ملكه استعمل على البلاد العمال ، وكان فيمن ولاه بلاد الغور ابنا أخيه سالم بن الحسين وهما غياث الدين وشهاب الدين فاحسنا السيرة في عملهما ، ومال اليهما الناس وكثرت السعاية فيهما عند عمهما بأنهما يريدان الوثوب فبعث عنهما فامتنعا ، فجهز اليهما العساكر فهزماها وأظهرا

عصيانه، وقطعا خطبته فسار اليها فقاتلاه قتالاً شديداً، حتى انهزم فاستأمن اليهما فأجلساه على التخت، وقاما بخدمته. وزوّج غياث الدين أحدهما بنتاً له، وبقي مستبدًّا على عمه علاء الدولة، ثم عهد اليه بالامر من بعده ومات.

وفاة علاء الدولة وولاية غياث الدين ابن أخيه من بعده وتغلب الغز على غزنة

ثم توفي علاء الدولة ملك الغورية سنة ست وخمسين، وقام بالامر من بعده ببيروز كوه غياث الدين ابو الفتح ابن اخيه سالم، وطمع الغز بموته في ملك غزنة فملكوها من يده، وبقي غياث الدين في كرسيه ببيروز كوه وأعمالها، وابنه سيف الدين محمد في بلاد الغور. ثم أساء السيرة الغز في غزنة بعد مقامهم فيها خمس عشرة سنة، واستفحل أمر غياث الدين فسار الى غزنة سنة احدى وسبعين في عساكر الغورية والخلج والخراسانية، ولقي الغز فهزمهم وملك غزنة من أيديهم. وسار الى كرمان وشنوران فملكهما ـ وكرمان هذه بين غزنة والهند وليست كرمان المعروفة ـ ثم سار غياث الدين الى لهاور ليملكها من يد خسروشاه بن بهرام فبادر خسروشاه الى نهر المدّ ومنعه العبور منه فرجع، وملك ما يليه من جبال الهند وأعمال الاثغار، وولّى غزنة أخاه شهاب الدين ورجع الى بيروز كوه.

استيلاء شهاب الدين الغوري على لهاور ومقتل خسروشاه صاحبها

ولما ولي شهاب الدين الغوري غزنـة أحسن السيرة فيهم ، وافتتح جبال الهند مما يليه فاستفحل ملكه ، وتطاول الى ملك لهاور قاعدة الهند من يد خسروشاه فسار سنة تسع وسبعين في عساكر خراسان والغور ، وعبر اليها وحاصرها ، وبـذل الامان لخسروشاه وأنكحه ابنته وسوّغه ما يريد من الاقطاع ، على أن يخرج اليه ، ويخطب لأخيه فأبى من ذلـك ، وبقي شهاب الدين يحاصره حتى ضاق مخنقه بالحصار . وخذله أهل البلد فبعث بالقاضي والخطيب يستأمنان له فأمنه ودخل شهاب الدين البـلد ، وبقي خسروشاه عنده مكرماً . وبعد شهرين وصل الامر من غياث بانفاذ خسروشاه اليه فارتاب من ذلك فأمّنه شهاب الدين ، وحلف له وبعث به وبأهله وولده مع جيش يحفظونهم ، فلما وصلوا بـلاد الغور حبسهم غياث الدين ببعض قلاعه فكان آخر العهد به وبابنه.

استيلاء غياث الدين على هراة وغيرها من خرسان

ولما استقرّ ملك غياث الدين بلهاور ، كتب الى أخيه شهاب الدين الذي تولى فتحها أن يقيم الخطبة له ، ويلقّبه بألقاب السلطان فلقبه غياث الدنيا والدين معين الاسلام والمسلمين ، قسيم أمـير المؤمنين . ولقب أخاه شهاب الدين بعز الدين . ثم لما فرغ شهاب

الدين من أمور لهاور، وسار الى أخيه غياث الدين ببيروز كوه، واتفق رأيهما على المسير الى هراه من خراسان سار في العساكر فحاصرها، وبها عسكر السلطان سنجر وأمراؤه فاستأمنوا إليها، وملكا هراة. وسار الى بوشنج فلكها، ثم الى باذغيس كذلك. وولى غياث الدين على ذلك، وعاد الى بيروز كوه وشهاب الدين الى غزنة ظافرين غانمين.

فتح أجرة على يد شهاب الدين

لما عاد شهاب الدين الى غزنة راح بها اياماً حتى استراحت عساكره. ثم سار غازياً الى بلاد الهند سنة سبع واربعين، وحاصر مدينة أجرة وبها ملك من ملوكهم فلم يظفر منه بطائل، فراسل امرأة الملك في أنه يتزوجها اذا ملك البلد فأجابت بالعذر، ورغبت في ابنتها فأجاب فقتلت زوجها بالسمّ وملّكته البلد فأخذ الصبية وأسلمت، وحملها الى غزنة ووسع عليها الجراية، ووكل بها من يعلمها القرآن حتى توفت والدتها وتوفت هي من بعدها لعشر سنين. ولما ملك البلد سار في نواحي الهند فدوّخها وفتح الكثير منها، وبلغ منها ما لم يبلغه أحد قبله.

حروب شهاب الدين مع الهنود وفتح دلهي وولاية قطب الدين ايبك عليها

ولما اشتدّت نكاية شهاب الدين في بلاد الهند تراسل ملوكهم،

وتلاوموا بينهم وتظاهروا على المسلمين، وحشدوا عساكرهم من كل جهة، وجاؤا بقضهم وقضيضهم في حكم امرأة ملكت عليهم وسار هو في عساكره من الغورية والخلخ والخلنجية والخراسانية وغيرهم، والتقوا فمحص الله المسلمين[1] وأثخن فيهم الكفرة بالقتل. وضرب شهاب الدين في يده اليسرى فشلت، وعلى رأسه فسقط عن فرسه، وحجز بينهم الليل، وحمله جماعة من غلمانه الى منجاته ببلده. وسمع الناس بنجاته فتباشروا ووفدوا عليه من كل جهة، وبعث اليه أخوه غياث الدين بالعساكر، وعذله في عجلته.

ثم ثارت الملكة ثانياً الى بلاد شهاب الدين بالعساكر، وبعثت الى شهاب الدين بالخروج عن أرض الهند الى غزنة فأجاب الى ذلك بعد أن يستأذن أخاه غياث الدين وينظر جوابه. وأقاموا على ذلك، وقد حفظ الهنود مخاضات النهر بينهم وهو يحاول العبور فلا يجد، وبينما هو كذلك جاء بعض الهنود فدله على مخاضة فاستراب به حتى عرفه قوم من أهل أجرة والملتان. وبعث الامير الحسن بن حرميد الغوري في عسكر كثيف، وعبر تلك المخاضة ووضع السيف في الهنود فأجفل الموكلون بالمخاضات. وعبر شهاب الدين وباقي العساكر وأحاطوا بالهنود، ونادوا بشعار الاسلام فلم ينج منهم الا الاقل، وقتلت ملكتهم وأسروا منهم أمماً.

(١) ابتلاهم واختبرهم.

وتمكن شهاب الدين بعدها من بلاد الهند، وحملوا له الاموال وضربت عليهم الجزية فصالحوه وأعطوه الرهن عليها. وأقطع قطب الدين أيبك مدينة دلهي، وهي كرسي الممالك التي فتحها وأرسل عسكراً من الخلخ مختارين ففتحوا من بلاد الهند ما لم يفتحه أحد، حتى قاربوا حدود الصين من جهة الشرق، وذلك كله سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

مقتل ملك الغور محمد بن علاء الدين

قد تقدّم لنا أنّ محمد بن علاء الدين مَلَكَ الغور بعد أبيه، وأقام مملكاً عليها. ثم سار سنة ثمان وخمسين بعد أن احتفل في الاحتشاد، وجمع العساكر، وقصد بلخ وهي يومئذ للغز فزحفوا اليه. وجاءهم بعض العيون بأنه خرج من معسكره لبعض الوجوه في خف من الجند فركبوا لاعتراضه، ولقوه فقتلوه في نفر من اصحابه، واسروا منهم آخرين، ونجا الباقون الى المعسكر فارتحلوا هاربين الى بلادهم، وتركوا معسكرهم بما فيه فغنمه الغز وانقلبوا الى بلخ ومروا ظافرين غانمين.

الفتنة بين الغورية وبين خوارزم شاه على ما ملكوه من بلاد خراسان

قد تقدّم لنا أنّ غياث الدين وشهاب الدين ابني أبي الفتح سام بن الحسين الغوري رجعا الى خُراسان سنة سبع وأربعين

فملكا هَراة وبوشَنْج وباذغيس وغيرها، وذلك عند انهزام سنجر أمام الغز، وافترق ملكه بين أمرائه ومواليه فصاروا طوائف، وأظهرهم خوارزم شاه بن أنس بن محمد بن أنوشر تكين صاحب خوارزم. فلما كان سنة خمس وسبعين قام بأمره ابنه سلطان شاه، ونازعه أخوه علاء الدين تكش فغلبه على خوارزم. وخرج سلطان شاه الى مرو فملكها من يد الغز. ثم أخرجوه منها فاستجاش بالخطا وأخرجهم من مَرو وسَرْخَس ونَسا وأَبِيوَرْد، وملكها جميعاً، وصرف الخطا الى بلادهم. وكتب الى غياث الدين أن ينزل له عن هراة وبوشنج وباذغيس وما ملكه من خراسان، وهدّده على ذلك فراجعه باقامة الخطبة له بمرو وسرخس، وما ملكه من خراسان فامتعض لذلك سلطان شاه وسار الى بوشنج فحاصرها، وعاث في نواحيها.

وجهّز غياث الدين عساكره مع صاحب سِجِستان وابن اخته بهاء الدين سام بن باميان لغيبة أخيه شهاب الدين في الهند فساروا الى خراسان، وكان سلطان شاه يحاصر هراة فخام عن لقائهم، ورجع الى مرو، وعاث في البلاد في طريقه، وأعاد الكتاب الى غياث الدين بالتهديد فاستقدم أخاه شهاب الدين من الهند فرجع مسرعاً، وساروا الى خراسان. وجمع سلطان شاه جموعاً ونزل الطالِقان، وتردّدت الرسل بين سلطان شاه وغياث الدين حتى جنح

الى الصلح بالنزول له عن بوشَنْج وباذَغيس، وشهاب الدين يجنح الى الحرب، وغياث الدين يكفهم.

وجاء رسول سلطان شاه لاتمام العقد فقام شهاب الدين العلوي وقال: لا يكون هذا أبداً، ولا تصالحوه. وقام شهاب الدين ونادى في عسكره بالحرب، والتقدّم الى مرو الروذ. وتواقع الفريقان فانهزم سلطان شاه، ودخل الى مرو في عشرين فارساً. وبلغ الخبر الى أخيه فسار لتعرّضه عن جيحون. وسمع سلطان شاه بتعرّض أخيه له فرجع عن جيحون، وقصد غياث الدين فأكرمه وأكرم أصحابه، وكتب أخوه علاء الدين في ردّه اليه، وكتب الى نائب هراة يتهدّده فامتعض غياث الدين لذلك، وكتب الى خوارزم شاه بأنه مجير وشفيع له، ويطلب بلاده وميراثه من أبيه، ويضمن له الصلح مع أخيه سلطان شاه. وطلب منه مع ذلك ان يخطب له بخوارزم، ويزوّج اخته من شهاب الدين فامتعض علاء الدين لذلك، وكتب بالتهديد فسرّح غياث الدين جميع عساكره مع سلطان شاه الى خوارزم شاه، وكتب الى المؤيد أبيه صاحب نيسابور يستنجده فجمع عساكره، وقام في انتظارهم. وسمع بذلك علاء الدين تكش، وهو زاحف للقاء أخيه سلطان شاه، وعساكر الغورية فخشي ان يخالفوه الى خوارزم وكرّ اليها راجعاً. واحتمل أمواله وعبر الى الخطا، وقدم فقهاء خوارزم في الصلح والصهر، ووعظه الفقهاء وشكوا اليه بأنّ علاء الدين يستجيش

بالخطا فامّا أن تتخذ مرو كرسيًّا لك فتمنعنا منهم، أو تصالحه فأجاب الى الصلح، وترك معاوضة[1] البلاد ورجع الى كرسيه.

غزوة شهاب الدين الى الهند وهزيمة المسلمين بعد الفتح ثم غزوته الثانية وهزيمة الهنود وقتل ملكهم وفتح اجمير

كان شهاب الدين قد سار سنة ثلاث وثمانين الى الهند وقصد بلاد اجمير، وتعرف بولاية السوالك، واسم ملكهم كوكه فملك عليهم مدينة تبرندة ومدينة أسرستي وكوه رام فامتعض الملك، وسار للقاء المسلمين، ومعه أربعة عشر فيلًا ولقيهم شهاب الدين في عساكر المسلمين فانهزمت ميمنته وميسرته، وحمل على الفيلة فطعن منها واحداً، ورمي بحربة في ساعده فسقط عن فرسه. وقاتل أصحابه عليه فخلصوه وانهزموا، ووقف الهنود بمكانهم. ولما أبعد شهاب الدين عن المعركة نزف من جرحه الدم فأصابه الغشي، وحمله القوم على أكتافهم في محفة اتخذوها من اللبود ووصلوا به الى لهاوور. ثم سار منها الى غزنه فأقام الى سنة ثمان وثمانين، وخرج من غزنة غازياً لطلب الثأر من ملك الهند، ووصل الى برساور. وكان وجوه عسكره في سخطة منه منذ انهزموا عنه في النوبة الاولى فحضروا عنده واعتذروا، ووعدوا من أنفسهم الثبات، وتضرّعوا في الصفح فقبل منهم، وصفح عنهم وسار حتى

(١) بمعنى: العوض.

انتهى الى موضع المصاف الاول وتجاوزه بأربع مراحل، وفتح في طريقه بلاداً. وجمع ملك الهند، وسار للقائه فكرّ راجعاً الى ان قارب بلاد الاسلام بثلاث مراحل، ولحقه الهنود قريباً من بربر فبعث شهاب الدين سبعين ألفاً من عسكره ليأتوا العدوّ من ورائهم، وواعدهم هو الصباح، وأسرى هو ليله فصابحهم فذهلوا وركب الملك فرسه للهروب فتمسك به أصحابه فركب الفيل، واستماتت قومه عنده، وكثر فيهم القتل وخلص اليه المسلمون فأخذوه أسيراً، وأحضروه عند شهاب الدين فوقف بين يديه وجذبوا بلحيته حتى قبل الارض. ثم أمر به فقتل ولم ينج من الهنود إلّا الاقل. وغنم المسلمون جميع ما معهم وكان في جملة الغنائم الفيول. ثم سار شهاب الدين الى حصنهم الاعظم وهو اجمير ففتحه عنوة، وملك جميع البلاد التي تقاربه، وأقطعها كلها لمملوكه أيبك نائبه في دلهي وعاد الى غزنة.

غزوة بناوس ومقتل ملك الهند ثم فتح بهنكر

كان شهاب الدين ملك غزنة قد أمر مملوكه قطب الدين أيبك خليفته على دلهي أن يغزو بلاد الهند من ناحيته فسار فيها ودوّخها وعاث في نواحيها. وسمع ملك بناوس، وهو أكبر ملوك الهند وولايته من تخوم الصين الى بلاد ملاوا طولا، ومن البحر الاخضر الى عشرة أيام من لهاوور عرضاً. وتلك البلاد من أيام

السلطان محمود مقيمون على اسلامهم ، فاستنفر معه مسلمون كانوا في تلك البلاد فسار الى شهاب الدين سنة تسعين ، والتقوا على ماحون نهر كبير يقارب دجلة فاقتتلوا ، ونزل الصبر . ثم نصر الله المسلمين واستلحم الهنود ، وقتل ملكهم وكثر السبيّ في جواريهم ، والاسرى من ابنائهم ، وغنموا منهم تسعين فيلًا . وهرب بقية الفيول ، وقتل بعضها . ودخل شهاب الدين بلاد بناوس ، وحمل من خزائنها ألفاً وأربعمائة حمل ، وعاد الى غزنة ، ثم سار سنة اثنتين وتسعين الى بلاد الهند ، وحاصر قلعة بهنكر حتى تسلمها على الامان ، ورتب فيها الحامية . وسار الى قلعة كواكير ، وبينهما خمس مراحل يعترضها نهر كبير فحاصرها شهراً حتى صالحوه على مال يحملونه ، فحملوا اليه حمل فيل من الذهب فرحل عنهم الى بلاد أبي رسود فأغار ونهب وسبى وأسر ، وعاد الى غزنة ظافراً .

استيلاء الغورية على بلخ وفتنتهم مع الخطا بخراسان

كان الخطا قد غلبوا على مدينة بلخ ، وكان صاحبها تركياً اسمه ازبة يحمل اليهم الخراج كل سنة وراء النهر . فتوفي أزبة سنة أربع وتسعين . وكان بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود صاحب باميان من قبل خاله غياث الدين فسار الى بلخ ، وقطع الحمل للخطا ، وخطب لغياث الدين . وصارت من جملة بلاد الاسلام

بعد ان كانت في طاعة الكفار فامتعض الخطا لذلك ، واعتزموا على فتنة الغورية . واتفق أنّ علاء الدين تكش صاحب خوارزم بعث اليهم يغريهم ببلاد غياث الدين . وكان سبب ذلك انه ملك الري وهَمَذان وأصفهان وما بينهما ، وتعرض لعساكر الخليفة ، وطلب الخطبة والسلطنة ببغداد مكان ملوك السُلْجُوقيّة فبعث الخليفة يشكوه الى غيات الدين ، يقبح فعله وينهاه عن قصد العراق ، ويتهدده بسلطان شاه وأخذ بلاده. فأنف من ذلك ، وبعث الى الخطا يغريهم ببلاده فجهز ملك الخطا جيشاً كثيفاً مع مقدّم عساكره وعبروا النهر الى بلاد الغور .

وسار علاء الدين تكش الى طوس لحصارها لانّ غياث الدين عاجز عن الحركة بعلة النقرس فعاثوا في بلاده ما شاء الله ، وحاصر الخطا بهاء الدين فاشتدّت الحرب وثبت المسلمون . وجاء المدد من عند غياث الدين ، ثم حملوا جميعاً على الخطا فهزموهم الى جيحون وألقى الكثير منهم أنفسهم في الماء فهلك منهم نحو اثني عشر ألفاً وعظم الامر على ملك الخطا ، وبعث الى علاء الدين تكش صاحب خوارزم يطوقه الذنب ويطالبه بدية القتلى من اصحابه . وألزمه الحضور عنده فبعث علاء الدين تكش يشكو ذلك الى غياث الدين فرد جوابه ، باللوم على عصيان الخليفة ، ودعا ذلك علاء الدين الى الفتنة مع الخطا وانتزاعه بخارى من أيديهم كما يأتي في أخبارهم .

استيلاء الغورية على ملك خوارزم شاه بخراسان

ثم توّفي علاء الدين تكش صاحب خوارزم ، وكان قد ملك بعض خراسان وبلاد الريّ والبلاد الجبالية فولي بعده ابنه قطب الدين ، ولقب علاء الدين بلقب أبيه ، وولى علاء الدين أخاه علي شاه خراسان ، وأقطعه نيسابور . وكان هندوخان ابن أخيهما ملك شاه فخاف عمه فلحق بمرو ، وجمع الجموع . وبعث اليه عمه محمد العسكر مع جنقر التركي فهرب هندوخان ، ولحق بغياث الدين مستنجداً به على عمه فأكرمه ووعده . ودخل جنقر الى مرو ، وحمل منها ولدخان وأمّه مكرمين الى خوارزم . وأرسل غياث الدين الى صاحب الطالقان محمد بن خربك بأن يتهدد جنقر فسار من الطالقان ، واستولى علي مرو الروذ[1] وبعث الى جنقر يأمره بالخطبة بمرو لغياث الدين أو يفارقها فأساء الجواب ظاهراً ، واستأمن الى غياث الدين سراً .

ولما علم غياث الدين بذلك قوي طمعه في البلاد ، وكتب الى أخيه شهاب الدين بالمسير الى خراسان فسار من غزنة في عساكره في منتصف سنة ست وتسعين . ولما انتهى الى الطالقان

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ١٥٠ : فأخذ مرو الروذ والخمس قرى وتسمى بالفارسية بنج ده وأرسل إلى جقر يأمره بإقامة الخطبة بمرو لغياث الدين. وقد ورد هنا في الكامل اسم جقر بدل جنقر، واسم جربك بدل خربك. ولا يمكن الاهتداء إلى تصويب هذه الأسماء الأعجمية لأن كل كتاب يذكرها بشكل مخالف لما ورد في كتاب آخر.

استحثه جنقر صاحب مرو للبلد ، واخبره بطاعته ، حتى اذا وصل اليه خرج في العساكر فقاتله ، وهزمه شهاب الدين ، وزحف بالفيلة الى السور فاستأمن من جنقر وخرج اليه ، وملك شهاب الدين مرو ، وبعث بالفتح الى غياث الدين فجاء الى مرو وبعث جنقر الى هراة مكرماً ، وسلم مرو الى هندوخان بن ملك شاه المستنجد به ، وأوصاه بالاحسان الى أهلها . وسار الى سرخس فحاصرها ثلاثاً وملكها على الامان ، وأرسل الى علي شاه نائب علاء الدين محمد بنيسابور ، وينذره الحرب ان امتنع من الطاعة فاستعد للحصار ، وخربوا العمائر بظاهرها وقطعوا الاشجار ، وحمل محمود بن غياث الدين فضايق البلد ، وملك جانبها ورفع راية أبيه على السور .

وحمل شهاب الدين من الناحية الاخرى فسقط السور بين يديه، وملك البلد ونهب الجند عامتها . ثم نادوا بالامان، ورفع النهب ، واعتصم الخوارزميون بالجامع فأخرجهم أهل البلد الى غياث الدين . ثم سار الى قهستان فذكر له عن قرية في نواحيها ان أهلها اسماعيلية فدخلها ، وقتل المقاتلة وسبى الذرية وخرب القرية . ثم سار الى مدينة أخرى ذكر له عنها مثل ذلك، وأرسل صاحب قهستان الى غياث الدين يستغيثون من شهاب الدين ، ويذكرونه العهد فأرسل غياث الدين الى أخيه شهاب الدين بالرجوع

عنهم طوعاً أو كرهاً، ووصل الرسول بذلك فامتنع فقطع طنب خيمته، ورحل العسكر فرحل شهاب الدين كرهاً، ورجع الى غزنة.

فتح نهرواكد من الهند

لما رجع شهاب الدين من خراسان غاضباً من فعل أخيه لم يعرج على غزنة، ودخل بلاد الهند غازياً سنة ثمان وتسعين. وبعث في مقدّمته مملوكه قطب الدين أيبك ولقيه عساكر الهند دون نهرواكد فهزمهم أيبك، واستباحهم وتقدّم الى نهرواكد فملكها عنوة. وفارقها ملكها وجمع، ورأى شهاب الدين انه لا يقوم بحمايتها إلّا مقامه فيها؛ فصالح ملكها على مال يؤدّيه اليه عنها، ورجع الى غزنة.

اعادة علاء الدين محمد صاحب خوارزم ما أخذه الغورية من خراسان

لما فصل الغورية عن خراسان، وملكوا ما ملكوه منها، وسار شهاب الدين الى الهند غازياً بعث علاء الدين محمد صاحب خوارزم الى غياث الدين يعاتبه على ما فعل في خراسان، ويطلب اعادة بلده، ويهدده باستدعاء عساكر الخطا فصانعه في الخطا حتى قدم شهاب الدين فطمع بالمصانعة. وبعث الى نائبهم بخراسان يأمره بالرحيل عن نيسابور، ويتهدده فكتب الى غياث الدين بذلك، ويميل أهل نيسابور الى عدوّهم فوعده النصر. وسار اليه علاء

الدين صاحب خوارزم آخر سنة تسع وتسعين فلما انتهى الى نَسا وأبيورد هرب هندوخان ابن أخيه، ولحق بغياث الدين في فيروزكوه، وملك علاء الدين مدينة مرو. وسار الى نيسابور وحاصرها شهرين فلما أبطأ عن نائبها المدد من غيات الدين استأمن لصاحب خوارزم، وخرج اليه هو وأصحابه فأحسن اليهم، وطلب علاء الدين ان يسعى في الصلح بينه وبين غياث الدين وأخيه فوعده بذلك، وسار الى هراة فأقام بها ولم يمض الى غياث الدين سخطه لتأخر المدد عنه.

واختص صاحب خوارزم الحسن بن حرميل من أعيان الغورية، واستحلفه ان يكون معه عند غياث الدين. ثم سار الى سرخس، وبها الامير زنكي فحاصره أربعين يوماً، وتعددت بينهما حروب. ثم بعث ابنه زنكي بأن يتأخر عن البلد قليلاً حتى يخرج هو وأصحابه فتأخر بأصحابه، وخرج زنكي فشحن البلد بالاقوات والحطب، وأخرج من ضاق به الحصار. وتحصن فندم صاحب خوارزم على تأخره وجهز عسكراً لحصاره ورجع. فلما بعد سار محمد بن خربك من الطالقان، وأرسل الى زنكي بأن يكبس العسكر الذي عليه، ونذر بذلك أهل العسكر فأفرجوا عن سرخس. وخرج زنكي ولقي محمد بن خربك في مرو، وجبوا خراج تلك الناحية، وبعث اليهم صاحب خوارزم عسكراً من الثلاثة آلاف فارس فلقيهم محمد بن خربك في تسعمائة فهزمهم، وغنم

معسكرهم وعاد صاحب خوارزم الى بلده، وأرسل الى غيـاث الدين في الصلح فأجابه مع أمير من أكابر الغورية اسمه الحسن ابن محمد المرغني فقبض عليه صاحب خوارزم، وحبسه. ومرغن من قرى الغور.

حصار هراة

لما بعث صاحب خوارزم الى غياث الدين في الصلح، وجـاء عند الحسن المرغني تبين عنه المغـالطة فحبسه، وسار الى هَراة وحاصرها، وكان بها أخوان من خدمة السلطان شاه تكش فكتبا الى صاحب خوارزم، ووعداه بالثورة له في البلد، وكانا يليـان مفاتح الابواب وأمور الحصار من داخل، فاطلع الامير الحسن المرغني المحبوس عند صاحب خوارزم على أمرهما فبعث بذلك الى أخيه عمر صـاحب هَراة فاعتقلهما. وبعث غياث الدين العساكر مدداً لهراة مع ابن اخته ألب غازي فنزل على خمسة فراسخ منها، ومنع الميرة عن عسكر صاحب خوارزم فبعث صاحب خوارزم عسكراً الى الطالقان للغارة عليها فقاتلهم الحسن بن خربك فظفر بهم، ولم يفلت منهم أحد. ثم سار غياث الدين في عساكره، ونزل قريبـاً من هراة فاعتزم صاحب خوارزم على الرحيل بعد حصار أربعين يوماً لهزيمة أصحابه بالطالقان، ومسير العساكر مع ألب غازي، ثم مسير غيـاث الدين، ثم توقعه عود شهاب الدين من

الهند. وكان قد وصل الى غزنة منتصف ثمان وتسعين فراسل أمير هراة وصالحه على مال حمله اليه، وارتحل عن البلد، وبلغ الخبر شهاب الدين، وجاء الى طوس وشتى بها عازماً على حصار خوارزم، فجاء الخبر بوفاة أخيه غياث الدين فأثنى عزمه وسار الى هراة.

وفاة غياث الدين وانفراد شهاب الدين بالملك

ثم توفي غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام صاحب غزنة وبعض خراسان، وفيروزكوه ولهاووز ودهلي[1] من الهند. وكان أخوه شهاب الدين بطوس كما ذكرنا فسار الى هراة، وأظهر وفاة أخيه، وجلس للعزاء. وخلّف غياثُ الدين ابناً اسمه محمود فلقب غياث الدين. ولما سار شهاب الدين عن طوس استخلف بمرو الامير محمد بن خربك، وبعث اليه صاحب خوارزم العساكر فبيتهم ولم ينج منهم الا القليل، وانفذ بالاسارى والرؤس الى هراة. وأعاد اليه صاحب خوارزم الجيوش مع منصور التركيّ فلقيهم على عشرة فراسخ من مرو فهزموه، وحاصروه خمسة عشر يوماً حتى استأمن اليهم، وخرج فقتلوه. وترددت الرسل بين شهاب الدين وصاحب خوارزم في الصلح فلم يتفق بينهما أمر. ولما

(١) كذا، لهاووز ودهلي، وفي معجم البلدان: لهاور ولوهور بدل لهاووز، واسم هذه المدينة الهندية الشهيرة اليوم: لاهور. وأما دهلي فلم يذكرها صاحب معجم البلدان وهي المدينة الهندية المشهورة: دلهي.

اعتزم شهاب الدين علـى العود الى غزنة ولّى على هَراة ابن اخته ألب غازي، وقلّد علاء الدين محمد الغوري مدينة فيروزكوه وبلد الغور، وجعل اليه حرب خُراسان وأمور المملكة. وجاءه محمود ابن أخيه غياث الدين فولّاه على بَسْت وأسْفراين[1] وتلك الناحية، وأبعده عن الملك جملة.

وكانت لغياث الدين زوجة مغنية، شغف بها وتزوّجها فقبض عليها شهاب الدين وضربها ضرباً مبرحاً، وضرب ولدها غياث الدين. وزوّج أختها، واستصفاهم وغرّبهم الى بلاد الهند. وكانت بَنَتْ مدرسة ودَفَنت فيها أباها فخربها، ونبش قبورهم ورمى بعظامهم. وكان غياث الدين ملكاً عظيماً مظفراً على قلّة حروبه فانه كان قليل المباشرة للحروب، وكان ذا هيبة جواداً حسن العقيدة كثير الصدقة. بنى بخراسان وغيرها المساجدَ والمدارس للشافعيّة، وبنى الخوانك في الطرق، وبنى على ذلك الأوقاف الكثيرة، وأسقط المكوس. وكان لا يتعرّض الى مال أحد، ومن مـات ووارثه غائب دفعه الى امناء التجار من أهل بلده ليوصلوه الى ورثته، فان لم يجد تاجراً ختم عليه القاضي الى ان يصل مستحقه. وان كان لا وارث له تصدّق عنه بماله. وكان يحسن الى أهل البلد اذا ملكها ويفرض الاعطيات للفقهاء كل سنة من خزائنه، ويفرق الاموال على الفقراء، ويصل العَلَويّة والشعراء. وكان أديباً بليغاً

(١) كذا واسمها في معجم البلدان: أسفرايين.

بارع الخط، ينسخ المصاحف ويفرّقها في المدارس التي بناها. وكان شافعيّ المذهب من غير تعصب لهم، ويقول: التعصب في المذاهب هلاك.

فتنة الغورية مع محمد بن تكش صاحب خوارزم وحصار هراة ثم حصارهم خوارزم وحروب شهاب الدين مع الخطا

لما هلك غياث الدين ملك أخوه شهاب الدين بعده فطمع محمد بن تكش صاحب خوارزم في ارتجاع هَراة. وكان قد راسل شهاب الدين في الصلح فلم يتم. وسار شهاب الدين عن غَزنة الى لهاوور غازياً فسار حينئذ محمد بن تكش الى هراة منتصف سنة ستمائة، وحاصرها وكان بها ألب غازي، ابن اخت شهاب الدين. وطال حصارها الى سلخ شعبان، وقتل بين الفريقين خلق: منهم رئيس خراسان المقيم يومئذ بمشهد طوس. وكان الحسين بن حرميل من أعيان الغورية بجوربان، وهو اقطاعه، فكر بصاحب خوارزم، وأظهر له الموالاة. وأشار بأن يبعث اليه فوارس يعطيهم بعض الفيله. وقعد لهم هو والحسين بن محمد المرغني بالمراصد فاستلحموهم. ثم مات ألب غازي وضجر صاحب خوارزم محمد من الحصار فارتحل الى سرخس وحاصرها، وبلغت هذه الاخبار شهاب الدين ببلاد الهند فكرّ راجعاً، وقصد مدينة خوارزم فأغذ محمد بن تكش السير من سرخس، ونزل أثقاله وسبقه اليها وقاتله الخوارزمية قتالاً شديدا وفتكوا فيه. وهلك من الغورية جماعة: منهم الحسين بن

محمد المرغني، وأسر جماعة من الخوارزميّة فأمر شهاب الدين بقتلهم.

ثم بعث خوارزم شاه الى الخطا يستنجدهم أن يخالفوا شهاب الدين الى بلاد الغورية فساروا اليها. ولما سمع شهاب الدين كرّ راجعاً الى البلاد فلقي مقدّمه عسكرهم بصحراء ايدخوي في صفر سنة احدى وستمائة فأوقع بهم، وأثخن فيهم، وجاءت ساقتهم على أثر ذلك فلم يكن لشهاب الدين بهم قبل فانهزم، ونهبت أثقاله، وقتل الكثير من أصحابه. ونجا في الفلّ الى ايدخوي، وحاصروه حتى أعطاهم بعض الفيلة، وخلص. وكثر الارجاف في بلاد الغور بهلكه ووصل الى الطالقان في سبعة نفر، وقد لحق بها نائبها الحسين بن حرميل ناجياً من الوقعة فاستكثر له من الزاد والعلوفة، وكفاه مهمه. وكان مستوحشاً مع من استوحش من الامراء بسبب انهزامهم عن شهاب الدين فحمله شهاب الدين الى غزنة تأنيساً له، واستحجبه. ولما وقع الارجاف بموت شهاب الدين جمع مولاه تاج الدين العسكر، وجاء الى غزنة طامعاً في ملكها فمنعه مستحفظها فرجع الى اقطاعه، وأعلن بالفساد، وأغرى بالخلج من الترك فكثر عيثهم، وكان له مولى آخر اسمه أيبك فلحق بالهند عند نجاته من المعركة، وأرجف بموت السلطان واستولى على المتان، وأساء فيها السيرة. فلما وصل خبر شهاب الدين جمع تاج الدين الذرّ - وهو مملوك اشتراه شهاب الدين - الناس من سائر النواحي. ثم جمع شهاب الدين لغزو الخطا والثأر منهم.

حروب شهاب الدين مع بني كوكر والتفراهية

كان بنو كوكر هؤلاء موطنين في الجبال بين لهاووز والملتان معتصمين بها لمنعتها، وكانوا في طاعة شهاب الدين يحملون اليه الخراج فلما وقع الارجاف بموته، انتقضوا وداخلوا صاحب جبل الجودي وغيره من أهل الجبال في ذلك، وجاهروا بالعيث والفساد، وقطع السابلة ما بين غزنة ولهاووز وغيرها. وبعث شهاب الدين الى محمد بن أبي علي بلهاووز والملتان يأمره بحمل المال بعد ان قتل مملوكه أيبك. قال: وبهد البلاد فاعتذر بنو كوكر فبعث شهاب الدين مملوكه أيبك الى بني كوكر يتهددهم على الطاعة فقال كبيرهم: لو كان شهاب الدين حياً لكان هو المرسل الينا، واستخفوا أمر أيبك فعاد الرسول بذلك فأمر شهاب الدين بتجهيز العساكر في قرى سابور. ثم عاد الى غزنة في شعبان سنة احدى وستمائة، ونادى بالمسير الى الخطا. ورجع بنو كوكر الى حالهم من إخافة السابلة، ودخل معهم كثير من الهنود في ذلك، وخشي على انتقاض البلاد فأثنى عزمه عن الخطا، وسار الى غزنة، وزحف الى جبال بني كوكر في ربيع الاول سنة اثنتين.

ولما انتهى الى قرى سابور أغذّ السير وكبس بني كوكر في محالهم، وقد نزلوا من الجبال الى البسيط يرومون اللقاء فقاتلوه يوماً الى الليل، واذا بقطب الدين أيبك في عساكره منادين بشمار

الاسلام فحملوا عليهم، وانهزموا وقتلوا بكل مكان. واستنجوا بأجمة فأضرمت عليهم ناراً، وغنم المسلمون أهاليهم وأموالهم حتى بيع المماليك خمسة بدينار. وقتل كبير بني كوكر الذي كان مملكاً عليهم، وقصد دانيال صاحب الجند الجودي، وسار اليها فأقام بها منتصف رجب، وهو يستنفر الناس. ثم عاد نحو غزنة، وأرسل بهاء الدين سام صاحب باميان بالنفير الى سمرقند، وان يتخذ الجسر لعبور العساكر. وكان أيضاً ممن دعاه هذا الارجاف الى الانتقاض التراهية، وهم قوم من أهل الهند بنواحي قرى سابور دينهم المجوسية، ويقتلون بناتهم بعد النداء عليهن للتزويج فاذا لم يتزوّجها أحد قتلوها، وتزوّج المرأة عندهم بعدّة أزواج. وكانوا يفسدون في نواحي قرى سابور؛ ويكثرون الغارة عليها، وأسلم طائفة منهم آخر أيام شهاب الدين الغوري. ثم انتقضوا عند هذا الارجاف، وخرجوا الى حدود سوران ومكران، وشنّوا الغارة على المسلمين فسار اليهم الخلخي نائب تاج الدين الذي بتلك الجهة فأوقع بهم، وأثخن فيهم، وبعث برؤس الاعيان منهم فعلقت ببلاد الاسلام وصلح أمر البلاد.

مقتل شهاب الدين الغوري وافتراق المملكة بعده

لما قضي شهاب الدين شأنه من بلاد الغور، وأصلح ما كان بها من الفساد ارتحل من لهاور عائداً الى غزنة عازماً على قصد

الخطا * بعد أن استنفر أهل الهند وأهل خراسان فلما نزل بدميل قريباً من لهاور طرق خيمته جماعة من الدعار فقتلوا بعض الحرس، وثار بهم النـاس، وذهل باقي الحرس بالهيعة فدخل منهم البعض عـلى شهاب الدين وضربوه في مصلّاه، وقتلوه ساجداً، وقتلوا عن آخرهم أوّل شعبان سنة اثنتين وستمائة. فيقال أنّ هذه الجماعة من الكوكرية الذين أحفظهم ما فعل بهم، ويقال من الاسماعيلية لانهم كانوا غلّوا منه، وكانت عساكره تحاصر قلاعهم. ولما قتل اجتمع الامراء عند وزيره مؤيد الدين خواجا سجستا، واتفقوا على حفظ المال الى أن يقوم بالامر من يتولاه من أهله. وتقدّم الوزير الى أمير العسكر بضبط العسكر، وحملت جنـازة شهاب الدين في المحفة، وحملوا خزائنه، وكانت ألفين ومائتي حمل.

وتطاول الموالي مثل صونج صهر الدر وغيره الى نهب المـال فمنعهم الامراء الكبار، وصرفوا الجند الذين اقطاعهم عند قطب الدين أيبك ببلاد الهند أن يعودوا اليه، وساروا الى غزنة متوقعين البيعة على الملك بين غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين، وبين بهاء الدين سام صاحب باميان ابن أخت شهاب الدين فيملك الخزانه والاتراك يريدون طريق سوران ليقربوا من فارس. وكان هوى الوزير مؤيد الملك مـع الاتراك فلم يزل بالغورية حتى اذا وصلوا طريق كرمان ساروا عليها، ولقوا بها مشقة من غارات التتراهية واقمان وغيرهم. ولما وصلوا الى كرمان استقبلهم تاج

الدين الذر ونزل عن فرسه ، وقبل الارض بين يدي المحفة . ثم كشف عن وجهه فمزق ثيابه وأجدّ بالبكاء حتى رحمه الناس . وكان شهاب الدين شجاعاً قرماً عادلاً كثير الجهاد . وكان القاضي بغزنة يحضر داره أربعة أيام في كل أسبوع فيحكم بين الناس ، وأمراء الدولة ينفذون احكامه ، وان رافع أحد خصمه الى السلطان سمع كلامه وردّه الى القاضي ، وكان شافعيّ المذهب .

قيام الذر بدعوة غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين

كان تاج الدين الذر من موالي شهاب الدين وأخصهم به فلما قتل طمع في ملك غزنة ، وأظهر القيام بدعوة غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين ، وانه كتب اليه بالنيابة عنه بغزنة لشغله بأمر حران . وتسلم الخزائن من الوزير ، وسار الى غزنة فدفن شهاب الدين بتربته في المدرسة التي أنشأها ، وذلك في شعبان من سنة اثنتين وستمائة وأقام بغزنة .

مسير بهاء الدين سام الى غزنة وموته وملك بهاء الدين ابنه بعده غزنة

كان بهاء الدين قد أقطع باميان ابن عمه شمس الدين محمد بن مسعود عندما ملكها ، وأنكحه أخته فولدت ابناً هوسام ، وكان له ابن آخر من امرأة تركيه اسمه عباس فلما مات ملك ابنه الاكبر عباس ، فغضب غياث الدين وشهاب الدين لابن أختهما ،

وعزلوا عباساً وولوه مكانه على باميان فعظم شأنه، وجمع الاموال وترشح للملك بعد أخواله لميل أمراء الغزّ اليه بعد أخواله. فلما قتل شهاب الدين كان في قلعة غزنة نائب اسمه أميردان فبعث ابنه الى بهاء الدين محمود ابن السلطان غياث الدين، وابن حرميل عامل هراة بحفظ أعمالها، واقامة الخطبة له بها. والغورية والاتراك على ما ذكرناه من الاختلاف فسار في عساكره الى غزنة، ومعه ابنا علاء الدين وأمرهما جميعاً بالمسير الى غزنة وبلاد الهند. فلما مات ثار ابناه في غزنة وخرج أمراء الغورية لغياث الدين وتلقوهما والاتراك معهم مغلبين فملكوا البلد، ونزلوا دار السلطنة مستهل رمضان من سنة اثنتين وستمائة، واعتزم الاتراك على منعهم وعاد لهم الامير مؤيد الملك لاشتغال غياث الدين منهم بابن حرميل عامل هراة فلم يرجعوا، ونبذوا الى علاء الدين وأخيه العهد وآذنوهما بالحرب ان لم يرجعا فبعثا الى تاج الدين الذر، وهو باقطاعه يستدعيانه ويرغبانه بالاموال والمراتب السلطانية والترغيب في الدولة.

استيلاء الذر على غزنة

كان الذر بكرمان لما بلغه مقتل شهاب الدين تسلم الاموال والخزائن من الوزير، وأظهر دعوة غياث الدين ابن مولاه السلطان غياث الدين. وسار بهاء الدين سام من باميان كما ذكرنا. ومات

في طريقــه وملك ابنه علاء الدين غزنة كما ذكرنا . واستعطف الاتراك ، وبعث الى الذر يرغبه ويسترضيه فـأبى من طاعته ، وأساء الرد عليه . وسار عن كرمان في عساكر كثيفة من الترك والخلخ والغز وغيرهم . وبعث الى عــلاء الدين وأخيه بـالنذير فأرسل علاء الدين وزيره ووزير ابنه صلة الى باميان وبلخ وترمذ ليحتشد العساكر ، وبعث الذر الى الاتراك الذين بغزنة بأنّ مولاهم غياث الدين ، واجتمعت جماعة الغورية والاتراك فالتقوا في رمضان ، ونزع الاتراك الى الذر فـانهزم محمد بن حدورون وأسر . ودخــل عسكر الذر المدينة فنهبوا بيوت الغوريــة والباميانية . واعتصم علاء الدين بالقلعة ، وخرج جلال الدين في عشرين فارساً الى باميان ، وحاصر الذر القلعه حتى استأمن علاء الدين في المسير من غزنة الى باميان .

ولما نزل من القلعــة تعرّض له بعض الاتراك فـأرجلوه عن فرسه ، وسلبوه فبعث اليه الذر بالمال والمركب والثياب فوصل الى باميان فشرع في الاحتشاد وأقام الذر بغزنة يظهر طاعة غياث الدين ، ويترحم عـلى شهاب الـدين ، ولم يخطب له ولا لاحد . وقبض عـلى داود والي القلعة بغزنة . وأحضر القضاة والفقهاء ، وكان رسول الخليفة مجد الدين أبو عليّ بن الربيع الشافعي مدرّس النظامية ببغداد وفد على شهاب الدين رسولاً من قبــل الخليفة وأحضره الذر ذلك اليوم ، وشاورهم بالجلوس على التخت

والمخاطبة بالالقاب السلطانية . وأمضى ذلك واستوحش الترك حتى بكى الكثير منهم، وكان هناك جماعة من ولد ملوك الغور وسمرقند فأنفوا من خدمته، وانصرفوا الى علاء الدين وأخيه في باميان، وأرسل غياث الدين محمود أن يصهر اليه في بنته بابنه فأبى من ذلك . ثم جاء في عسكر من الغوريين من باميان، وأرسل غياث الدين وفرّق في أهلها الاموال واستوزر مؤيد الملك فوزر له على كره .

أخبار غياث الدين بعد مقتل عمه

لما قتل السلطان شهاب الدين كان غياث الدين محمود ابن أخيه السلطان غياث الدين في أقطاعه ببست . وكان شهاب الدين قد ولّى على بلاد الغور علاء الدين محمد بن أبي علي من أكابر بيوت الغورية، وكان امامياً غالياً فسار الى بيروزكوه يسابق اليها غياث الدين، وكان الامراء الغورية أميل الى غياث الدين، وكذا أهل بيروزكوه فلما دخل خوارزم دعا محمد المرغني، ومحمد ابن عثمان من أكابر الغورية، واستحلفهم على قتال محمد بن تكش صاحب خوارزم . وأقام غياث الدين بمدينة بست ينتظر مآل الامر لصاحب باميان لانها كان بينهما العهد من أيام شهاب الدين أن تكون خراسان لغياث الدين، وغزنة والهند لبهاء الدين صاحب باميان بعد موت شهاب الدين، فلما بلغه موت شهاب

الدين دعا لنفسه ، وجلس على الكرسي في رمضان سنة ثلاث وستمائة ، واستخلف الامراء الذين في أثره فأدركوه وجاؤا به ، وملك بيروزكوه ، وقبض على جماعة من أصحاب علاء الدين ولما دخل بيروزكوه جاء الى الجامع فصلى فيه . ثم ركب الى دار أبيه فسكنها ، وأعاد الرسوم ، وقدم عليه عبد الجبار محمد ابن العشير الى وزير أبيه فاستوزره ، واقتفى بابيه في العدل والاحسان . ثم كاتب ابن حرميل بهراة ولاطفه في الطاعة ، وكان ابن حرميل لما بلغه مقتل السلطان بهراة خشي عادية خوارزم شاه فجمع أعيان البلد وغيرهم ، واستحلفهم على الانجاد والمساعدة وقال القاضي وابن زياد : يحلف كل الناس الا ابن غياث الدين ، وينتظر عسكر خوارزم شاه ، وشعر غياث الدين بذلك من بعض عيونه فاعتزم على المسير الى هراة . واستشار ابن حرميل القاضي وابن زياد فأشارا عليه بطاعة غياث الدين على مكر ابن حرميل ، وميله الى خوارزم شاه . وحثه على قصد هراة ليكون ذلك حجة عليه ففعل ، وبعث به مع ابن زياد . ثم كاتب غياث الدين صاحب الطالقان وصاحب مرو يستدعيها فتوقفوا عن اجابته . فقال أهل مرو لصاحبها : ان لم تسلم البلد الى غياث الدين وتتوجه والا سلمناك وقيدناك وارسلناك اليه فاضطر الى المجيء الى فيروزكوه فخلع عليه غيات الدين ، ووفر له الاقطاع ، وأقطع الطالقان لسونج مولى أبيه المعروف بأمير شكار .

استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان

كان الحسن بن حرميل نائب الغورية بهراة منتقضاً عليهم كما ذكرنا، ومداخلا لخوارزم شاه في الباطن واستدعى العساكر من عنده، وبعث ابن زياد يستوثق له من غياث الدين، وأقام يقدّم رجلا ويؤخر أخرى. ووصل ابن زياد بالولاية والخلع فلم يثنه ذلك عما هو فيه من المكاذبة لهم. ثم وصل عسكر خوارزم شاه فتلقاهم وأكرمهم. وبلغه أنّ خوارزم شاه في أثرهم على أربع فراسخ من بلخ فندم في أمره ورد اليه عسكره، وبلغ غياث الدين عسكر خوارزم شاه ووصولهم الى هراة فاستدعى ابن حرميل فقبض على املاكه، ونكب أصحابه. ورد[1] أقطاعه فاعتزم أهل هراة على القبض عليه. وكتب القاضي وابن زياد بذلك الى غياث الدين.

ونمي الخبر الى ابن حرميل فخشي على نفسه منهم وأوهمهم انه يكاتب غياث الدين، وطلبهم في الكتاب مع رسوله، وأوصى الرسول أن يعدل الى طريق خوارزم شاه، ولحق بهم فردّهم، وأصبحوا على البلد لرابعة يوم من سفر الرسول فسلمهم ابن حرميل البلد، وأمكنهم من أبوابها. وقبض على ابن زياد وسمله، وأخرج القاضي فلحق بغياث الدين في بيروزكوه، ونمي

(١) بمعنى: استردّ

الخبر بذلك الى غياث الدين ، فاعتزم على المسير بنفسه ، فبلغه سير عـلاء الدين صاحب باميان الى غزنة فاقتصر عن ذلك ، وأقام ينتظر شأنه مع الذر . وأمّا بلخ فانّ خوارزم شاه لمـا بلغه مقتـل شهاب الدين أطلق أسرى الغوريّين الذين كانوا عنده ، وخلع عليه واستألفهم . وبعث أخاه علي شاه في العساكر الى بلخ فقاتله عمر بن الحسين الغوري نائبها . ونزل منها الى على اربعة فراسخ .

وجـاء خوارزم شاه مدداً بنفسه آخر سنة اثنتين وستمائـة فحاصرها ، فاستمدّ عمر بن الحسين علاء الدين وجلال الدين من باميان ، وشغلوا عنه بغزنة فأقام خوارزم شاه محاصراً له أربعين يوماً ، وكان عنده محمد بن علي بن بشير ، وأطلقه في أسرى الغورية ، وأقطعه فبعثه الى عمر بن الحسين صاحب بلخ في الطاعة فأبى من ذلك ، واعتزم خوارزم شاه على المسير الى هراة . ثم بلغه ما وقع بين الذر وبين علاء الدين وجلال الدين ، وأنّ الذر أسرهما ، وأن عمر بن الحسين صاحب بلخ أبى ذلك فأعاد عليه ابن بشير ، فلم يزل يفتل له في الذروة والغارب حتى أطاع صاحب خوارزم ، وخطب له . وخرج اليه ، فخلع عليه وأعاده الى بلده في سلخ ربيع سنة ثلاث . ثم سار الى جورقان[1] ليحاصرها ، وبها علي بن أبي

(١) كذا بالأصل ، ولم يذكر هذا الاسم صاحب معجم البلدان ، ويمكن أن تكون محرّفة عن جوزجان .

علي فوقعت المراوضة بينهما. ثم انصرف عن جورقان وتركها لابن حرميل، واستدعى عمر بن الحسين الغوري، وصاحب بلخ فقبض عليه، وبعثه الى خوارزم، ومضى الى بلخ فملكها، وولى عليها جعفراً التركي ورجع الى خوارزم.

استيلاء علاء الدين ثانيا على غزنة ثم انتزاع الذر اياها من يده

قد تقدم لنا استيلاء الذر على غزنة وإخراجه علاء الدين وجلال الدين منها الى باميان فأقاما بها شهرين، ولحق كثير من الجند بعلاء الدين صاحبهم، وأقام الذر بغزنة متوقفاً عن الخطبة لغياث الدين يروم الاستبداد، وهو يعلل الاتراك برجوع رسوله من عند غياث الدين مخافة أن ينفضّوا عنه. فلما ظفر بعلاء الدين، وملك القلعة أظهر الاستبداد وجلس على الكرسي. وجمع علاء الدين وجلال الدين العساكر، وساروا من باميان الى غزنة، وسرح الذر عساكره للقائهما فهزماها وأثخناها. وهرب الذر الى بلد كرمان واتبعه بعض العسكر فقاتلهم ودفعهم. وسار علاء الدين وأخوه الى غزنة وملكوها، واخذوا خزانة شهاب الدين التي كان الذر اخذها من يد الوزير مؤيد الدين عند مقدمه بجنازة شهاب الدين الى كرمان كما مرّ. ثم اعتزم علاء الدين واخوه على العود الى غزنة[1] وأهلها متوقعون النهب من عسكرهم والفيء. وكان

(١) تقدم أنهم ملكوها. ويظهر أن المقصود بالعود إليها جعلها قاعدة.

بينهم رسول الخليفة مجد الدين بن الربيع مدرس النظامية، جاء الى شهاب الدين فقتل وهو عنده، وأقام بغزنه فقصده أهل غزنة ان يشفع فيهم فشفع وسكن الناس. وعاد علاء الدين وأخوه الى غزنة. ثم وقع بينهما تشاجر على اقتسام الخزانة، وعلى وزارة مؤيد الملك فندم الناس على طاعتهما. وسار جلال الدين ومعه عباس الى باميان، وبقي علاء الدولة بغزنة، وأساء وزيره السيرة في الجند والرعية ونهب الاموال، حتى باعوا أمّهات أولادهم. ويشكون فلا يشكيهم أحد فسار الذر في جموع الاتراك والغزّ والغوريّة فكبسهم ايدكن الشرفي مولى شهاب الدين في ألفين وملك كرمان. وجاء الذر أثر ذلك، وأنكر على ايدكن وملك كرمان، وأحسن الى أهلها. وبلغ الخبر الى علاء الدين بغزنة فبعث وزيره الى أخيه جلال الدين في باميان، وكانت عساكر الغورية قد فارقوه ولحقوا بغياث الدين، ووصل الذر آخر سنة اثنتين وستمائة الى غزنة فلكها، وامتنع علاء الدين بالقلعة فسكن الذر الناس وأمّنهم، وحاصروا القلعة. وجاء الخبر الى الذر بأن جلال الدين قادم عليك بعساكره، ولحق سليمان بن بشير بغياث الدين ببيروزكوه فأكرمه، وجعله أمير داره، وذلك في صفر سنة ثلاث. وسار الذر فلقي جلال الدين وهزمه، وسيق أسيراً اليه. ورجع الى غزنة وتهدّد علاء الدين بقتل الاسرى ان لم يسلم القلعة. وقتل منهم أربعمائة أسير فبعث علاء الدين يستأمنه فأمنه. ولما خرج قبض على

وزيره عماد الملك وقتله، وبعث الى غيـاث الدين بالفتح.

انتقاض عباس في باميان ثم رجوعه الى الطاعة

لما أسر علاء الدين وجلال الدين كما قلناه في غزنة وصل الخبر الى عمهما عباس في باميان ومعه وزير أبيهما. وسار الوزير الى خوارزم شاه يستنجده على الذر ليخلص صاحبيه فاغتنم عباس غيبته وملك القلعة، وكان مطاعاً. وأخرج أصحاب علاء الدين وجلال الدين فرجع الوزير من طريقه فحاصره بالقلعة، وكان مطاعاً في تلك الممالك من لدن بهاء الدين ومن بعده. فلما خلص جلال الدين من أسر الذر وصل الى مدينة باميان واجتمع مع الوزير، وبعثوا الى عباس ولاطفوه حتى نزل عما كان استولى عليه من القلاع، وقال: انما أردت حفظها من خوارزم شاه.

استيلاء خوارزم شاه على ترمذ ثم الطالقان من يد الغورية

كان خوارزم شاه لما ملك بلخ من يد عمر بن الحسين الغوري سار منها الى ترمذ، وبها ابنه. وقدم اليه محمد بن بشير بما كان من نزول أبيه عن بلخ، وأنه انتظم في أهل دولته وبعثه الى خوارزم مكرماً ورغبه بالاقطاع والمواعيد، وكان قد ضاق ذرعه من الخطا ووهن من أسر الذر أصحابه بغزنة فأطاع واستأمن. وملك خوارزم شاه ترمذ، ورأى أن يسلمها للخطا ليتمكن بذلك من خراسان، ثم يعود عليهم فينتزعها منهم. ولما فرغ من ذلك

سار الى الطالقان وبها سونج نائباً عن غياث الدين محمود وأرسل من يستميله فلج وسار لحربه، حتى اذا التقيا نزل عن فرسه وسأل العفو فذمّه بذلك، وأخذ ما كان بالطالقان بعض اصحابه، وسار الى قلاع كاكوين وسوار فخرج اليه حسام الدين علي بن أبي علي صاحب كاكوين وقاتله، وطالبه في تسليم البلاد فأبى. وسار خوارزم شاه الى هراة ونزل بظاهرها وابن حرميل في طاعته فكف عساكره عن أهل هراة، ولقيه هنالك رسول غياث الدين بالهدايا. ثم سار ابن حرميل الى اسفراين في صفر، وقد كان صاحبها سار الى غياث الدين فحاصرها حتى استأمن اليه وملك البلد. ثم أرسل الى صاحب سجستان بطاعة خوارزم والخطبة له فأجاب الى ذلك بعد أن طلبه في ذلك غياث الدين فامتنع. وعند مقام خوارزم شاه على هراة عاد اليها القاضي صاعد بن الفضل الذي كان ابن حرميل أخرجه منها فلحق بشهاب الدين. ثم رجع من عنده الى خوارزم شاه فسعى به ابن حرميل عنده حتى سجنه بقلعة زوزن وولى على القضاء بهراة الصفي أبا بكر محمد بن السرخسي.

خبر غياث الدين مع الذر وايبك مولى أبيه

لما ملك الذر غزنة وأسر علاء الدين وأخاه جلال الدين كتب اليه غياث الدين يأمره بالخطبة، وطاول في ذلك فبعث اليه يستحثه بأمر الخطيب بالترجم على شهاب الدين والخطبة لنفسه

فاستراب الاتراك به ، وبعث هو يشترط على غياث الدين العتق فأجابه الى ذلك بعد توقف . وكان عزمه على أن يصالح خوارزم شاه ويستمدّه على الذر فلما طلب العتق أعتقه ، وأعتق قطب الدين أيبك مملوك عمه شهاب الدين ونائبه ببلاد الهند . وأرسل الى كل منهما هدية وردّ الخبر [1] واستمرّ الذر على مراوغته وأيبك على طاعته فاستمدّ غياث الدين خوارزم شاه على الذر فأمدّه على أن يرد ابن حرميل صاحب هَراة الى طاعته، وأن يقسم الغنيمة أثلاثاً بينهما وبين العسكر .

وبلغ الخبر الى الذر فسار الى بكتاباد فلكها ، ثم الى بست وأعمالها كذلك . وقطع خطبة غياث الدين منها ، وأرسل الى صاحب سجستان بقطع خطبة خوارزم شاه والى ابن حرميل كذلك ويتهددهما ، وأطلق جلال الدين صاحب باميان وزوّجه بنته ، وبعث معه خمسة آلاف فارس مع ايدكين مملوك شهاب الدين ليعيدوا جلال الدين الى ملكه بباميان . وينزلوا ابن عمه فلما سار معه ايدكين أغراه بالعود الى غزنة، وأعلمه انّ الاتراك مجمعون على خلاف الذر فلم يجبه جلال الدين الى ذلك فرجع عنه ايدكين الى

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٨٦ : «وأرسل إلى كل واحد منهما ألف قباء وألف قلنسوة ومناطق الذهب وسيوفاً كثيرة وجنترين ومائة رأس من الخيل، وأرسل إلى كل واحد منهما رسولاً فقبل الدز الخلع ورد الجتر وقال: نحن عبيد ومماليك والجتر لـه أصحاب، وسار رسول ايبك إليه». وقد ورد في الكامل اسم «الدز» بدل «الذر» كما ورد هنا.

اقطاعه بكابل[١] ولقيه رسول من قطب الدين أيبك الى الذر يتهدده على عصيانه على غياث الدين ، ويأمره بالخطبة له ، ووصل معه الهدايا والالطاف الى غياث الدين ، وأشار عليه أيبك باجابة خوارزم الى جميع ما طلب حتى يفرغ من أمر غزنة .

وكتب الى أيبك يستأذنه في المسير الى غزنة ومحاربة الذر فأذن له بمحاربته ، ووصل ايدكين في رجب سنة ثلاث ، وخطب لغياث الدين بغزنة وامتنعت عليه القلعة فنهب البلد ووصل الخبر الى الذر بشأن ايدكين في غزنة ومراسلة أيبك له ففت ذلك في عضده ، وخطب لغياث الدين في بكتاباد ، وأسقط اسمه ورحل الى غزنة فرحل ايدكين عنها الى بلد الغور ، وأقام في تمواز ، وكتب الى غياث الدين بالخبر ، وأنفذ اليه أموالاً فبعث اليه غياث الدين بالخلع وأعتقه وخاطبه بملك الامراء . وسار غياث الدين الى بست وأعمالها فاستردّها وأحسن الى أهلها وأقام الذر بغزنة .

مقتل ابن حرميل واستيلاء خوارزم شاه على هراة

كان ابن حرميل كما قدّمناه استدعى عسكر خوارزم شاه الى هراة وأنزلهم معه بهراة فساء أمرهم في الناس ، وكثر عيثهم

(١) الضمائر متداخلة بشكل عجيب حتى لا تكاد تفهم في الأفعال: لقيه. وصل، عليه، كتب. والضمير في لقيه يعود إلى «ايدكين». وفي وصل يعود إلى «الرسول». وفي عليه إلى «غياث الدين» وفي كتب إلى «ايدكين» وكثيراً ما يلجأ المؤلف إلى هذا الأسلوب المعقد الذي يضيع القارىء.

فحبسهم ، وبعث الى خوارزم شاه بصنيعهم ويعـدّده ، وكان مشتغلاً بقتـال الخطا فكتب اليه يحسن فعله ، ويستدعي الجند الذين حبسهم. وبعث الى عز الدين خلدك أن يحتال في القبض على ابن حرميل فسار في ألفي فارس ، وكان خلدك أيام السلطان سنجر والياً على هَراة فلما قدم خرج ابن حرميل لتلقيه فنزل كل واحد منهما الى صاحبه ، وأمر خلدك أصحابه بالقبض عـلى ابن حرميل فقبضوا عليه . وانفض عنه أصحابه الى المدينة فأمر الوزير خواجه الصاحب بغلق الابواب والاستعداد للحصار ، ونادى بشعار غياث الدين محمود فحاصره خلدك وبذل له الامان ، وتهدّده بقتل ابن حرميل ، وخاطبه بذلك ابن حرميل ففعل ، وكتب بالخبر الى خوارزم شاه فبعث ولاته بخراسان يأمرهم بحصار هراة فساروا في عشرة آلاف ، وامتنعت هراة عليهم .

وكان ابن حرميل قـد حصنها باربعة أسوار محكمة وخندق وشحنها بالميرة ، وصار يمدهم الى حضور خوارزم شاه ، وأسروه أياماً حتى فادى نفسه ورجع الى خوارزم كما يذكر في أخبـار دولته . وأرجف بموتـه في خراسان فطمع أخوه عـلي شاه في طبرستان وكزل خان في نيسابور الى الاستبداد بالملك فلما وصل خوارزم شاه هرب أخوه عـلي شاه ، ولحق بشهاب الـدين في بيروزكوه فتلقاه وأكرمه . وسار خوارزم شاه الى نيسابور وأصلح أمرها واستعمل عليها ، وسار الى هراة ، وعسكره على حصارها

وقيل للوزير قد وصل خوارزم شاه لما وعدته . وتحدّث في ذلك جماعة من أهل البلد فقبض عليهم ووقعت بذلك هيمه ، وشعر بها خوارزم شاه فزحف الى السور وخرب برجين منه ، ودخل البلد فملكه وقتل الوزير وولى على هراة من قبله وذلك سنة خمس وستمائة ورجع الى قتال الخطا .

مقتل غياث الدين محمود

لما ملك خوارزم شاه مدينة هراة وولى عليها خاله أمير ملك ، وأمره أن يسير الى بيروزكوه ويقبض على صاحبها غياث الدين محمود بن غياث الدين الغوري ، وعلى أخيه علي شاه بن خوارزم شاه فسار أمير ملك واستأمن له محمود فأمنه ، وخرج اليه هو وعلي شاه فقبض عليهما أمير ملك وقتلهما ، ودخل فيروزكوه[1] سنة خمس وستمائة . وصارت خراسان كلها لخوارزم شاه .

استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها

ولما استولى خوارزم شاه على عامّة خراسان ، وملك باميان وغيرها أرسل الى تاج الدين الذر صاحب غزنة في الخطبة والسكة ، وأن يقرّر الصلح على غزنة بذلك فشاور أهل دولته ، وفيهم قطلوتكين من موالي شهاب الدين ، وهو النائب عن الذر بغزنة فأشار عليه بطاعته ، وأعاد الرسول بالاجابة ، وخطب له ،

(١) تقدمت باسم : بيروزكوه . وفي الكامل ج ٩ ص ٢٧٦ : فيروزكوه .

وسار عن غزنة متصدّياً. وبعث قطلوتكين الى خوارزم شاه سراً أن يبعث اليه من يسلمه غزنة فجاء بنفسه وملك غزنة. وهرب الذر الى لهاور. ثم أحضر خوارزم شاه قطلوتكين وقتله بعد ان استصفاه وحصل منه على أموال جمّة، وولّى على غزنة ابنه جلال الدين، وذلك سنة ثلاث عشرة وستمائة ورجع الى بلده.

استيلاء الذر على لهاور ومقتله

لما هرب الذر من غزنة أمام خوارزم شاه لحق بلهاور، وكان صاحبها ناصر الدين قباجة من موالي شهاب الدين وله معها ملتان وآمد والدبيل الى ساحل البحر، وله من العسكر خمسة عشر ألف فارس، وجاءه الذر في ألف وخمسمائة فقاتله على التعبية ومعه الفيلة فانهزم الذر أولاً، وأخذت فيوله. ثم كانت له الكرّة وحمل فيل له على علم قباجة باغراء الفيـال، وصدق هو الحملة فانهزم قباجة وعسكره وملك الذر مدينة لهاور، ثم سار الى الهند ليملك مدينة دلهي وغيرها من بلاد المسلمين، وكان قطب الدين أيبك صاحبها قد مات ووليها بعده مولاه شمس الدين فسار اليه، والتقيا عند مدينة سمابا واقتتلا فانهزم الذر وعسكره وأسر فقتـل. وكان محمود السيرة في ولايته كثير العدل والاحسان الى الرعية لا سيما التجار والغرباء، وكان بملكه انقراض دولة الغورية والبقاء لله وحده.

دولة الديلم

الخبر عن دولة الديلم وما كان لهم من الملك والسلطان في ملة الإسلام ودولة بني بويه منهم المتغلبين على الخلفاء العباسيين ببغداد وأولية ذلك ومصايره

قد تقدّم لنا نسب الديلم في أنساب الامم وأنهم من نسل ماذاي بن يافث، وماذاي معدود في التوراة من ولد يافث. وذكر ابن سعيد ولا أدري عمن نقله: انهم من ولد سام بن باسل بن اشور بن سام، وأشور مذكور في التوراة من ولد سام. وقال: ان الموصل من جرموق بن أشور، والفرس والكرد والخزر من ايران بن أشور، والنبط والسوريان من نبيط بن أشور. وهكذا ذكر ابن سعيد والله أعلم. والجيل عند كافة النسابين اخوانهم على كل قول من هذه الاقوال، وهم أهل جيلان جميعاً عصبية واحدة من سائر أحوالهم. ومواطن هؤلاء الديلم والجيل بجبال طَبَرِسْتان وجَرْجان الى جبال الريّ وكيلان وحفافي البحيرة المعروفة ببحيرة طبرستان من لدن أيام الفرس وما قبلها، ولم يكن لهم ملك فيما قبل الاسلام.

ولما جاء الله بالاسلام وانقرضت دولة الاكاسرة، واستفحلت دولة العرب وافتتحوا الاقاليم بالمشرق والمغرب والجنوب والشمال كما مرّ في الفتوحات، وكان من لم يدخل من الامم في دينهم

دان لهم بالجزية ، وكان هؤلاء الديلم والجيل على دين المجوسية ، ولم تفتح أيام الفتوحات ، وانما كانوا يؤدون الجزية . وكان سعيد ابن العاص قد صالحهم على مائة ألف في السنة ، وكانوا يعطونها وربما يمنعونها ، ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد ، وكانوا يمنعون الطريق من العراق الى خراسان على قومس .

ولما ولي يزيد بن المهلب خراسان سنة ست وثمانين للهجرة ، ولم يفتح طبرستان ولا جرجان ، وكان يزيد بن المهلب يعيّره بذلك اذا قصت عليه أخباره في فتوحات بلاد الترك ويقول : ليست هذه الفتوح بشيء والشأن في جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت قومس ونيسابور ، فلمّا ولّاه سليمان بن عبد الملك خراسان سنة تسع وتسعين أجمع على غزوها ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هي جبال ومحاصر ، يقوم الرجل على باب منها فيمنعه . وكانت طَبَرِسْتان مدينة وصاحبها الأَصْبَهْبَذ .

ثم سار الى جرجان مولاه فراسة ، وسار الهادي اليهما وحاصرهما حتى استقاما على الطاعة . ثم بعث المهدي سنة ثمان وتسعين يحيى الحرشيّ في أربعين ألفاً من العساكر فنزل طبرستان وأذعن الديلم . ثم لحق بهم أيام الرشيد يحيى بن عبد الله بن حسن المثنى فأجاروه ، وسرّح الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي لحربهم فسار اليهم سنة خمس وتسعين ومائة فأجابوه الى التمكين منه على مال شرطوه ، وعلى ان يجيء بخط الرشيد وشهادة أهل الدولة من

كبار الشيعة وغيرهم فبذل لهم المال، وكتب الكتاب. وجاء الفضل بيحيى فحبسه عند أخيه جعفر حسبما هو مذكور في أخباره. وفي سنة تسع وثمانين كتب الرشيد وهو بالري كتاب الامان لسروين بن أبي قارن ورندا هرمز بارخشان صاحب الديلم، وبعث بالكتاب مع حسن الخادم الى طبرستان فقدم بارخشان ورندا هرمز وأكرمها الرشيد وأحسن اليهما، وضمن رندا هرمز الطاعة والخراج عن سروين بن أبي قارن.

ثم مات سروين وقام مكانه ابنه شهريار، ثم زحف سنة احدى وثمانين عبدالله بن أبي خرداذبه وهو عامل طبرستان الى البلاد والسيزر من بلاد الديلم فافتتحها وافتتح سائر بلاد طبرستان، وأنزل شهريار بن سروين عنها. وأشخص مازيار بن قارن ورندا هرمز الى المأمون وأسر أبا ليلى. ثم مات شهريار بن سروين سنة عشر وقام مكانه ابنه سابور فحاربه مازيار بن قارن بن رندا هرمز وأسره ثم قتله. ثم انتقض مازيار على المعتصم وحمل الديلم وأهل تلك الاعمال على بيعته كرهاً وأخذ رهنهم وجبى خراجهم، وخرّب أسوار آمل وسارية، ونقل أهلها الى الجبال، وبنى على حدود جرجان سوراً من طميس الى البحر مسافة ثلاثة أميال وحصنه بخندق. وكانت الاكاسرة بنته سدّا على طبرستان من الترك.

وقد نقل اهل جرجان الى نيسابور وأملى له في انتقاضه الافشين مولى المعتصم وكبير دولته، طمعه في ولاية خراسان بما كان

يضطغن ابن طاهر صاحب خراسان فدس اليه بذلك كتاباً ورسالة حتى امتعض . وجهز عبدالله بن طاهر العساكر لحربه مع عمه الحسن ومولاه حيان بن جبله . وسرّح المعتصم العساكر يردف بعضها بعضاً حتى أحاطوا بجباله من كل ناحية ، وكان قارن بن شهريار أخو مازيار على سارية فدس الى قواد ابن طاهر بالرجوع من كل ناحية ، وكان قارن قد أتى الى الطاعة والنزول لهم عن سارية على أن يملكوه جبال آبائه ، وأسجل له ابن طاهر بذلك فقبض على عمه قارن في جماعة من قواد مازيار ، وبعث بهم فدخل قواد ابن طاهر جبال قارن وملكوا سارية . ثم استأمن اليهم قوهيار أخو مازيار ووعدهم بالقبض على أخيه على أن يولوه مكانه فأسجل له ابن طاهر بذلك ، فقبض على أخيه مازيار ، وبعث به الى المعتصم ببغداد فصلبه واطلع منه على دسيسة الافشين مولاه فنكبه وقتله .

ووثب مماليك مازيار بقوهيار فثاروا منه بأخيه وفرّوا الى الديلم فاعترضتهم العساكر وأخذوا جميعاً . ويقال : أنّ الذي كان غدر بمازيار هو ابن عمه كان يضطغن عليه ، عزله عن بعض جبال طبرستان ، وكان مولاه ورأيه عن رأيه . ثم تلاشت الدعوة العباسية بعد المتوكل ، وتقلص ظلها . واستبدّ أهل الاطراف بأعمالهم وظهرت دعاة العلوية في النواحي الى أن ظهر بطبرستان أيام المستعين الحسن بن زيد الداعي العلوي من الزيدية وقد مرّ

ذكره ، وكان على خراسان محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر ، وقد ولي على طبرستان عمه سليمان بن عبدالله بن طاهر فكان محمد بن أوس ينوب عنه مستبدًّا عليه فأساء السيرة ، وانتقض لذلك بعض عمال أهل الاعمال ودعوا جيرانهم الديلم الى الانتقاض

وكان محمد بن أوس قد دخل بلادهم أيام السلم وأثخن فيها بالقتل والسبي ، فلما استنجدهم أولئك الثوّار لحرب سليمان ونائبه محمد بن أوس نزعوا لاجابتهم ، واستدعوا الحسن بن زيد من مكانه وبايعوه جميعاً ، وزحفوا به الى آمل فملكوها . ثم ساروا الى سارية فهزموا عليها سليمان وملكوها . ثم استولى الحسن الداعي على طبرستان وكانت له ولأخيه بعده الدولة المعروفة كما هو معروف في أخبارهم أقامت قريباً من أربعين سنة ، ثم انقرضت بقتل محمد بن زيد . ودخل الديلم الحسن الاطروش من ولد عمر[1] بن زين العابدين ، وكان زيديّ المذهب فنزل فيما وراء السعيد دوى[2] الى آمل ولبث في الديلم ثلاث عشرة سنة ، وملكهم يومئذ حسان ابن وهشوذان وكان يدعوهم الى الاسلام ، ويأخذ منهم العشر ويدافع عنهم ملكهم ما استطاع فأسلم على يديه منهم خلق كثير

(١) قوله من ولد عمر الخ عبارة المسعودي الأطروش الحسن بن عليّ بن محمد بن علي بن أبي طالب ا هـ.

(٢) كذا بالأصل، وفي الكامل ج ٦ ص ١٤٦ : وكان الحسن بن علي الأطروش قد دخل الديلم بعد قتل محمد بن زيد، وأقام بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام .

وبنى لهم المساجد ، وزحف بهم الى قزوين فملكها وسالوس من ثغور المسلمين فأطاعوه ، وملك آمل ودعاهم الى غزو طبرستان وهي في طاعة ابن سامان فأجابوه ، وساروا اليها سنة احدى وثلثمائة. وبرز اليها عاملها ابن صعلوك فهزمه الاطروش واستلحم سائر أصحابه ، ولحق ابن صعلوك بالري ثم سار الى بغداد . واستولى الاطروش على طبرستان وأعمالها ، وقد ذكرنا دولته وأخبارها في دول العلويه ، وكان استظهاره على أمره بالديلم وقواده في حروبه وولاته على أعماله منهم . ثم قتله جيوش السعيد بن سامان سنة أربع وثلثمائة ، ودال الامر بين عقبه قواد الديلم كما هو مذكور في أخبارهم .

الخبر عن دولة الديلم وتغلبهم على أعمال الخلفاء بفارس والعراقين

كان للديلم جماعة من القواد بهم استظهر الاطروش وبنوه على أمرهم : منهم سرخاب بن وهشوذان أخو حسان ، وهو معدود في ملوكهم ، وكان صاحب جيش أبي الحسين بن الاطروش ثم أخوه علي ، ولاه المقتدر على أصفهان . ثم ليلى بن النعمان من ملوكهم أيضاً وكان قائداً للاطروش ، وولاه بعده صهره الحسن المعروف بالداعي الصغير على جرجان . ثم ما كان بن كالي وهو ابن عم سرخاب وحسان ابني وهشوذان ، وولاه أبو الحسين بن الاطروش مدينة استراباذ وأعمالها . ثم كان دون هؤلاء جماعة

اخرى من القواد فمنهم من اصحاب ما كان بن كالي اسفار بن شيرويه ومردايج بن زيار بن بادر واخوه وشمكير ولشكري. ومن أصحاب مرادويج بنو بويه الملوك الاعاظم ببغداد والعراقين وفارس. ولما تلاشت دولة العلوية واستفحل هؤلاء القواد بالاستبداد على أعقابهم في طبرستان وجرجان، وكانت خراسان عند تقلص الدولة العباسية على الاطراف قد غلب عليها الصفّار وملكها من يد بني طاهر. ثم نازعه فيها بنو سامان والداعي العلوي فأصبحت مشاعاً بينهم. ثم انفرد بها ابن سامان وكل منهم يعطي طاعة معروفة للخلفاء. ومركز ابن سامان وراء النهر وخراسان في اطراف ممالكتهم. وزاد تقلص الخلافة عما وراءها فتطاول ملوك الديلم هؤلاء قواد الدولة العلوية بطبرستان الى ممالك البلاد، وتجافوا عن أعمال ابن سامان لقوّة سورته واستفحال ملكه. وساروا في الارض يرومون الملك وانتشروا في النواحي، وتغلب كل منهم على ما دفع اليه من البلاد. وربما تنازعوا بعضها فكانت لهم دون طبرستان وجرجان بلاد الري، وظفر بنو بويه منهم بملك فارس والعراقين. وحجر الخلفاء ببغداد فذهبوا بفضل القديم والحديث، وكانت لهم الدولة العظيمة التي باهى الاسلام بها سائر الامم حسبما نذكر ذلك كله في أخبار دولتهم

أخبار ليلى بن النعمان ومقتله

كان ليلى بن النعمان من قواد الديلم، وكان أولاد الاطروش ينعتونه في كتابهم اليه المؤيد لدين الله المنتصر لاولاد رسول الله. وكان كريماً شجاعاً قد ولاه الحسن بن القاسم الداعي الصغير على جرجان بعد الاطروش سنة ثمان وثلثمائة فسار من جرجان الى الدامغان وهي في طاعة ابن سامان، وعليها مولاه قراتكين فبرزوا اليه وقاتلوه فهزمهم وأثخن فيهم، وعاد الى جرجان فابتنى أهل الدامغان حصناً يمتنعون به. وسار قراتكين الى ليلى فبرز اليه من جرجان وقاتله على عشرة فراسخ فانهزم قراتكين وأثخن في عسكره، وسار اليه فارس مولى قراتكين فأكرمه وزوّجه أخته وكثرت أجناده، وضاقت أمواله فأغراه أبو حفص القاسم بن حفص بنيسابور، وأمره الحسن الداعي بالمسير اليها فسار وملكها آخر ثمان وثلثمائة وخطب بها للداعي. وأنفذ السعيد نصر بن سامان عساكره من بخارى مع قواده حمويه بن علي ومحمد بن عبدالله البلعمي وأبو حفص بنيسابور وأبو الحسن صعلوك وسيجور الدواني فقاتلوا ليلى بن النعمان عن طوس، وهزموه فلحق بآمل واختفى فيها، وجاء بقراخان وأخرجه من الاختفاء وأنفذ بالخبر الى حمويه فأمره بقتله وتأمين أصحابه فقتل، وحمل رأسه الى بغداد وذلك في ربيع سنة تسع وثلثمائة. وبقي فارس غلام قراتكين

بجرجان، وعاد قراتكين الى جرجان فاستأمن اليه مولاه فارس فقتله قراتكين وانصرف عن جرجان.

أخبار سرخاب بن وهشوذان ومهلكه وقيام ماكان بن كالي بمكانه

كان سرخاب بن وهشوذان الديلمي من قواد الاطروش وبنيه، وبايع لابي الحسن بن الاطروش الناصر بعد مهلك أبيه بطبرستان واستراباذ وكان صاحب جيشه. ولما انصرف قراتكين عن جرجان بعد مهلك ليلى بن النعمان سار اليها أبو الحسن بن الاطروش وسرخاب فملكوها، وأنفذ السعيد نصر بن سامان سنة عشر سيجور الدواني في أربعة آلاف فارس لقتاله، ونزل على فرسخين من جرجان وحاصرها أشهراً ثم برزوا اليه، وأكمن لهم سيجور كميناً فتباطأ الكمين وانهزم سيجور واتبعه سرخاب. ثم خرج الكمين بعد حين، وانهزم أبو الحسن الى استراباذ وترك جرجان، وأتبعه سرخاب في الفلّ بمخلفه ومخلف أصحابه، ورجع سيجور الى جرجان فملكها. ثم مات سرخاب ولحق ابن الاطروش بسارية فأقام بها واستخلف ماكان بن كالي، وهو ابن عمّ سرخاب فسار محمد ابن عبيدالله البلعمي وسيجور لحصاره، وأقاموا عليه طويلاً. ثم بذلوا له مالاً على ان يخرج لهم عنها فتقوم لهم بذلك حجة عند ابن سامان ثم يعود ففعل ذلك، وخرج الى سارية ثم نزل الى

الشمانية عن استراباذ، وولوا عليها بقراخان فعاد اليها ماكان وملكها ولحق بقراخان بأصحابه في نيسابور.

بداية اسفار بن شيرويه وتغلبه على جرجان ثم طبرستان

كان أسفار هذا من الديلم من أصحاب ماكان بن كالي، وكان سيء الخلق صعب العشرة وأخرجه ماكان من عسكره فاتصل ببكر بن محمد بن أليسع في نيسابور وهو عامل عليها من قبل ابن سامان فأكرمه واختصه بالعساكر سنة خمس عشرة لفتح جرجان. وكان ماكان بن كالي يومئذ بطبرستان وولى على جرجان أبا الحسن بن كالي، واستراب بأبي علي بن الاطروش فحبسه بجرجان فجعله عنده في البيت، وقام ليلة اليه ليقتله فأظفر الله العلوي به وقتله وتسرّب من الدار. وأرسل من الغد الى جماعة من القواد فجاؤا اليه وبايعوه وألبسوه القلنسوة، وولى على جيشه علي بن خرشية، وكاتبوا اسفار بن شيرويه بذلك وهو في طريقه اليهم واستدعوه فاستأذن بكر بن محمد وسار اليهم، وسار علي ابن خرشية في القيام بأمر جرجان بدعوة العلوي الذي معهم وضبط ناحيتها. وسار اليهم ماكان بن كالي في العساكر من طبرستان وقاتلوه فهزموه واتبعوه الى طبرستان فملكوها من يده وقاموا بها.

ثم هلك أبو علي الاطروش وعلي بن خرشية صاحب الجيش،

وانفرد اسفار بطبرستان. وسار بكر بن محمد بن أليسع الى جرجان فملكها وأقام فيها دعوة نصر بن سامان. ثم رجع ماكان الى طبرستان وبها اسفار فحاربه وغلبه، وملك طبرستان من يده، ولحق اسفار بجرجان فأقام بها عند بكر بن أليسع إلى ان توفي بكر فولاه السعيد على جرجان سنة خمس عشرة. ثم ملك نصر ابن سامان الري بولاية المقتدر وولّى عليها محمد بن علي بن صعلوك فطرقه المرض في شعبان سنة ست عشرة، وكاتب الحسن الداعي اسفار ملك جرجان بولاية نصر بن سامان فاستدعى مرداويج بن زيار من ملوك الجبل وجعله أمير جيشه، وسار الى طبرستان فملكها.

استيلاء أسفار على الري واستفحال أمره

لما استولى اسفار على طبرستان ومرداويج معه، وكان يومئذ على الري وملكها من يد صعلوك كما ذكرناه. واستولى على قزوين وزنجان وأبهر وقمّ والكرخ، ومعه[1] الحسن بن القاسم الداعي الصغير وهو قائم بدعوته. فلما خالفه اسفار الى طبرستان وملكها واستضافها الى جرجان سار اليه ماكان والداعي والتقوا

(١) يظهر من الضمير أن الحسن المذكور مع أسفار، ثم يظهر فيها بعد أن الداعي ـ وهو الحسن ـ مع ما كان ضد أسفار. والعبارة بعد ذلك مشوشة. وفي الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ١٨٩ : فسار إليهم ماكان بن كالي من طبرستان في جيشه فحاربوه وهزموه وأخرجوه عن طبرستان، وأقاموا بها، ومعهم العلوي فلعب يوماً بالكرة فسقط عن دابته فمات، ثم مات علي بن خرشية صاحب الجيش. وعاد ماكان بن كالي إلى أسفار فحاربه فانهزم أسفار منه، ورجع إلى بكر بن محمد بن اليسع ـ وهو بجرجان ـ وأقام بها إلى أن توفي بكر بها.

بسارية واقتتلوا، وانهزم ماكان وقتل الداعي، وكانت هزيمته بتخاذل الديلم عنه فان الحسن كان يشتدّ عليهم في النهي عن المنكر فنكروه، واستقدموا خال مرداويج من الجبل واسمه هزر سندان. وكان مع أحمد الطويل بالدامغان فكروا بالداعي واستقدامه[1] للاستظهار به، وهم يضمرون تقديمه عوض ماكان، ونصَّب أبي الحسن بن الاطروش عوض الحسن الداعي، ودس اليه بذلك أحمد الطويل صاحب الدامغان بعد موت صعلوك فحذرهم حتى اذا قدم هزر سندان أدخله مع قواد الديلم الى قصره بجرجان. ثم قبض عليهم وقتلهم جميعاً، وأمر أصحابه بنهب أموالهم فامتعض لذلك سائر الديلم، وأقاموا على مضض، حتى اذا كان يوم لقائه أسفار خذلوه فقتل.

وفرّ ما كان واستولى اسفار على ما كان لهم من الريّ وقزوين وزنجان وأبهر وقم والكرخ واستضافها الى طَبَرِسْتان وجرجان، وأقام فيها دعوة السعيد بن سامان. ونزل سارية واستعمل على الري هرون بن بهرام صاحب جناح، وكان يخطب فيها لأبي جعفر العلوي فاستدعاه اليه وزوّجه من آمل. وجاء أبو جعفر لوليمته مع جماعة من العَلَوِيّين فكبسهم اسفار وبعث بهم الى بخارى فحبسهم بها الى أن خلصوا مع يحيى أخي السعيد، وكانوا في فتية حسبما ذكرناه. ولما فرغ اسفار من الري تطاول

(١) كذا وينبغي «وكان استقدامه».

الى قلعة الموت ليحصّن بها عياله وذخيرته، وكانت لسياه جشم بن مالك الديلمي ومعناه الاسود العين فاستقدمه أسفار وولاه قزوين، وسأله في ذلك فأجابه فنقل عياله اليها وسرّب الرجال اليهم لخدمتهم حتى كملوا مائة . ثم استدعاه فقبض عليه ، وثار أولئك بالقلعة فملكوها وكان في طريقه الى الري استأمن اليه صاحب جبلي نهاوند وقم ابن أمير كان فملكها ، ومرّ بسمنان فامتنع منه صاحبها محمد بن جعفر، وبعث اليه من الري بعض أصحابه فاستأمن اليه وخدعه حتى قتله وتدلى من ظهر القلعة .

ثم استفحل أمر اسفار وانتقض على السعيد بن سامان ، وأراد أن يتتوّج ويجلس على سرير الذهب ، واعتزم على حرب ابن سامان والخليفه فبعث المقتدر العساكر الى قزوين مع هرون ابن غريب الخال فقاتله اسفار وهزمه . ثم سار ابن سامان الى نيسابور لحربه فأشار على اسفار وزيره مطرف بن محمد الجرجاني بمسالمته وطاعته ، وبذل الاموال له فقبل اشارته ، وبعث بذلك الى ابن سامان . وتلطف أصحابه في رجوعه الى ذلك فرجع وشرط عليه الخطبة والطاعة فقبل، وانتظم الحال بينهما ورجع الى السطوة بأهل الري . ولما كانوا عابوا عليه عسكر القتال ففرض عليهم الاموال وعسف بهم ، وخص أهل قزوين بالنهب لما تولوا من ذلك وسلط عليهم الديلم فضاقت بهم الارض .

مقتل أسفار وملك مرداويج

كا مرداويج بن زيار من قواد اسفار ، وكان قد سئم عسفه وطغيانه كما سئمه النـاس وبعثه اسفار الى صاحب سميران الطر الذي ملك اذربيجان بعد ذلك يدعوه الى طاعته ففاوضه في أمر اسفار وسوء سيرته في الناس، واتفقا على الوثوب عليه به فأجابوه وفيهم مطرف بن محمد وزيره فسار هو وسلار اليه ، وبلغه الخبر فثار به الجند فهرب الى الري ، وكتب الى ما كان بن كالي بطبرستان يستألفه على أسفار فسار اليه ما كان فهرب اسفار من بيهق الى بست ، ثم دخل مفـازة الري قاصداً قلعة الموت التي حصّن بها أهله وذخيرته . وتخلف عنه بعض أصحابه في المفازة ، وجاء الى مرداويج يخبره فسار اليه ، وتقدّم بين يديه بعض القواد فلقي اسفار وسأله عن قواده ، فـأخبره أنّ مرداويج قتلهم فسر بذلك . ثم حمله القائد الى مرداويج فأراد أن يحبسه بالري فحذره بعض أصحابه غائلته فأمر بقتله ورجع الى الري . ولما قتل اسفار تنقـل مرداويج في البلاد يملكها فملك قزوين ثم الري ثم همذان ثم كنكور ثم الدينور ثم دجرد ثم قم ثم قاشان ثم اصفهـان ثم جرباد ، واستفحل ملكه وعتا وتكبر ، وجلس على سرير الذهب ، وأجلس أكابر قواده على سرير الفضة وتقدّم لعسكره بالوقوف على البعد منه ونودي بالخطاب بينهم وبين حاجبه .

استيلاء مرداويج على طبرستان وجرجان

قد ذكرنا أنّ الالفة الواقعة بين مرداويج وما كان وتظاهرهما على أسفار حتى قتل وثبت مرداويج في الملك واستفحل أمره فتطاول الى ملك طبرستان وجرجان. وسار اليهما سنة ست عشرة فانهزم ما كان أمامه، واستولى مرداويج على طبرستان وولى عليها اسفهسلان، وأمّر على عسكره أبا القاسم، وكان حازماً شجاعاً. ثم سار الى جرجان فهرب عامل ما كان عنها وملكها مرداويج، وولى عليها صهره أبا القاسم المذكور خليفة عنه، ورجع الى أصفهان. ولحق أبو القاسم وهزمه فرجع السائر الى الديلم ولحق ما كان بنيسابور، واستمدّ أبا علي بن المظفر صاحب جيوش ابن سامان فسار معه في عساكره الى جرجان فهزمهما أبو القاسم ورجعا الى نيسابور. ثم سار ما كان الي الدامغان فدفعه عنها أبو القاسم فعاد الى خراسان.

استيلاء مرداويج على همذان والجبل وحروبه مع عساكر المقتدر

لما ملك مرداويج بلاد الري أقبلت الديلم اليه فأفاض فيهم العطاء، وعظمت عساكره فلم تكفه جباية أعماله، وامتدّت عينه الى الأعمال التي تجاوره فبعث الى همذان سنة تسع عشرة جيشاً

كثيفاً مع ابن أخته ، وبها محمد بن خلف وعسكر المقتدر فاقتتلوا وأعان على همذان عسكر الخليفة فظفروا بعسكر مرداويج، وقتلوا ابن أخته فسار اليهم مرداويج من الري . وهرب عسكر الخليفة من همذان ودخلها عنوة فأثخن فيهم واستلحمهم وسباهم ثم أمّنهم وزحفت اليه عساكر المقتدر مع هرون بن غريب الخال فهزمهم بنواحي همذان ، وملك بلاد الجبل وما وراء همذان ، وبعث قائداً من أصحابه الى الدينور ففتحها عنوة ، وبلغت عساكره نحو حُلوان ، وامتلأت أيديهم من الذهب والسَّبيّ ورجعوا .

خبر لشكري في أصفهان

كان لشكري من الديلم ومن أصحاب اسفار واستأمن بعد قتله الى المقتدر ، وصار في جند هرون بن غريب الخال . ولما انهزم هرون أمام مرداويج سنة تسع عشرة أقام في قرقلنين ينتظر مدد المقتدر . وبعث لشكري هذا الى نهاوند يجبيه بمال منها فتغلب عليها ، وجمع بها جنداً ، ثم مضى الى أصفهان في منتصف السنة وبها أحمد بن كيغلغ فحاربه وهزمه ، وملك أصفهان ودخل اليها عسكره . وأقام هو بظاهرها فرأى لشكرى فقصده يظنه من بعض جنده أي أحمد ، فلما تراءى دافع أحمد بن

كيغلغ عن نفسه فقتل ، وهرب أصحابه ورجع ابن كيغلغ الى أصفهان[1] .

استيلاء مرداويج على أصفهان

ثم بعث مرداويج[2] عسكراً آخر الى أصفهان سنة تسع عشرة فملكوها ، وجدّدوا له مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف فنزلها ، وعسكره يومئذ أربعون أو خمسون ألفاً . ثم بعث عسكراً الى الاهواز وخوزستان فملكوها وجبوا أعمالها ، وبعث الى المقتدر وضمن هذه البلاد بمائتي ألف دينار في كل سنة فقرّرت عليه ، وأقطعه المقتدر همذان وماه الكوفة .

---

(١) العبارة مضطربة ، فقد عرفنا أن لشكري احتل أصفهان ، وأن أحمد هزم ، ثم يعود أحمد بعد ذلك إلى أصفهان . وبمقتضى ذلك ينبغي أن تكون كلمة «قتل» عائدة إلى لشكري لا إلى ابن كيغلغ . والسياق يقتضي العكس . ويظهر أن هنا عبارة أو أكثر سقطت أثناء النسخ فسببت اضطراب العبارة . وفي الكامل ج ٦ ص ٢١٥ : ولما انهزم أحمد نجا إلى بعض قرى أصبهان في ثلاثين فارساً ، وركب لشكري يطوف بسور أصبهان من ظاهره فنظر إلى أحمد في جماعته فسأل عنه فقيل : لا شك أنه من أصحاب أحمد بن كيغلغ ، فسار فيمن معه من أصحابه نحوهم ، وكانوا عدة يسيرة فلما قرب منهم تعارفوا فاقتتلوا فقتل لشكري ، قتله أحمد بن كيغلغ ، ضربه بالسيف على رأسه فقدّ المغفر والخوذة . ونزل السيف حتى خالط دماغه فسقط ميتاً . وكان عمر أحمد إذ ذاك قد جاوز السبعين . فلما قتل لشكري انهزم من معه فدخلوا أصبهان واعلموا أصحابهم فهربوا على وجوههم وتركوا أثقالهم وأكثر رحالهم ، ودخل أحمد إلى أصبهان .

(٢) قوله مراد ويج هو بالحاء المهملة في النسخ التي بأيدينا . وفي تاريخ ابن الوردي مرادويج بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم ألف وواو ممالة وياء مثناة تحت وجيم فارسية معناها معلق الرجال ا هـ . وفي المسعودي أنه يقال بالزاي أيضاً بدل الراء لكنه في نسخة بالحاء المهملة ا هـ . مصححة .

قدوم وشمكير على أخيه مرداويج

وفي سنة ست عشرة بعث مرداويج رسوله من الجند ليأتيه بأخيه وشمكير فبعث اليه وأبلغه رسالة أخيه ، وأعلمه بمقامه في الملك فاستبعد ذلك ثم استغربه ، ونكر على أخيه مشايعته للمسودة لانّ الديلم والجيل كانوا شيعة للعلوية بطبرستان فلم يزل الرسول به حتى سار به الى أخيه ، فخرج به الى قزوين وألبسه السواد بعد مراوضة . وقدم على أخيه بدوياً حافياً مستوحشاً فلم يكن الا أن رهف الملك أعطافه فأصبح أرق النـاس حاشية وأكثر الناس معرفة بالسياسة .

خبر مرداويج مع ابن سامان على جرجان

كان أبو بكر المظفر صاحب جيوش ابن سامان بخراسان قد غلب على جرجان وانتزعها من ملكه مرداويج ، فلما فرغ مرداويج من أمر خوزستان والاهواز رجع الى الري وسار منها الى جرجان فخرج ابن المظفر عن جرجان الى نيسابور ، وبهـا يومئذ السعيد نصر بن سامان فسار لمدافعة مرداويج عن جرجان ، وكاتب محمد ابن عبدالله البلعمي من قوّاد ابن سامـان مطرف بن محمد وزير مرداويج واستماله . وشعر بذلك فقتل وزيره ، وبعث اليه البلعمي يعذله في قصد جرجان ، ويطوّق ذلك بالوزير مطرف ، ويذكره

حقوق السعيد بن سامـان قبله وقصور قدرته عنه ، ويشير عليه بالنزول له عن جرجان وتقرير المـال عليه بالري فقبـل مرداويج اشارته ، وعاد عن جرجان وانتظم الحال بينهما .

بداية أمر بني بويه

وكانوا اخوة ثلاثة أكبرهم عماد الدولة أبو الحسن عـلي ، وركن الدولة الحسن ، ومعز الدولة أبو الحسن أحمد . لقَّبهم بهذه الالقاب الخلفاء عندما ملكوا الاعمال وقلدوهم اياها على ما نذكر بعد . وهم الذين تولوا حجر الخلفاء بعد ذلك ببغداد كما يـأتي . وأبوهم أبو شجاع بويه بن قناخس . وللناس في نسبهم خلاف : فأبو نصر بن ماكولا ينسبهم الى كوهى بن شيرزيك الاصغر ابن شيركوه بن شيرزيـك الاكبر ابن سران شاه بن سيرقند بن سيسانشاه بن سير بن فيروز بن شروزيـل بن سنساد بن هراهم جور ، وبقية النسب مذكور في ملوك الفرس . وابن مسكويه قال : يزعمون أنهم من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس .

والحق أنّ هذا النسب مصنوع تقرّب اليهم به من لا يعرف طبائع الانساب في الوجود ، ولو كان نسبهم ذا خلل في الديلم لم تكن لهم تلك الرياسة عليهم ، وان كانت الانساب قد تتغير وتخفى وتنتقل من شعب الى شعب ومن قوم الى قوم فانمـا هو بطول الاعصار وتناقـل الاجيال واندراس الازمان والاحقاب .

وأمـا هؤلاء فلم يـكن بينهم وبـين يزدجرد وانقطاع الملك من الفرس الا ثلثمائة سنة ، فيها سبعة أجيال أو ثمانية أجيال ميزت فيها أنسابهم وأحصيت أعقابهم. فكيف يدرك مثل هذه الانساب الخفاء في مثل هذه الاعصار. وان قلنا كان نسبهم الى الفرس ظاهراً منع ذلك من رياستهم على الديلم فلا شك في هذه التقادير في ضعة هذا النسب والله أعلم.

وأمّا بدايتهم فانهم كانوا من أوسط الديلم نسباً وحالاً. وفي أخبارهم أنّ أباهم أبا شجاع كان فقيراً ، وأنه رأى في منامه أنه يبول فخرج من ذكره نار عظيمة فاستضاءت الدنيا بها فاستطالت وارتفعت الى السماء. ثم افترقت ثلاث شعب ، ومن كل شعب عدّة شعب فاستضاءت الدنيا بها والناس خاضعون لتلك النيران. وأن عابرا عبر له الرؤيـا بانه يكون له ثلاثـة أولاد يملكون الارض ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت النار ، ويولد لهم ملوك بقدر الشعب. وأنّ أبا شجاع استبعد ذلك واستنكره لما كانوا عليه من توسط الحـال في المعيشة فرجع المعبر الى السؤال عن وقت مواليدهم فأخبروه بها ، وكان منجّمـاً فعدل طوالعهم ، وقضى لهم جميعاً بالملك فوعدوه وانصرف.

ولما خرج قوّاد الديلم لملك البلاد ، وانتشروا في الاعمال مثل ليلى وماكان واسفار ومرداويج خرج مع كل واحد منهم جموع من الديلم رؤس وأتباع ، وخرج بنو أبي شجاع هؤلاء في جملة

قواد ماكان فلما اضطرب أمره ، وغلبه مرداويج عن طبرستان وجرجان مرّة بعد مرّة لحق آخراً بنيسابور مهزوماً فاعتزم بنو بويه على فراقه ، واستأذنوه في ذلك ، وقالوا انما نفارقك تخفيفاً عليك فاذا صلح أمرك عدنا اليك. وساروا الى مرداويج وتبعتهم جماعة من قواد ماكان فقبلهم مرداويج ، وقلد كل واحد منهم ناحية من نواحي الجبل . وقلد علي بن بويه كرمس وكتب لهم العهود بذلك .

وساروا الى الري وبها يومئذ أخوه وشمكير ومعه وزيره الحسين بن محمد العميد والد أبي الفضل. ثم بدا لمرداويج في ولاية هؤلاء القواد المستأمنة فكتب الى أخيه وشمكير ووزيره العميد بردّهم عن تلك الاعمال. وكان عليّ بن بويه قد أسلف عند العميد يداً في بغلة فارهة عرضها للبيع ، واستامها العميد فوهبها له فرعى له العميد هذه الوسيله. فلما قرأ كتاب مرداويج دس الى ابن بويه بأن يغذ السير الى عمله فسار من حينه . وغدا وشمكير على بقية القواد فاستعاد العهود من أيديهم، وأمر ابن بويه فأشار عليه أصحابه بترك ذلك لما فيه من الفتنة فتركه.

ولاية عماد الدولة بن بويه على كرج وأصفهان

ولما وصل عماد الدولة الى كرج ضبط أمورها وأحسن السياسة في أهلها وأعمالها، وقتل جماعة من الخرمية كانوا فيها وفتح قلاعهم ،

وأصاب فيها ذخائر كثيرة فانفقها في جنده فشاع ذكره وحمدت سيرته. وكتب أهل الناحية الى مرداويج بالنبأ ففص[1] وجاء من طبرستان الى الريّ، وأطلق مالاً لجماعة من قواده على كرج فاستمالهم عماد الدولة وأحسن اليهم فأقاموا عنده. واستراب مرداويج فكتب الى عماد الدولة في استدعائهم فدافعه وحذرهم منه فحذروا. ثم استأمن اليه سيراذ من أعيان قواد مرداويج فكشف به جمعه وسار الى اصفهان وبها المظفر بن ياقوت من قبل القاهر في عشرة آلاف مقاتل، وعلى خراجها أبو علي بن رستم فاستأذنها في الانحياز اليها والدخول في طاعة الخليفة فأعرضا عنه. ومات خلال ذلك ابن رستم وبرز ابن ياقوت من اصفهان لمدافعته واستأمن اليه من كان مع ابن ياقوت من الجيل والديلم، ثم لقيه عماد الدولة في تسعمائة فهزمه وملك أصفهان.

استيلاء ابن بويه على أرجان وأخواتها ثم على شيراز وبلاد فارس

ولما بلغ خبر أصفهان الى مرداويج اضطرب وكتب الى عماد الدولة بن بويه يعاتبه ويستميله، ويطلب منه اظهار طاعته، ويمدّه بالعساكر في البلاد والاعمال، ويخطب له فيها. وجهز له أخاه وشمكير في جيش كثيف ليكبسه وهو مطمئن الى تلك الرسالة. وشعر ابن بويه بالمكيدة فرحل عن أصفهان بعد أن جباها شهرين

(١) كذا ولعلها غضب أو غصّ بالغيظ.

وسار الى أرجان وبها أبو بكر ابن ياقوت من أصفهان والياً عليها ففصل عنها. ولما ملك ابن بويه ارجان كاتبه أهل شيراز يستدعونه اليهم وعليهم يومئذ ياقوت عامل الخليفة، وثقلت وطأته عليهم وكثر ظلمه فاستدعوا ابن بويه، وخام عن المسير اليهم فأعادوا اليه الكتاب بالحث على ذلك، وأنّ مرداويج طلب الصلح من ياقوت فعاجل الامر قبل ان يجتمعا فسار الى النوبندجان في ربيع سنة احدى وعشرين، وسبقته اليها مقدمة ياقوت في ألفين من شجعان قومه. فلما وافاهم ابن بويه انهزموا الى كرمان، وجاءهم ياقوت هنالك في جميع أصحابه. وأقام عماد الدولة بالنوبندجان، وبعث أخاه ركن الدولة الحسن الى كازرون وغيرها من أعمال فارس فلقي هنالك عسكراً لياقوت فهزمهم وجبى تلك الاعمال، ورجع الى أخيه بالاموال.

ثم وقعت المراسلة بين مرداويج وياقوت في الصلح، وسار وشمكير اليه عن أخيه فخشيها عماد الدولة وسار من نوبندجان الى اصطخر، ثم الى البيضاء وياقوت في اتباعه. وسبقه ياقوت الى قنطرة على طريق كرمان فصده عن عبوره، واضطرّه للحرب فتحاربوا واستأمن جماعة من أصحاب ابن بويه الى ياقوت فقتلهم فخشيه الباقون واستماتوا. وقدّم ياقوت أمام عسكره رجالة بقوارير النفط فلما أشعلوها وقذفت أعادتها الريح عليهم فعلقت بهم فاضطربوا، وخالطهم أصحاب ابن بويه في موقفهم وكانت الدبرة

على ياقوت. ثم صعد الى ربوة ونادى في أصحابه بالرجوع فاجتمع اليه نحو أربعة آلاف فارس، وأراد الحملة عليهم لاشتغالهم بالنهب ففطنوا له، وتركوا النهب وقصدوه فانهزم واتبعوهم فأثخنوا فيهم.

وكان معز الدولة احمد بن بويه من اشدّ الناس بلاء في هذه الحرب ابن تسع عشرة سنة لم يطرّ شاربه ، ثم رجعوا الى السواد فنهبوه ، وأسروا جماعة منهم فاطلقهم ابن بويه وخيرهم فاختاروا المقام عنده فأحسن اليهم . ثم سار الى شيراز فأمنها ونادى بالمنع من الظلم ، واستولى على سائر البلاد وعرفوه بذخائر في دار الامارة وغيرها من ودائع ياقوت وذخائر بني الصفار فنادى في الجند بالعطاء وأزاح عللهم ، وامتلأت خزائنه . وكتب الى الراضي وقد أفضت اليه الخلافة والى وزيره أبي علي بن مقله تقرير البلاد عليه بألف ألف درهم فأجيب الى ذلك ، وبعثوا اليه بالخلع واللواء . وكان محمد بن ياقوت قد فارق أصفهان عند خلع القاهر وولاية الراضي ، وبقيت عشرين يوماً دون أمير فجاء اليها وشمكير وملكها فلما وصل الخبر الى مرداويج باستيلاء ابن بويه على فارس سار الى أصفهان للتدبير عليه ، وبعث أخاه وشمكير الى الريّ .

استيلاء ملكان بن كالي على الري

قد ذكرنا في دولة بني سامان أنّ أبا علي محمد بن الياس كان سنة اثنتين وعشرين بكرمان منتقضاً على السعيد فبعث اليه في

هذه السنة جيشاً كثيفاً فاستولى على كرمان ، وأقام فيها الدعوة لابن سامان . وكان أصل محمد بن اليـاس من أصحاب السعيد فسخطه وحبسه ، ثم أطلقه بشفاعة البلعمي . وبعث مع صاحب خراسان محمد بن المظفر الى جرجان حتى اذا خرج أخوه السعيد من محبسهم وبايعوا ليحيى منهم كان محمد بن الياس معهم ، حتى تلاشى أمرهم ففارقه ابن الياس من نيسابور الى كرمان فاستولى عليها الى هذه الغاية ، فأزاله عنها ماكان ولحق بالدينور ، وأقام ماكان والياً بكرمان بدعوة بني سامان .

مقتل مرداويج وملك أخيه وشمكير من بعده

لما استفحل أمر مرداويج كما قلنا عتا وتجبر وتتوّج بتاج مرصع على هيئة تاج كسرى ، وجلس على كرسي الذهب وأجلس أكابر قواده عـلى كراسي الفضة ، واعتزم عـلى قصد العراق والمدائن وقصور كسرى وأن يدعى بشاه . وكان له جند من الاتراك كان كثير الاساءة اليهم ، ويسميهم الشياطين والمردة فثقلت وطـأته على الناس ، وخرج ليلة الميلاد من سنة ثلاث وعشرين الى جبال أصفهان ، وكانوا يسمونها ليلة الوقود لمـا يضرم فيها من النيران فـأمر بجمع الحطب على الجبل من أوّله الى آخره أمثال الجبـال والتلال ، وجمع ألفي طائر من الغربان والحدآت وجعل النفط في أرجلها ليضرم الجبل ناراً حتى يضيء الليل .

واستكثر من أمثال هذا اللعب، ثم عمل سماطاً للاكل بين يديه فيه مائة فرس ومائتا بقرة وثلاثة آلاف كبش وعشرة آلاف من الدجاج وأنواع الطير، وما لا يحصى من أنواع الحلوى، وهيأ ذلك كله ليأكل الناس ثم يقوموا الى مجلس الشرب والندمان فتشعل النيران. ثم ركب آخر النهار ليطوف على ذلك كله بنفسه فاحتقره وسخط من تولى ترتيبه، ودخل خيمته مغضباً ونام فأرجف القوّاد بموته فدخل اليه وزيره العميد وأيقظه، وعرّفه بما الناس فيه فخرج وجلس على السماط وتناول لقمتين، ثم ذهب وعاد الى مكانه فقام في معسكره بظاهر أصفهان ثلاثا لا يظهر للناس. ثم قام في اليوم الرابع ليعود الى قصره بأصفهان فاجتمعت العساكر ببابه، وكثر صهيل الخيل ومراحها فاستيقظ لكثرة الضجيج فازداد غضبه، وسأل عن أصحاب الدواب فقيل انها للاتراك نزلوا للخدمة وتركوها بين يدي الغلمان فأمر أن تحل عنها السروج، وتجعل على ظهور الاتراك ويقودونهم الى اصطبلات الخيل، ومن امتنع من ذلك ضرب فأمسكوا ذلك على أقبح الهيئات، واصطنعوا[1] ذلك عليه واتفقوا على الفتك به في الحمام.

وكان كورتكين يحرسه في خلوته وحمامه فسخطه ذلك اليوم،

(١) كذا. ومعاني اصطنع لا تناسب السياق. ولعلها: اضطغنوا. أي انطووا على الأحقاد أو قابلوا الحقد بمثله.

وطرده فلم يتقدّم الى الحرس لمراعاته وداخلوا الخادم الذي يتولى خدمته في الحمام في أن يفقده سلاحه، وكان يحمل خنجراً فكسر حديد الخنجر وترك النصاب لمرداويج فلم يجد له حداً فأغلق باب الحمام، ودعمه من ورائه بسرير الخشب الذي كان صاعداً عليه فصعدوا الى السطح وكسروا الجامات ورموه بالسهام فانحجر في زوايا الحمام، وكسروا الباب عليه وقتلوه. وكان الذي تولى كبر ذلك جماعة من الاتراك، وهم: توزون الذي صار بعد ذلك أمير الامراء ببغداد، ويارق بن بقراخان، ومحمود بن نيال الترجمان، ويحكم الذي ولي امارة الامراء قبل تورون[1]. ولما قتلوه خرجوا الى أصحابهم فركبوا ونهبوا قصر مرداويج وهربوا وكان الديلم والجيل بالمدينة فركبوا في أثرهم فلم يدركوا منهم الا من وقفت دابته فقتلوهم وعادوا لنهب الخزائن فوجدوا العميد قد أضرمها ناراً.

ثم اجتمع الديلم والجيل وبايعوا أخاه وشمكير بن زيار وهم بالريّ، وحملوا معهم جنازة مرداويج فخرج وشمكير وأصحابه لتلقيها على أربع فراسخ حفاة، ورجع العسكر الذي كان بالاهواز الى وشمكير واجتمعوا عليه، وتركوا الاهواز لياقوت فملكها، وقام وشمكير بملك أخيه مرداويج في الديلم والجيل،

---

(١) كذا، وفي الكامل: توزون.

وأقام بالريّ وجرجان في ملكه . وكتب السعيد بن سامان الى محمد بن المظفر صاحب خراسان والى ماكان بن كالي صاحب كرمان بالمسير الى جرجان والريّ فسار ابن المظفر الى قومِسَ ثم إلى بسطام ، وسار ماكان على المفازة الى الدامغان ، واعترضه الديلم من أصحاب وشمكير في جيش كثيف فهزموهم ولحق بنيسابور آخر ثلاث وعشرين ، وجعلت ولايتها لما كان بن كالي فأقام بها. وسار أبو عليّ بن الياس الى كرمان بعد انصراف ماكان عنها فملكها وصفت له بعد حروب شديدة طويلة مع جيوس السعيد بن سامان ، وكان له الظفر آخراً. وأمّا الاتراك الذين قتلوا مرداويج فافترقوا في هزيمتهم فرقتين . فسارت فرقة الى عماد الدولة بن بويه وهم الاقل ، وفرقة الى الجيل مع بجكم وهم الاكثر فجبوا خراج الدينور وغيره . ثم ساروا الى النهروان وكاتبوا الراضي في المسير الى بغداد فأذن لهم واستراب الحجرية بهم فردّهم الوزير ابن مقلة الى بلد الجيل[1] وأطلق لهم مالاً فلم يرضوا به فكاتبهم ابن رائق ، وهو يومئذ صاحب واسط البصرة فلحقوا به ، وقدم عليهم بجكم فكاتب الاتراك من أصحاب

(١) كذا بالأصل، ولم يذكر صاحب معجم البلدان بلداً باسم الجيل. وهي غالباً محرفة، أما عن جيلان: اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان. أو عن بلد الجبل، وهي كما في معجم البلدان: «اسم جامع لهذه الأعمال التي يقال لها الجبال في بلاد العجم. وهو اسم علم للبلاد المعروفة اليوم باضطلاع العجم بالعراق، وتسمية العجم له بالعراق غلط». ويقطن بلاد جيلان قبيلة تسمى: «الجيل».

مرداويج فقدم عليه منهم عدّة وافرة واختص بحكم ، وتولاه ونعته بالرائقي نسبة اليه ، وأمره أن يرسمها في كتابه .

مسير معز الدولة بن بويه الى كرمان وهزيمته

لما ملك عماد الدولة بن بويه وأخوه ركن الدولة بلاد فارس والجبل بعثا أخاهما الاصغر معز الدولة الى كرمان خالصة له فسار في العسكر اليها سنة أربع وعشرين ، واستولى على السيرجان . وكان ابراهيم بن سيجور الدواني قائد ابن سامان يحاصر محمد بن الياس بن اليسع في قلعته هنالك . فلما بلغه خبر معز الدولة سار من كرمان الى خراسان ، وخرج محمد بن الياس من القلعة التي كان محاصراً بها الى مدينة قم على طرف المفازة بين كرمان وسجستان فسار الى جيرفت ، وهي قصبة كرمان . وجاء رسول علي بن أبي الزنجي المعروف بعلي بن كلونة أمير القفص والبلوص، كان هو وسلفه متغلبين على تلك الناحية ، ويعطون طاعتهم للامراء والخلفاء على البعد ، ويحملون اليهم المال . فلما جاء رسوله بالمال امتنع معز الدولة من قبوله الا بعد دخول جيرفت ، فلما دخل جيرفت صالحه وأخذ رهنه على الخطبة له .

وكان عليّ بن كلونة قد نزل بمكان صعب المسلك على عشرة فراسخ من جيرفت فأشار على معز الدولة بعض أصحابه أن يغدر به ويكبسه ، ففعل ذلك ، وأتى لعليّ بن كلونة عيونه بالخبر

فأرصد جماعة لمعز الدولة بمضيق في طريقه، فلما مرّ بهم سارياً ثاروا به من جوانبه وقتلوا من أصحابه وأسروا وأصابته جراح كثيرة وقطعت يده اليسرى من نصف الذراع وأصابع يده اليمنى، وسقط بين القتلى. وبلغ الخبر الى جيرفت فهرب أصحابه منها، وجاء علي بن كلونة فحمله من بين القتلى الى جيرفت، وأحضر الاطباء لعلاجه. وكتب الى أخيه عماد الدولة يعتذر ويبذل الطاعة فأجابه وأصلحه. وسار محمد بن الياس من سجستان الى بلد خبابة فتوجه اليه معز الدولة وهزمه، وعاد ظافراً. ومرّ بابن كلونة فقاتله وهزمه وأثخن في أصحابه، وكتب الى أخيه عماد الدولة بخبره مع ابن الياس وابن كلونة فبعث اليه قائداً من قواده، واستقدمه اليه بفارس فأقام عنده باصطخر الى ان قدم عليهم أبو عبدالله البريدي منهزماً من ابن رائق وبحكم المتغلبين على الخلافة ببغداد، فبعث عماد الدولة أخاه معز الدولة، وجعل له ملك العراق عوضاً عن ملك كرمان كما يذكر بعد.

استيلاء ماكان على جرجان وانتقاضه على ابن سامان

قد ذكرنا انهزام ما كان علي جرجان أيام بانجين الديلمي ورجوعه الى نيسابور فاقام بها ثم بلغ الخبر بمهلك بانجين بجرجان فاستأذن ما كان محمد بن المظفر في الخروج لاتباع بعض أصحابه هرب عنه وطالبه به عارض الجيش فأذن له، وسار الى اسفراين

وبعث معه جماعة من عسكره الى جرجان فاستولى عليها . ثم أظهر لوقته الانتقاض على ابن المظفر . وسار اليه بنيسابور فتخاذل أصحابه ، وهرب عنها الى سرخس ، وعاد عنها ما كان خوفاً من اجتماع العساكر عليه ، وذلك في رمضان سنة أربع وعشرين .

دولة بني بويه

الخبر عن دولة بني بويه من الديلم المتغلبين على العراقين وفارس والمستبدين على الخلفاء ببغداد من خلافة المستكفي الى أن صاروا في كفالتهم وتحت حجرهم الى انقراض دولتهم وأولية ذلك ومصايره

قد تقدم لنا التعريف ببني بويه وذكر نسبهم ؛ وهم من قواد الديلم الذين تطاولوا للاستيلاء على اعمال الخلفاء العباسيين ولما لم يروا عنها مدافعاً ولا لها حامية فتنقلوا في نواحيها ، وملك كل واحد منهم اعمالا منها . واستولى بنو بويه على اصفهان والريّ ، ثم انعطفوا على بلاد فارس فملكوا أرّجان وما اليها . ثم استولوا على شيراز وأعمالها ، وأحاطوا باعمال الخلافة بنواحي بغداد من شرقها وشمالها ، وكانت الخلافة قد طرقها الاعلال ، وغلب عليها الموالي والصنائع . وقد كان ابو بكر محمد بن رائق عاملًا بواسط ؛ واضطرب حال الراضي ببغداد فاستقدمه وقلّده امارة الجيوش ، ونعته امير الامراء . وكان بنو البريدي في

خوزستان والأهواز فغصّوا به ، ووقعت الوحشة بينه وبينهم فبعث ابن رائق بدراً الخرشني ، ويحكم الذي نزع اليه أتراك مرداويج فساروا في العسكر لقتال ابن البريدي ، واستولوا على الاهواز سنة خمس وعشرين ، ولحق ابن البريدي بعماد الدوله بن بويه لما ملك العراق وسهل عليه امره . وذلك عند رجوع اخيه معزّ الدولة من كرمان وامتناعها عليه كما ذكرناه فبعث معه العساكر .

استيلاء معز الدولة بن بويه على الاهواز

لما لحق ابو عبدالله البريدي بعماد الدولة ناجياً من الاهواز مستنجداً له بعث أخاه معزّ الدولة في العساكر ، بعد ان أخذ منه ابنيه أبا الحسن محمداً وأبا جعفر الفياض رهناً . وسار معزّ الدولة سنة ست وعشرين فانتهى الى أرجان ويحكم جاء للقائهم ، وانهزم أمامهم الى الاهواز فأقام بها، وأنزل بها بعض عسكره في عسكر مكرم فقاتلوا معز الدولة ثلاثة عشر يوماً . ثم انهزموا الى تُسْتَر فرحل معز الدولة الى عسكر مكرم، وأنفذ ابن البريدي خليفته الى الاهواز . ثم بعث الى معزّ الدولة بأن ينتقل الى السوس ، ويبعد عنه فيؤمن له الاهواز فعذله وزيره ابو جعفر الصيمري وغيره من اصحابه، وأروه ان البريدي يخادعه فامتنع معزّ الدولة من ذلك ، وبلغ اختلافهم الى يحكم فبعث عسكراً من قبله

فاستولى على الناس ، وجنّد نيسابور وبقية الاهواز بيـد ابن البريدي ، وعسكر مكرم بيد معز الدولة . وضاق حال جنده وتحدّثوا في الرجوع الى فارس فواعدهم لشهر ، وكتب الى أخيه عماد الدولة بالخبر فبعث اليه مدداً من العسكر فعادوا واستولوا على الاهواز . وسار بجكم من واسط فاستولى على بغداد ، وقلده الراضي امارة الامراء ، وهرب ابن رائق فاختفى ببغداد .

انتزاع وشمكير أصفهان من يد ركن الدولة
ومسيره الى واسط ثم استرجاعه أصفهان

قد ذكرنا وشمكير المستولي بعد اخيه مرداويج على الريّ ، وكان عماد الدولة استولى على اصفهان ودفعها الى اخيه ركن الدولة فبعث اليها وشمكير سنة سبع وعشرين جيشاً كثيفاً من الريّ فملكوها من يده ، وخطبوا فيها لوشمكير . ثم سار وشمكير الى قلعة الموت فملكها ، ورجع فلحق ركن الدولة باصطخر ، وجاءه هنالك رسول أخيه معز الدولة من الاهواز بأن ابن البريدي أنفذ جيشاً الى السوس ، وقتل قائدهـا من الديلم ، وأنّ الوزير أبا جعفر الصيمري كان على خراجها محتصراً بقلعة السوس فسار ركن الدولة الى السوس ، وهرب عساكر ابن البريدي بين يديه. ثم سار الى واسط ليستولي عليها لانه قـد خرج عن أصفهان ، وليس له ملك يستقل بـه فنزل بالجانب الشرقي ، وسار الراضي

ويحكم من بغداد لحربه فاضطرب أصحابه، واستأمن جماعة منهم لابن البريدي فخام ركن الدولة عن اللقاء، ورجع الى الاهواز فسار الى أصفهان، وهزم عسكر وشمكير بها وملكها. وكان هو وأخوه عماد الدولة بعثا لابن محتاج صاحب خراسان يحرّضانه على ما كان ووشمكير، واتصلت بينهم مودّة.

مسير معز الدولة الى واسط والبصرة

كان ابن البريدي بالبصرة وواسط قد صالح يحكم أمير الامراء ببغداد، وحرضه على المسير الى الجبل ليرجعها من يد ركن الدولة بن بويه، ويسير هو الى الاهواز فيرتجعها من يد معز الدولة. واستمدّ يحكم فأمدّه بخمسمائة رجل، وسار الى حُلوان في انتظاره. وأقام ابن البريدي يتربص به وينتظر أن يبعد عن بغداد فيهجم هو عليها، وعلم يحكم بذلك فرجع الى بغداد، ثم سار الى واسط فانتزعها من يد ابن البريدي، وذلك لسنة ثمان وعشرين. وولي الخلافة المتقي، وكان ظل الدولة العباسيّة قد تقلّص حتى قارب التلاشي والاضمحلال، وتحكم على الدولة بعد مولاه ابن رائق وابن البريدي الذي كان يزاحمه في التغلب على الدولة فبعث عساكره من البصرة الى واسط فسرّح اليه يحكم العساكر مع مولاه تورون فهزمهم، وجاء يحكم على أثره ولقيه خبر هزيمتهم فاستقام أمره، وطفق يتصدّى في تلك النواحي

الى أن عرض له بعض الاكراد ممن له عنده ثأر وهو منفرد عن عسكره فقتله ، وافترق أصحابه فلحق جماعة من الاتراك بالشام ، ومقدمهم تورون .

وولى الباقون عليهم يكسك مولى بجكم ، وكان الديلم عند مقتله قد ولوا عليهم باسوار بن ملك بن مسافر بن سلار ، وسلار جدّه ، صاحب شميران الطرم الذي داخل مرداويج في قتل اسفار ، وملك ابنه محمد بن مسافر بن سلار أَذَربيجان فكانت له ولولده بها دولة . ووقعت الفتنة بين الديلم والاتراك فقتله الاتراك ، وولى الديلم مكانه كورتكين ولحقوا بابن البريدي فزحف بهم الى بغداد . ثم تنكروا واتفقوا مع الاتراك على طرده فلحقوا بواسط ، واستفحل الديلم وغلبوا الاتراك وقتل كورتكين كثيراً من الديلم ، واستبدّ بأمرة الامراء ببغداد . ثم جاء تورون من الشام بابن رائق ، وهزم كورتكين الديلم وقتل أكثرهم ، وانفرد ابن رائق بامرة الامراء ببغداد سنة اثنتين وثلثمائة .

وكان ابن البريدي في هذه الفترة بعد بجكم قد استولى على واسط فبعث اليه ابن رائق واستوزره ففعل على أن يقيم بمكانه ، ويستخلف ابن شيرزاد ببغداد . ثم سار اليهم الى واسط فهرب ابن رائق والمقتفي الى الموصل ، وتخلف عنهم تورون ، وعاث أصحاب ابن البريدي في بغداد فشكا له الناس. ولما وصل المقتفي ولى ابن حمدان امرة الامراء بمكانه وقصدوا بغداد فهرب وخالفه

تورون الى المقتفي وابن حمدان وملكوا بغداد . وسار سيف الدولة أمام ابن البريدي ، وخرج ناصر الدولة في اتباعه فنزل المدائن ، وانكشف سيف الدولة امام ابن البريدي حتى انتهوا الى اخيه ناصر الدولة بالمدائن فأمدّه ورجع فهزم ابن البريدي وغلبه على واسط فملكها ، ولحق ابن البريدي بالبصرة ، وأقام سيف الدولة بواسط ينتظر المدد ليسير الى البصرة . وجاءه ابو عبدالله الكوفي بالاموال فشغب عليه الاتراك في طلب المال وثاروا به ، ومقدّمهم تورون فهرب الى بغداد وهم في اتباعه ، وكان أخوه قد انصرف الى بغداد ثم الى الموصل فلحق به . ودخل تورون بغداد وولي الامر بها .

ثم استوحش من المقتفي وتربّص مسيره الى واسط لقتال ابن البريدي ، وسار الى الموصل سنة احدى وثلاثين ومعز الدولة بن بويه في أثناء هذا كله مقيم بالاهواز مطلّ على بغداد واعمال الخليفة ، يروم التغلب عليها وأخوه عماد الدولة بفارس ، وركن الدولة باصفهان والريّ فلما سار المقتفي من الرَّقّة الى تورون خلعه وسمله ، ونصب المكتفي . وقد قدّمنا هذه الاخبار كلها مستوعبة في أخبار الدولة العباسية وانما أعدناها توطئة لاستيلاء بني بويه على بغداد واستبدادهم على الخلافة . ثم عاد معز الدولة الى واسط سنة ثلاث وثلاثين فسار تورون والمستكفي لدفاعه ففارقها وعاد الى الاهواز .

استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد واندراج أحكام الخلافة في سلطانه

ثم ان تورون في فاتح سنة أربع وثلاثين عقد الاتراك الرياسة عليهم لابن شيرزاد ، وولاه المستكفي امرة الامراء في الارزاق فضاقت الجبايات على العمال والكتاب والتجار ، وامتدّت الايدي الى أموال الرعايا وفشا الظلم وظهرت اللصوص وكبسوا المنازل وأخذ الناس في الجلاء عن بغداد . ثم استعمل ابن شيرزاد على واصل نيال كوشه وعلى تكريت الفتح اليشكري فانتقضا، وسار الفتح لابن حمدان فولاه على تكريت من قبله وبدعوته ، وبعث نيال كوشه الى معز الدولة وقام بدعوته . واستدعاه للملك بغداد فزحف اليها في عساكر الديلم ولقيه ابن شيرزاد والاكراد فهزمهم ، ولحقوا بالموصل وأخفى المستكفي وقدم معز الدولة كاتبه الحسن بن محمد المهلبي الى بغداد فدخلها، وظهر الخليفة من الاختفاء، وحضر عند المهلبي فبايع له عن معز الدولة أحمد بن بويه ، وعن أخويه عماد الدولة وركن الدولة الحسن وولاهم المستكفي على اعمالهم ولقبهم بهذه الالقاب ورسمها على سِكّتِه . ثم جاء معز الدولة الى بغداد فملكها وصرف الخليفة في حكمه ، واختص باسم السلطان ، وبعث اليه ابو القاسم البريدي صاحب البصرة فضمن واسط وأعمالها وعقد له عليها .

خلع المستكفي وبيعة المطيع وما حدث في الجباية والاقطاع

وبعد أشهر قلائل من استيلاء معز الدولة على بغداد نمي اليه ان المستكفي يريد الادالة منه فتنكر له، وأجلسه في يوم مشهود للقاء وافد من أصحاب خراسان، وحضر معز الدولة في قومه وعشيرته. وأمر رجلين من نقباء الديلم بالفتك بالخليفة، فتقدّما ووصلاه ليقبلا يد المستكفي. ثم جذباه عن سريره وقاداه ماشياً واعتقلاه بداره، وذلك في منتصف أربع وثلاثين فاضطرب الناس، وعظم النهب ونهبت دار الخلافة. وبايع معز الدولة للفضل بن المقتدر، ولقبه المطيع لله. وأحضر المستكفي فأشهد على نفسه بالخلع، وسلم على المطيع بالخلافة، وسلب الخليفة من معاني الامر والنهي وصيرت الوزارة الى معز الدولة يولي فيها من يرى. وصار وزير الخليفة مقصور النظر على اقطاعه ومقتات داره، وتسلم عمال معز الدولة وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق وأراضيه ولاية واقطاعاً حتى كان الخليفة يتناول الاقطاع بمراسم معز الدولة، وانما ينفرد بالسرير والمنبر والسكة والختم على الرسائل والصكوك، والجلوس للوفد واجلال التحية والخطاب، ويقومون مع ذلك بأوضاع القائم على الدولة وترتيبه.

وكان القائم منهم على الدولة تفرّد في دولة بني بويه والسُلجوقيّة بلقب السلطان ولا يشاركه فيه غيره، ومعاني الملك

من القدرة والابهة والعزّ وتصريف الامر والنهي حاصل للسلطان دون الخليفة. وكانت الخلافة حاصلة للعباسي المنصوب لفظاً مسلوبة عنه معنى. ثم طلب الجند أرزاقهم بأكثر من العادة لتجدّد الدولة فاضطرّ الى ضرب المكوس، ومدّ الايدي الى أموال النـاس، وأقطعت جميع القرى والضياع للجند فارتفعت أيدي العمال وبطلت الدواوين، لان ما كان منها بأيدي الرؤساء لا يقدرون على النظر فيها، وما كان بأيدي الاتباع خرب بالظلم والمصادرات والحيف في الجباية واهمال النظر في اصلاح القناطر وتعديل المشارب، وما خرب منها عوّض صاحبه عنه بآخر فيخربه كما يخرب الآخر. ثم انّ معز الدولة أفرد جمعها من المكوس والظلامات، وعجز السلطان عن ذخيرة يعدها لنوائبه. ثم استكثر من الموالي ليعتز بهم على قومه وفرض لهم الارزاق والاقطاع فحدثت غيرة قومه من ذلك وآل الامر الى المنافرة كما هو الشأن في الدول.

مسير ابن حمدان الى بغداد وانهزامه امام معز الدولة

ولما بلغ استيلاء معز الدولة على بغداد، وخلعه المستكفي الى ناصر الدولة بن حمدان امتعض لذلك. وسار من الموصل الى بغداد في شعبان سنة أربع وثلاثين فقدّم معز الدولة عساكره فأوقع بها ابن حمدان بعكبرا. ثم سار معز الدولة ومعه المطيع الى مدافعته، ولحق به ابن شيرزاد فاستحثه الى بغداد سنة أربع وثلاثين، وخالفه

معز الدولة الى تكريت ونهبها وتسابقوا جميعاً الى بغداد فنزل معز الدولة والمطيع بالجانب الشرقي، وابن حمدان بالجانب الغربي، فقطع الميرة عن معسكر معز الدولة فغلت الاسعار وعزت الاقوات، ونهب عسكره مراراً فضاق به الامر واعتزم على العود الى الاهواز فأمر وزيره أبا جعفر الصيمري بالعبور في العساكر لقتال ابن حمدان فظفر به الصيمري، وغنم الديلم أموالهم وظهرهم.

ثم أمّن معز الدولة الناس، وأعاد المطيع الى داره في محرم سنة خمس وثلاثين، ورجع ابن حمدان الى عكبرا وأرسل في الصلح سراً فنكر عليه الاتراك التورونية وهموا بقتله، وفرّ الى الموصل ومعه ابن شيرزاد، ثم صالحه معز الدولة كما طلب. ولما فرّ عن الاتراك التورونية أعلمهم تكين الشيرازي فقبضوا على من تخلف من أصحابه، وساروا في اتباعه وقبض هو في طريقه على ابن شيرزاد، وتجاوز الموصل الى نصيبين فلكها تكين، وسار في اتباعه الى السند فلحقه هنالك عسكر من معز الدولة كما طلب، وأمدّه به مع وزيره أبي جعفر الصيمري، وقاتل الاتراك فهزمهم، وسار الى الموصل هو والصيمري فدفع ابن شيرزاد الى الصيمري، وحمله الى معز الدولة، وذلك سنة خمس وثلاثين.

استيلاء معز الدولة على البصرة والموصل وصلحه مع ابن حمدان

وفي سنة خمس وثلاثين انتقض أبو القاسم بن البريدي بالبصرة

فجهز معز الدولة الجيش الى واسط، ولقيهم جيش ابن البريدي في الماء وعلى الظهر فانهزموا الى البصرة وأسروا من أعيانهم جماعة. ثم سار معز الدولة سنة ست وثلاثين الى البصرة ومعه المطيع كارهاً من قتال أبي القاسم البريدي، وسلكوا اليها البرية. وبعث القرامطة يعذلون في ذلك معز الدولة فكتب يتهدّدهم. ولما قارب البصرة استأمنت اليه عساكر أبي القاسم، وهرب هو الى القرامطة فأجاروه وملك معز الدولة البصرة. ثم سار هو منها الى الاهواز ليلقى أخاه عماد الدولة، وترك المطيع وأبا جعفر الصيمري بالبصرة، وانتقض على معز الدولة كوكير من أكابر الديلم فقاتله الصيمري وهزمه وأسره، وحبسه معز الدولة بقلعة رامهرمز.

ثم لقي أخاه معز الدولة بارجان في شعبان من السنة، وسلك في تعظيمه واجلاله من وراء الغاية. وكان عماد الدولة يأمره بالجلوس في مجلسه فلا يفعل. ثم عاد معز الدولة والمطيع الى بغداد ونودي بالمسير الى الموصل فتردّدت الرسل من ابن حمدان في الصلح وحمل المال. ثم سار اليه سنة سبع وثلاثين في شهر رمضان واستولى على الموصل، وأراد الاثخان في بلاد ابن حمدان فجاءه الخبر عن أخيه ركن الدولة بانّ عساكر خراسان قصدت جرجان، واضطرّ الى الصلح. واستقرّ الصلح بينهما على أن يعطي ابن حمدان عن الموصل والجزيرة والشام ثمانية آلاف ألف درهم كل سنة، ويخطب لعماد الدولة ومعز الدولة في بلاده، وعاد الى بغداد.

استيلاء ركن الدولة على الري ثم طبرستان وجرجان ومسير عساكر ابن سامان اليها

قد تقدّم لنا استيلاء ركن الدولة على أصفهان من يد وشمكير حين بعث عساكره مدداً لما كان بن كالي، وكان ركن الدولة وأخوه عماد الدولة بعثا الى أبي علي بن محتاج قائد بني سامان يحرضانه على ما كان ووشمكير، ويعدانه المظاهرة عليهما فسار أبو علي الى وشمكير بالري، ولقيه ركن الدولة بنفسه. واستمدّ وشمكير ما كان فجاءه في عساكره والتقوا فانهزم وشمكير ولحق بطبرستان. ثم سار بعساكره الى بلد الجبل فافتتحها واستولى على زَنْجان وأبهر وقَزْوين وقُمّ وكرج وهمذان ونهاوند والدِّينور الى حدود حُلوان، ورتب فيها العمال وجبى أموالها. ثم وقع خلاف بين وشمكير والحسن بن الفيرزان ابن عم ماكان، واستنجد الحسن بأبي علي بن محتاج فأنجده حتى وقع بينهما صلح وعاد أبو علي الى خراسان وصحبه الحسن بن الفيرزان ولقيه في طريقه رسل السعيد بن سامان، وأمر أبا علي بن محتاج سنة ثلاث وثلاثين بغدر الحسن بأبي علي[1]، ونهب سواده وعاد الى جرجان

---

(١) العبارة غير مفهومة. فأبو علي ينجد الحسن والحسن يصحبه إلى خراسان، ثم يؤمر أبو علي بغدر الحسن ومن الذي أمر؟ ثم ما معنى كلمة «بأبي علي»؟ كل ذلك تعقيد في تعقيد ثم نرى الحسن بعد ذلك رجلاً من رجال ركن الدولة الذي يعد أبو علي رجلاً من رجاله أيضاً فكيف يوفق بين هذه التناقضات؟

وفي الكامل ج ٦ ص ٣١٢: فوضع أعداء علي جماعة من الغوغاء والعامة=

فملكها وملك معها الدامغان وسمنان . وسار وشمكير من طَبَرِسْتان الى الري فاستولى عليها أجمع ، وكان في قل من العسكر لفناء رجاله في حروبه مع أبي علي بن محتاج والحسن بن الفيرزان فتطاول حينئذ ركن الدولة الى الاستيلاء على الري ، وسار الى الري . وقاتل وشمكير فهزمه فلحق بطبرستان ، واستولى ركن الدولة على الري وأجمع مخالصة الحسن بن الفيرزان وزوجه ابنته ، وتمسك بمواصلته ومودّته ، واستفحل بذلك ملك بني بويه وامتنع وصارت لهم أعمال الري والجبل وفارس والاهواز والعراق ، ويحمل اليهم ضمان الموصل وديار بكر . ثم سار ركن الدولة بن بويه الى بلاد وشمكير سنة ست وثلاثين ومعه الحسن بن القيرزان[1] مدداً ، ولقيهما وشمكير فانهزم امامهما ولحق بخراسان مستنجداً بابن سامان ، وملك ركن الدولة طبرستان وسار منها الى جرجان فأطاعه الحسن بن القيرزان وولاه ركن الدولة عليها ، واستأمن اليه قوّاد وشمكير ورجع الى اصفهان .

=فاجتمعوا واستغاثوا عليه وشكوا سوء سيرته وسيرة نوابه فاستعمل الأمير نوح على نيسابور إبراهيم بن سيجور وعاد عنها إلى بخارى في رمضان، وكان مرادهم بذلك أن يقطعوا طمع أبي علي عن خراسان ليقيم بالريّ وبلاد الجبل، فاستوحش أبو علي لذلك فإنه كان يعتقد أنه يحسن إليه بسبب فتح الري وتلك الأعمال. فلما عزل شق ذلك عليه، ووجه أخاه أبا العباس الفضل بن محمد إلى كور الجبال وولاه همذان وجعله خليفة على من معه من العساكر.

(١) كذا، واسمه في الكامل: الحسن بن الفيرزان.

بنو شاهين

بداية بني شاهين ملوك البطيحة ايام بني بويه

كان عمران بن شاهين من أهل الجامدة ، وكان يتصرف في الجباية وحصل منها بيده مال فصرفه وهرب الى البطيحة ممتنعاً من الدولة . وأقام هنالك بين القصب والآجام يقتات بسمك الماء وطيره ، ويأخذ الرفاق التي تمرّ به ، واجتمع اليه لصوص الصيادين فقوي وامتنع على السلطان ، وتمسك بطاعة أبي القاسم ابن البريدي بالبصرة فقلده حماية الجامدة وحماية البطائح ونواحيها فعز جانبه وكثر جمعه وسلاحه ، واتخذ معاقل على التلال بالبطيحة وغلب على تلك النواحي . وأهمّ معز الدولة أمره ، وبعث وزيره أبا جعفر الصيمري في العساكر سنة ثمان وثلاثين وحصره وأيقن بالهلاك وما نفس عن مخنقه إلّا وصول الخبر بوفاة عماد الدولة بن بويه ، ومبادرة الوزير الصيمري الى شيراز فعاد عِمْران الى حاله وقوي أمره كما يأتي في أخبار دولته .

وفاة عماد الدولة ابن بويه وولاية عضد الدولة ابن أخيه على بلاد فارس مكانه

ثم توفي عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه بمدينة شيراز كرسي مملكة فارس في منتصف سنة ثلاث وثلاثين ، بعد أن

كان طلب من أخيه ركن الدولة أن ينفذ اليه ابنه عضد الدولة فتأخر ليوليه عهده اذ لم يكن له ولد ذكر ، فأنفذه اليه ركن الدولة في جماعة من أصحابه لسنة بقيت من حياته . وركب عماد الدولة للقائه ودخل بـه الى داره في يوم مشهود ، وأجلسه على السرير وأمر الناس أن يحيوه بتحية الملـك . وكان في قواد عماد الدولة جماعـة أكابر لا يستكينون لعماد الدولة فضلاً عن عضد الدولة مكانه بفـارس ، واختلف عليه أصحابه فجاء اليه ركن الدولة أبوه من الري بعد أن استخلف عليها علي بن كتامة وكتب معز الدولة الى وزيره الصيمري بأن يترك محاربـة ابن شاهين . ويسير الى شيراز مدداً لعضد الدولة ، وأقام ركن الدولة في شيراز تسعة أشهر ، وبعث الى أخيه معز الدولة بهدية من الاموال والسلاح ، وكان عمـاد الدولة هو أمير الامراء ، وانما كان معز الدولة نائباً عنه في كفالة الاموال وولاية أعمال العراق فلما مات عماد الدولة انقلبت امرة الامراء الى ركن الدولة ، وبقي معز الدولة نائباً عنه كما كان عن عماد الدولة لانه كان أصغر منهما .

وفاة الصيمري ووزارة المهلبي

كان أبو جعفر أحمد الصيمري وزير معز الدولة قد عاد من فارس الى اعمال الجامدة ، وأقام يحاصر عمران بن شاهين الى أن

هلك منتصف تسع وثلاثين ، وكان يستخلف بحضرة معز الدولة في وزارته أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي فباشره معز الدولة ، وعرف كفايته واضطلاعه فاستوزره مكان الصيمري فحسن أثره في جمع الاموال وكشف الظلامات وتقريب أهل العلم والادب والاحسان اليهم .

مسير عساكر ابن سامان على الري ورجوعها

لما سار ركن الدولة الى بلاد فارس بعث الامير نوح بن سامان الى منصور بن قراتكين صاحب جيوشه بخراسان أن يسير الى الري فسار اليها سنة تسع وثلاثين، وكان بها علي بن كتامة خليفة ركن الدولة ففارقها الى أصفهان، وملك منصور الري وبث العساكر في البلاد فملكوا الجبل الى قرميس، واستولوا على همذان وبعث ركن الدولة من فارس الى أخيه معز الدولة بانفاذ العساكر الى مدافعتهم فبعث سبكتكين الحاجب في جيش كثيف من الديلم وغيرهم فكبسهم، وأسر مقدمهم فعادوا الى همذان. ثم سار اليهم ففارقوها. وملكها وورد عليه ركن الدولة بهمذان فعدل منصور بن قراتكين الى أصفهان فملكها، وسار إليها ركن الدوله وسبكتكين في مقدمته، وشغب عليه بعض الاتراك فأوقع بهم وترددوا في تلك الناحية .

وكتب معز الدوله الى ابن أبي الشوك الكردي يتبعهم فقتل

منهم وأسر، ونجا بعض الموصل. وترك ركن الدولة قريباً من اصفهان، وجرت بينه وبين منصور حروب، وضاقت الميرة على الفريقين إلا أنّ الديلم كانوا أصبر على الجوع وشظف العيش من أهل خراسان لقرب عهدهم بالبداوة. ومع ذلك فهمّ ركن الدولة بالفرار لولا وزيره ابن العميد كان يثبته ويريه أنه لا يغني عنه، وأنّ الاستماتة أولى به فصبر وشغب على منصور بن قراتكين جنده، وانفضوا جميعاً الى الريّ وتركوا مخلفهم بأصفهان فاحتوى عليه ركن الدولة، وذلك فاتح سنة أربعين. ومات منصور بن قراتكين بالريّ في ربيع الاوّل من السنة، ورجعت العساكر الى نيسابور.

استيلاء ركن الدولة ثانيا على طبرستان وجرجان

قد كنا قدّمنا استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان سنة ست وثلاثين، وأنه استخلف على جرجان الحسن بن القيرزان، وسار وشمكير الى خراسان مستنجداً بابن سامان فسار معه صاحب جيوش خراسان منصور بن قراتكين، وحاصر جرجان فصالحه الحسن بن القيرزان بغير رضا من وشمكير لانحرافه عنه وعن الامير نوح. ورجع الى نيسابور وأقام وشمكير بجرجان والحسن بزوزن. ثم سار ركن الدولة سنة أربعين من الري الى طَبَرِسْتان وجرجان ففارقها وشمكير الى نيسابور، واستولى ركن الدولة عليها،

واستخلف بجرجان الحسن بن القيرزان وعلي بن كتامة وعاد الى الري فقصدهما وشمكير وانهزما منه، واستردّ البلاد من ركن الدولة. وكتب الامير نوح يستنجده على ركن الدولة فأمر أبا علي بن محتاج بالمسير معه في جيوش خراسان فسار في ربيع سنة اثنتين وأربعين وامتنع ركن الدولة ببعض معاقله. وحاربه أبو علي بن محتاج في جيوش خُراسان حتى ضجرت عساكره وأظلهم فصل الشتاء فراسل ركن الدولة في الصلح على ان يعطيهم ركن الدولة مائتي ألف دينار في كل سنة، وعاد الى خراسان. وكتب وشمكير الى الامير نوح بأن ابن محتاج لم ينصح في أمر ركن الدولة، وأنه ممالىء فسخطه من أجل ذلك وعزله عن خراسان. ولما عاد ابن محتاج عن ركن الدولة سار هو الى وشمكير فانهزم وشمكير الى اسفراين، واستولى ركن الدولة على طبرستان.

اقامة الدعوة لبني بويه بخراسان

ولما عزل الامير نوح أبا علي بن محتاج عن خراسان استعمل مكانه أبا سعيد بكر بن مالك الفرغاني فانتقض حينئذ وخطب لنفسه بنيسابور، وتحيّز عنه ابن القيرزان مع وشمكير الى الامير نوح فخام ابن محتاج عن عداوتهم. واستأذن ركن الدولة في المسير اليه. ثم سار سنة ثلاث وأربعين فتلقاه بأنواع الكرامات، وسأل منه ابن محتاج أن يقتضي له عهد الخليفة بولاية خراسان

فبعث ركن الدولة في ذلك الى أخيه معز الدولة ببغداد، وجاءه العهد والمدد فسار الى خراسان فخطب بها للخليفة وركن الدولة. ثم مات نوح خلال ذلك وولى ابنه عبد الملك فبعث بكر بن مالك من بخارى الى خراسان لاخراج ابن محتاج منها فسار اليه، وهرب ابن محتاج الى الري فآواه ركن الدولة وأقام عنده، واستولى بكر بن مالك على خراسان. ثم سار ركن الدولة الى جرجان، ومعه ابن محتاج فتركها[1] وملكها ولحق وشمكير بخراسان.

مسير عساكر ابن سامان على الري وأصفهان

ولما فرغ بكر بن مالك من أمر خراسان، وأخرج منها ابن محتاج وسار منها سنة أربع وأربعين في أتباعه الى الري وأصفهان وكان ركن الدولة غائباً بجرجان فملكها ورجع[2] الى الريّ في المحرّم من السنة، وكتب الى أخيه معز الدولة يستمدّه فأمدّه بالعساكر مع ابن سبكتكين. وجاء مقدّمة العساكر من خراسان

(١) كذا. والسياق يقتضي: ودخلها.

(٢) ينبغي أن يكون المقصود بالضمير في «رجع» نور الدين. وينبغي أن يكون المقصود بـ «مقدمة العساكر» التي جاءت من خراسان عساكر ابن مالك، لأن خراسان في حوزته، ولكن السياق يقتضي أن يكون الكلام تابعاً جملة «أمده بالعساكر» الراجعة إلى نور الدين، وهذا الأسلوب العجيب عند المؤلف يعقد الموضوع البسيط إلى حد جعله من الألغاز. وفي الكامل ج ٦ ص ٣٤٨: ثم أن ركن الدولة راسل بكر بن مالك صاحب جيوش خراسان واستماله فاصطلحا على مال يحمله ركن الدولة إليه، ويكون الري وبلاد الجبل بأسره مع ركن الدولة.

الى أصفهـان من طريق المفازة وبهـا الامير منصور بن بويه بن ركن الدولة ، ومقدّم العساكر محمد بن ماكان فملك أصفهـان وخرج في طلب ابن بويه ، واتفق وصول الوزير أبي الفضل بن العميد فلقيه محمد بن ماكان فهزمه ، وعـاد أولاد ركن الدولة وحرمه الى أصفهان. وراسل ركن الدولة بكر بن مالك صاحب العساكر بخراسان في الصلح على مال يحمله اليه ، وتكون الري وبلد الجبل في ضمانه فأجابه بكر بن مالك الى ذلك وصالحه عليه وكتب ركن الدولة الى أخيه معز الدولة بأن يبعث الى بـكر ابن مالك خلعاً ولواء بولاية خراسان فبعث بهـا في ذي القعدة من السنة .

خروج روزبهان على معز الدولة وميل الديلم اليه

كان روزبهان ونداد خرسية من كبار قواد الديلم ، وكان معز الدولة قد رفعه ونوّه بذكره فخرج سنة خمس وأربعين بالاهواز ومعه أخوه اسفار ، وخرج أخوه بلكا بشيراز . ولمـا خرج روز بهان زحف اليه الوزير المهلبي لقتاله فنزع الكثير من أصحابه الى روزبهان فـانحاز عنه ، وبعث بالخبر الى معزّ الدولة فسار اليهم واختلف عليه الديلم ومـالوا مع روزبهان . وفصل معز الدولة من بغداد خامس شعبان من السنة قاصداً لحربه ، وبلغ الخبر الى ناصر الدولة بن حمدان فبعث ابنه أبا الرجال في العساكر للاستيلاء.

على بغداد فخرج الخليفة عنها منحدراً ، وأعاد معز الدولة سبكتكين الحاجب وغيره لمدافعة ابن حمدان عن بغداد . وسار الى أن قارب الاهواز والديلم في شغب عليه وعلى عزم اللحاق بروزبهان الا نفراً يسيراً من الديلم كانوا خالصة فكان يعتمد عليهم وعلى الاتراك ، وكان يفيض العطاء في الديلم فيمسكون عما يهمون به . ثم ناجز روزبهان الحرب سلخ رمضان فانهزم وأخذ أسيراً ، وعاد الى بغداد الى أبي الرجال بن حمدان ، وكان بعكبرا فلم يجده لانه بلغه خبر روزبهان فأسرع العود الى الموصل ، ودخل معز الدولة بغداد ، وغرق روزبهان وكان أخوه بلكا الخارج بشيراز ازعج عنها عضد الدولة . وسار اليه أبو الفضل بن العميد وقاتله فظفر به ، وعاد عضد الدولة الى ملكه وانمحى أثر روزبهان واخوته ، وقبض معز الدولة على جماعة منهم ممن ارتاب بهم ، واصطنع الاتراك وقدمهم ، وأقطع لهم فاعتزوا وامتدّت أيديهم .

استيلاء معز الدولة على الموصل ثم عودها

كان ناصر الدولة بن حمدان قد صالح معز الدولة على ألفي ألف درهم كل سنة ، ثم لم يحمل فسار اليه معز الدوله منتصف سبع وأربعين ففارق الموصل الى نَصِيبين ، وحمل معه سائر أهل دولته من الوكلاء والكتاب ومن يعرف وجوه المال ، وأنزلهم

في قلاعه : كقلعة كواشي والزعفران وغيرهما . وقطع الميرة عن عسكر مُعِزّ الدولة فضاقت عليهم الاقوات فسار معز الدولة الى نصيبين للميرة ، وبلغه أنّ أبا الرجاء وهِبَةَ الله في عسكر سنجار فبعث اليهم بعض عساكره ، وكبسوهم فهربوا واستولى العسكر على مخلفهم ونزلوا في خيامهم . وكرّ عليهم أولاد ناصر الدولة وهم غارّون فأثخنوا فيهم وأقاموا بسنجار . وسار معز الدولة إلى نصيبين فلحق ناصر الدولة بميافارقين ، واستأمن الكثير من أصحابه الى معز الدولة فلحق بأخيه سيف الدولة بحلب فبالغ في تكرمته وخدمته ، وتوسط في الصلح بينه وبين معز الدولة بثلاثة آلاف ألف فأجابه معز الدولة وتم ذلك بينهما ، ورجع معز الدولة الى العراق في محرّم سنة ثمان وأربعين .

العهد لبختيار

وفي سنة خمس طرق معز الدولة مرض استكان له وخشي على نفسه فأراد العهد لابنه بختيار ، وعهد اليه بالامر وسلم له الاموال وكان بين الحاجب سبكتكين والوزير المهلبي منافرة فأصلح بينهما ووصاهما بابنه بختيار ، وعهد اليه بالامور ، واعتزم على العود الى الاهواز مستوحشاً هواء بغداد فلما بلغ كلواذا اجتمع به أصحابه وسفهوا رأيه في الانتقال من بغداد على ملكه ، وأشاروا عليه بالعود اليها وأن يستطيب الهواء في بعض جوانبها المرتفعة ويبني

بها دوراً لسكنه ففعل ، وأنفق فيها ألف ألف دينار وصادر فيها جماعة من أصحابه .

استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان

وفي سنة احدى وخمسين سار ركن الدولة الى طبرستان ، وبها وشمكير فحاصره بمدينة سارِيّة وملكها ، ولحق وشمكير بجرجان ، وترك طبرستان فملكها ركن الدولة وأصلح أمرها . ثم سار الى جرجان فخرج عنها وشمكير ، واستولى عليها ركن الدولة ، واستأمن اليه من عسكر وشمكير ثلاثة آلاف رجل فازداد بهم قوّة ، ودخل وشمكير بلاد الجبل مسلوباً واهناً .

ظهور البدعة ببغداد

وفي هذه السنة كتب الشيعة على المساجد بأمر مُعِزّ الدولة لعن معاوية بن أبي سفيان صريحاً ولعن من غصب فاطمة فدك ، ومن منع أن يدفن الحسن عند جدّه ، ومن نفى أباذر الغِفاري ، ومن أخرج العباس من الشورى ، ونسب ذلك كله لمعز الدولة لعجز الخليفة. ثم أصبح ممحوّاً وأراد معز الدولة اعادته فأشار عليه الوزير المهلبي بأن يكتب مكانه لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يذكر أحداً باللعن إلّا معاوية رضي الله عنه .

وفاة الوزير المهلبي

وفي سنة اثنتين وخمسين سار المهلبي وزير معز الدولة الى عُمان ليفتحها فلما ركب البحر طرقه المرض فعاد الى بغداد، ومات في طريقه في شعبان من السنة، ودفن ببغداد. وقبض معز الدولة أمواله وذخائره، وقبض على حواشيه وحبسهم، ونظر في الامور بعده أبو الفضل ابن العباس بن الحسن الشيرازي وأبو الفرج محمد ابن العباس بن نساقجر، ولم يتسموا باسم الوزارة.

استيلاء معز الدولة ثالثا على الموصل

كان ناصر الدولة بن حمدان قد ضمن الموصل كما تقدّم، وأجابه معز الدولة الى ضمانه فبذل له ناصر الدولة زيادة على أن يدخل معه في الضمان أبو ثعلب فضل الله الغَضَنْفَر، ويحلف لهما معز الدولة فأبى من ذلك، وسار الى الموصل منتصف ثلاث وخمسين ففارقها ابن حمدان الى نصيبين وملكها معز الدولة. ثم خرج الى طلب ابن حمدان منتصف شعبان واستخلف على الموصل بكتورون وسبكتكين العجمي. وسار ابن حمدان عن نصيبين وملكها معز الدولة، وخالفه ابن حمدان الى الموصل، وحارب عسكر معز الدولة فيها فهزموه. وجاء الخبر الى معز الدولة فظفر أصحابه بابن حمدان، وسار ونزل جزيرة ابن عمر فسار في اتباعه

فوصل سادس رمضان فوجده قد جمع أولاده وعساكره الى الموصل، فأوقع بأصحاب معز الدولة وأسر الاميرين اللذين خلفا بها، واستولى على ما خلفوه من مال وسلاح، وحمل الجميع مع الاسرى الى قلعة كواشي فأعيا معز الدولة أمره، وهو من مكان الى مكان في اتباعه فأجابه الى الصلح، وعقد عليه ضمان الموصل وديار ربيعة والرَّحَبَةِ بمال قرّره فاستقرّ الصلح على ذلك، وأطلق ابن حمدان الاسرى، ورجع معز الدولة الى بغداد.

استيلاء معز الدولة على عمان

قد تقدّم لنا ان عُمان كانت ليوسف بن وجيه، وأنه حارب بني البريدي بالبصرة حتى قارب أخذها، حتى عملوا الحيلة في اضرام النار في سفنه فولى هارباً في محرّم سنة اثنتين وثلاثين، وأنه ثار عليه مولاه في هذه السنة فغلبه على البلد وملكها من يده. ولما استوحش معز الدولة من القرامطة كتب اليهم ابن وجيه صاحب عمان يطمعهم في البصرة، واستمدّهم في البر وسار هو في البحر سنة احدى وأربعين، وسابقه الوزير المهلبي من الاهواز اليها، وأمدّه معز الدولة بالعساكر والمال فاقتتلوا أياماً. ثم ظفر المهلبي بمراكبه وما فيها من سلاح وعدّة.

ولم يزل القرامطة يناورونها حتى غلبوا عليها سنة أربع وخمسين، واستولوا عليها وهرب رافع عنها. وكان له كاتب يعرف

بعلي بن أحمد ينظر في أمور البلد والقرامطة بمكانهم من هجر فاتفق قاضي البلد، وكان ذا مشير وعصابة، على أن ينصبوا للنظر في أمورهم أحد قوادهم فقدموا لذلك ابن طغان ففتك بجميع القواد الذين معه، وثأر منه بعض قرابتهم فقتلوه فاجتمع الناس على تقديم عبد الوهاب بن أحمد بن مروان من قرابة القاضي مكانه فولوه، واستكتب علي بن أحمد كاتب القرامطة قبله من الجند فامتعضوا لذلك فدعاهم الى بيعته فأجابوه وسوّاهم في العطاء مع البيض فسخط البيض ذلك، ودارت بينهم حرب سكنوا آخرها واتفقوا وأخرجوا عبد الوهاب من البلد واستقرّ علي بن أحمد الكاتب أميراً فيها.

ثم سار معز الدولة الى واسط سنة خمس وخمسين، وقدِم اليه نافع مولى ابن أخيه الذي كان ملكها بعد مولاه فأحسن اليه وأقام عنده حتى فرغ من أمر عِمْران بن شاهين، وانحدر الى الأُبُلّة في رمضان من السنة، وجهز المراكب الى عمان مائة قطعة، وبعث فيها الجيوش بنظر أبي الفتوح محمد بن العباس، وتقدّم الى عضد الدولة بفارس ان يمدّهم بالعساكر من عنده فوافاهم المدد بسيراف، وساروا الى عمان فملكوها يوم الجمعة يوم عرفة من السنة وفتكوا فيها بالقتل وأحرقوا لهم تسعين مركباً، وخطب لمعز الدولة وصارت من أعماله.

وفاة معز الدولة وولاية ابنه بختيار

كان معز الدولة قد سار سنة خمس وخمسين الى واسط لمحاربة عمران بن شاهين فطرقه المرض سنة ست وخمسين فسار الى بغداد، وخلف أصحابه بواسط على أن يعود اليهم فاشتدّ مرضه ببغداد، وجدّد العهد لابنه بختيار. ثم مات منتصف ربيع الآخر من السنة فقام ابنه عز الدولة بختيار مكانه، وكتب الى العساكر بمصالحة عمران بن شاهين ففعلوا وعادوا. وكان فيما أوصى به معز الدولة ابنه بختيار طاعة عمه ركن الدولة والوقوف عند اشارته، وابن عمه عضد الدولة لعلوّ سنه عليه وتقدّمه في معرفة السياسة، وأن يحفظ كاتبيه أبا الفضل العباس بن الحسن وأبا الفرج بن العباس والحاجب سبكتكين فخالف جميع وصاياه، وعكف على اللهو وعشرة النساء والمغنين والصفّاعين فأوحش الكاتبين والحاجب فانقطع الحاجب عن حضور داره. ثم طرد كبار الديلم عن مملكته طمعاً في اقطاعاتهم فشغب عليه الصغار، واقتدى بهم الاتراك في ذلك، وطلبوا الزيادات.. وركب الديلم الى الصحراء وطلبوا اعادة من أسقط من كبارهم، ولم يجد بدًّا من اجازتهم لانحراف سبكتكين عنه فاضطربت أموره، وكان الكاتب أبو الفرج العباس في عُمان منذ ملكها فلما بلغه موت معز الدولة خشي أن ينفرد عنه صاحبه أبو الفضل العباس بن الحسين بالدولة فسلم عمان لعضد الدولة،

وبادر الى بغداد فوجد أبا الفضل قد انفرد بالوزارة ولم يحصل على شيء.

مسير عساكر ابن سامان الى الري ومهلك وشمكير

كان أبو علي بن الياس قد سار من كرمان الى بخارى مستنجداً بالامير منصور بن نوح بن سامان فتلقاه بالتكرمة فأغراه ابن الياس بمالك بني بويه، وأشار له [1] قواده في أمرهم فصدق ذلك عندما كان يذكر وشمكير عنهم، وتقدّم الى وشمكير والحسن بن الفيرزان بالمسير مع عساكره الى الري. ثم جهز العساكر مع صاحب خراسان أبي الحسن محمد بن ابراهيم ابن سيجور الدواني، وأمره بطاعة وشمكير وقبول اشارته فسار لذلك سنة ست وخمسين، وأنزل ركن الدولة أهله بأصفهان، وكتب الى ابنه عضد الدوله بفارس والى ابن أخيه عز الدين بختيار ببغداد يستنجدهما فأنفذ عضد الدولة العساكر على طريق خراسان ليخالفهم اليها فأحجموا وتوقفوا وساروا الى الدامغان، وقصدهم ركن الدولة في عساكره من الري. وبينما هم كذلك هلك وشمكير، عندما استعرض خيلا واختار منها واحداً وركب للصيد،

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٧ ص ٢٣ : فلما ورد عليه أكرمه وعظمه فاطمعهُ الياس في ممالك بني بويه وحسن له قصدها، وعرفه أن نوابه لا يناصحونه، وأنهم يأخذون الرشا من الديلم فوافق ذلك ما كان يذكره له وشمكير.

واعترضه خنزير فرماه بحربة ، وحمل الخنزير عليه فضرب الفرس فسقط الى الارض ، وسقط وشمكير ميتاً ، وانتقض جميع ما كانوا فيه ورجعوا الى خراسان .

استيلاء عضد الدولة على كرمان

كان أبو علي بن الياس قد ملك كرمان بدعوة بني سامان واستبدّ بها كما مرّ في أخبارهم ، ثم أصابه فالج وأزمن به ، وعهد الى ابنه اليسع ثم لالياس من بعده ، وأمرهما باجلاء أخيهما سليمان الى أرضهم ببلاد الروم ويقيم لهم ما هنالك من الاموال ، لعداوة كانت بين سليمان واليسع فلم يرضَ سليمان ذلك ، وخرج فوثب على السيرجان فملكها فسار اليه أخوه اليسع فحبسه. وهرب من محبسه واجتمع اليه العسكر وأطاعوه ، ومالوا اليه مع أبيه . ثم انّ أبا عليّ همّ أن يلحق بخراسان فلحق . ثم سار الى الامير أبي الحرث ببخارى وأغراه بالريّ كما مرّ ، وتوفي سنة ست وخمسين ، وصفت كرمان لاليسع . وكان عضد الدولة مزاحماً لاليسع في بعض عمله مدلاً بجهل الشباب فاستحكمت القطيعة بينهما ، وهرب بعض أصحاب عضد الدولة اليه فزحف اليه واستأمن اليه أصحابه ، وبقي في قلّ من أصحابه فاحتمل أهله وأمواله ، ولحق ببخارى . وسار عضد الدولة الى كرمان فملكها وأقطعها ولده أبا الفوارس الذي ملك العراق بعد ، ولقب شرف الدولة . واستخلف عليها

كورتكين بن خشتان وعاد الى فارس وبعث اليه صاحب سجستان الطاعة وخطب له. ولما وصل اليسع الى بخارى أنذر بني سامان على تقاعدهم عن نصره فنفوه[1] الى خوارزم، وكان قد خلف أثقاله بنواحي خُراسان فاستولى عليها أبو علي بن سيجور، وأصاب اليسع رمد اشتدّ به بخوارزم فضجر منه، وقطع عرقه بيده. وكان ذلك سبب هلاكه ولم يعد لبني الياس بكرمان بعده ملك.

مسير ابن العميد الى حسنويه ووفاته

كان حسنويه بن الحسن الكردي من رجالات الكرد، واستولى عن نواحي الدينور واستفحل أمره، وكان يأخذ الخفارة من القوافل التي تمرّ به، ويخيف السابلة الا انه كان فئة للديلم على عساكر خراسان متى قصدتهم[2]. وكان ركن الدولة يرعى له ذلك، ويغضي عن اساءته. ثم وقعت بينه وبين سلار بن مسافر ابن سلار فتنة وحرب فهزمه حسنويه وحصره وأصحابه من الديلم في مكان. ثم جمع الشوك وطرحه بقربهم وأضرمه ناراً حتى نزلوا على حكمه فأخذهم، وقتل كثيراً منهم فلحقت ركن الدولة الغيرة لعصبيّة الديلم، وأمر وزيره أبا الفضل بن العميد بالمسير اليه

(١) ينبغي: فوثبوا عليه ونفوه.

(٢) كذا، وعبارة ابن الأثيرج ٧ ص ٣٦: ولأنه كان يعين الديلم على جيوش خراسان إذا قصدتهم.

فسار في محرّم سنة تسع وخمسين، وقعد ابنه أبو الفتح وكان شاباً مليحاً قد أبطره العز والدالة على أبيه، وكان يتعرّض كثيراً لما يغضبه. وكانت بأبي الفضل علة النقرس فتزايدت عليه وأفحشت عليه. ولما وصل الى همذان توفي بها لاربع وعشرين سنة من وزارته، وأقام ابنه أبا الفتح مقامه، وصالح حسنويه على مال أخذه منه، وعاد الى الري الى مكانه من خدمة ركن الدولة. وكان أبو الفضل بن العميد كاتباً بليغاً، وعالماً في عدّة فنون مجيداً فيها، ومطلعاً على علوم الاوائل وقائماً بسياسة الملك مع حسن الخُلُق ولين العشرة والشجاعة المعروفة بتدبير الحروب، ومنه تعلم عضد الدولة السياسة وبه تأدّب.

انتقاض كرمان على عضد الدولة

ولما ملك عضد الدولة كرمان كما قلناه اجتمع القُفْص والبلوص وفيهم أبو سعيد وأولاده، واتفقوا على الانتقاض والخلاف. واستمدّ عضد الدولة كورتكين بن حسان بعابد بن علي فسارا في العساكر الى جيرفت، وحاربوا أولئك الخوارج فهزموهم وأثخنوا فيهم وقتلوا من شجعانهم، وفيهم ابن لابي سعد. ثم سار عابد بن علي في طلبهم وأوقع بهم عدّة وقائع وأثخن فيهم، وانتهى الى هُرمُز فملكها واستولى على بلاد التيز ومكران، وأسر منهم ألف أسير حتى استقاموا علي الطاعة واقامة حدود

الاسلام . ثم سار عائداً الى طائفة أخرى يعرفون بالحرومية والجاسكية يخيفون السبيل براً وبحراً ، وكانت قد تقدّمت لهم اعانة سليمان بن أبي علي بن الياس فلما أوقع بهم أثخن فيهم حتى استقاموا على الطاعة ، وصلحت تلك البلاد مدّة . ثم عاد البلوص الى ما كانوا عليه من اخافة السبيل بها فسار عضد الدولة الى كرمان في ذي القعدة سنة اثنتين ، وانتهى الى السيرجان وسرح عابد بن علي في العساكر لاتباعهم فأوغلوا في الهرب ، ودخلوا الى مضايق يحسبونها تمنعهم فلما زاحمتهم العساكر بها آخر ربيع الاول من سنة احدى وستين صابروا يوماً . ثم انهزموا آخره فقتلت مقاتلتهم وسبيت ذراريهم ونساؤهم ولم ينج منهم الا القليل ثم استأمنوا فأمنوا ونقلوا من تلك الجبال ، وأنزل عضد الدولة في تلك البلاد أكرة وفلاحين . ثم شملوا الارض بالعمل ، وتتبع العابد أثر تلك الطوائف حتى بدد شملهم ومحا ماكان من الفساد منهم .

عزل أبي الفضل ووزارة ابن بقية

كان أبو الفضل العباس بن الحسين وزيراً لمعز الدولة ولابنه بختيار من بعده ، وكان سيء التصرّف وأحرق في بعض أيامه الكرخ ببغداد فاحترق فيه عشرون ألف انسان وثلثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً ، ومن الاموال ما لا يحصى . وكان

الكرخ معروفاً بسكنى الشيعة . وكان هو يزعم أنه يتعصب لاهل السنة ، وكان كثير الظلم للرّعية غصاباً للاموال مفرّطاً في أمر دينه . وكان محمد بن بقية وضيعاً في نفسه ، من الفلاحين في أوانا ، من ضياع بغداد . واتصل ببختيار ، وكان يتولى الطعام بين يديه ، ويتولى الطبخ ومنديل الخوان على كتفه : فلما ضاقت الاحوال على الوزير أبي الفضل ، وكثرت مطالبته بالارزاق والنفقات عزله بختيار وصادره وسائر أصحابه على أموال عظيمة أخذت منهم ، واستوزر محمد بن بقية فاستقامت أموره ، ونمت أحواله بتلك الاموال فلما نفدت عاد الى الظلم ففسدت الاحوال وخربت تلك النواحي وظهر العيّارون وتزايد شرّهم وفسادهم. وعظم الاختلاف بين بختيار والاتراك ، ومقدّمهم يومئذ سبكتكين وتزايدت نفرتـه . ثم سعى ابن بقية في اصلاحه وجاء بـه الى بختيار ومعـه الاتراك فصالحه بختيار ، ثم قـام غلام ديلمي فرمى وتينه بحربة في يده فأثبته فصاح سبكتكين بغلمانه فـأخذوه ، ويظنّ أنه وضع قتله وقرّره فلم يعترف فبعث الى بختيار فأمر به فقتل فعظم ارتيابه ، وانه انما قتل حذراً من افشاء سرّه فعظمت الفتنة ، وقصد الديلم قتل سبكتكين ، ثم أرضاهم بختيار بالمال فسكنوا .

استيلاء بختيار على الموصل ثم رجوعه عنها

فلما قبض أبو ثعلب بن ناصر الدولة بن حمدان على أبيه وحبسه ، واستقل بملك الموصل وعصى عليه اخوته من سائر النواحي غلبهم ، ولحق أخوه أحمد وابراهيم ببختيار فاستصرخاه فوعدهما بالمسير معهما وأن يضمن حمدان البلاد . ثم أبطأ عليهما فرجع ابراهيم الى أخيه أبي ثعلب ، وقارن ذلك وزارة ابن بقية وقصر أبو ثعلب في خطابه فاغرى به بختيار فسار اليه ، ونزل الموصل وفارقها أبو ثعلب الى سنجار وأخلاها من الميرة والكتاب والدواوين . ثم سار من سنجار الى بغداد فحاربها ولم يحدث في سوادها حدثاً . وبعث بختيار اثره العساكر مع ابن بقية والحاجب سبكتكين فدخل ابن بقية بغداد ، وأقام سبكتكين بجدى . وثار العيارون واضطربت الفتنة بين أهل السنة والشيعة ، وضربوا الامثال لنشتدّ على الوزير بحرب الجمل ، وهذا كله في الجانب الغربي .

ونزل أبو ثعلب حذاء سبكتكين بجدى واتفقا في سرّ على خلع الخليفة ونصب غيره والقبض على الوزير وعلى بختيار ، وتكون الدولة لسبكتكين ، ويعود أبو ثعلب الى الموصل ليتمكن من بختيار . ثم قصر سبكتكين عن ذلك وخشي سوء المغبة ، واجتمع به الوزير ابن بقية وصالحوا أبا ثعلب على ضمان أعماله كما

كانت ، وزيادة ثلاثة آلاف كرّمن الغلة لبختيار ، وأن يردّ على أخيه حمدان أملاكه وأقطاعه إلا ماردين ، وأرسلوا الى بختيار بذلك . ودخل أبو ثعلب الى الموصل فلما نزل الموصل وبختيار بالجانب الآخر فنضب أهل الموصل لابي ثعلب لما نالهم من عسف بختيار فتراسلوا في الصلح ثانياً وسأل أبو ثعلب لقباً سلطانياً وتسليم زوجته ابنة بختيار فأبى ذلك ، ورحل عنه الى بغداد . وبلغه في طريقه أنّ أبا ثعلب قتل مخلفين من أصحاب بختيار فأقام بالكحيل ، وبعث بالوزير وابن بقية وسبكتكين فجاؤه في العساكر ، ورجع الى الموصل وفارقها أبو ثعلب ، وبعث الى الوزير كاتبه ابن عرس وصاحبه ابن حوقل معتذراً وحلفا عنه عن العلم بما وقع فاستحكم بينهم صلح آخر ، وانصرف كل منهم الى بلده ، وبعث بختيار اليه زوجته .واستقرّ أمرهما على ذلك .

الفتنة بين الديلم والاتراك وانتقاض سبكتكين

كان جند بختيار وأبيه معز الدولة طائفتين من الديلم عشيرتهم والاتراك المستنجدين عندهم ، وعظمت الدولة وكثرت عطاياها وأرزاق الجند حتى ضاقت عنها الجباية وكثر شغب الجند ، وساروا الى الموصل لسدّ ذلك فلم يقع لهم ما يسدّه فتوجهوا الي الاهواز صحبة بختيار ليظفروا من ذلك بشيء ، واستخلف سبكتكين على بغداد ، فلما وصلوا الى الاهواز صحبة بختيار حمل اليه حملين من

الاموال والهدايا ملأ عينه، وهو مع ذلك يتجنى عليه. ثم تلاحى خلال ذلك عاملان ديلمي وتركي وتضاربا ونادى كل منهما بقومه فركبوا في السلاح بعضهم على بعض، وسالت بينهما الدماء وصاروا الى النزاع واجتهدوا في تسكين الناس فلم يقدروا. واشار عليه الديلم بالقبض على الاتراك فاحضر رؤساءهم واعتقلهم، وانطلقت أيدي الديلم على الاتراك فافترقوا ونودي في البصرة بإباحة دمائهم. واستولى بختيار على اقطاع سبكتكين، ودس بان يرجفوا بموته فاذا جاء سبكتكين للعزاء قبضوا عليه. وقيل كان وطأهم على ذلك قبل سفره، وجعل موعده قبضه على الاتراك فلما أرجفوا بموته ارتاب سبكتكين بالخبر، وعلم أنها مكيدة، ودعاه الاتراك للامر عليهم فأبى ودعا ابن معز الدولة أبا اسحق اليها فمنعته أمه فركب سبكتكين في الاتراك وحاصروا بختيار يومين. ثم أحرقها وبعث لابي اسحق وأبي ظاهر ابني معز الدولة، وسار بهما الى واسط فاستولى على ما كان لبختيار، وأنزل الاتراك في دور الديلم، وثار العامّة بنصر سبكتكين وأوقعوا بالشيعة وقتلوهم وأحرقوا الكرخ.

مسير بختيار لقتال سبكتكين وخروج سبكتكين الى واسط ومقتله

ولما انتقض سبكتكين انتقض الاتراك في كل جهة حتى اضطرب على بختيار غلمانه الذين بداره، وعاتبه مشايخ الاتراك

على فعلته ، وعَذَله الديلم أصحابه وقالوا : لا بدّ لنا من الاتراك ينصحون عنا فأطلق المعتقلين منهم ورجع ؛ وجعل أردويه صاحب الجيش مكان سبكتكين ، وكتب الى عمه ركن الدولة وابنه عضد الدولة يستنجدهما ، والى أبي ثعلب بن حمدان يستمدّه بنفسه ، ويسقط عنه مال الضمان ، والى عمران بن شاهين بأن يمدّه بعسكر فبعث عمه ركن الدولة العساكر مع وزيره أبي الفتح ابن العميد ، وأمر ابنه عضد الدولة بالمسير معهم فتربص به ابن العميد . وأنفذ أبو ثعلب بن حمدان أخاه أبا عبدالله الحسين بن حمدان الى تكريت ، وأقام ينتظر خروج سبكتكين والاتراك عن بغداد فيملكها : وانحدر سبكتكين ومعه الاتراك الى واسط وحمل معه الخليفة الطائع الذي نصبه وأباه المطيع مكانه افتكين[1] . وساروا الى بختيار ونازلوه بواسط خمسين يوماً ، والحرب بينهم متصلة والظفر للاتراك في كلها ، وهو يتابع الرسل الى عضد الدولة ويستحثّه .

استيلاء عضد الدولة على العراق واعتقال بختيار ثم عوده الى ملكه

ولما بلغ عضد الدولة ما فعله الاتراك مع بختيار اعتزم على المسير اليه بعد ان كان يتربص به فسار في عساكر فارس، وسار معه أبو القاسم بن العميد وزير أبيه من الاهواز في عساكر

(١) يظهر أن المقصود: الذي نصبه أفتكين مكان أبيه المطيع .

الريّ، وقصدوا واسط. ورجع افتكين والاتراك الى بغداد. وكان أبو ثعلب عليها فأجفل وكتب بختيار الى طبة الاسدي صاحب عين التمر، والى بني شيبان بمنع الميرة عن بغداد وافساد سابلتها فعدمت الاقوات، وسار عضد الدولة الى بغداد ونزل في الجانب الشرقي وبختيار في الجانب الغربي. وخرج افتكين والاتراك لعضد الدولة فلقيهم بين دبانى والمدائن منتصف جمادى سنة أربع وستين فهزمهم، وغرق كثير منهم.

وساروا الى تكريت، ودخل عضد الدولة بغداد ونزل دار الملك، واستردّ الخليفة الطائع من افتكين والاتراك وكانوا أكرهوه على الخروج معهم، وخرج للقائه في دجلة وأنزله بدار الخلافة، وحدّثته نفسه بملك العراق، واستضعف بختيار ووضع عليه الجند يطالبونه بأرزاقهم ولم يكن عنده في خزائنه شيء. وأشار عليه بالزهد في امارتهم يتنصح له بذلك سرّاً والرسل تتردّد الى بختيار والجند فلا يقبل عضد الدولة تقرّبهم. ثم تقبض عليه آخراً ووكل به، وجمع الجند ووعدهم بالاحسان والنظر في أمورهم فسكنوا وبعث عضد الدولة عسكره الى ابن بقية ومعه عسكر ابن شاهين فهزموا عسكر عضد الدولة. وكاتبوا ركن الدولة فكتب اليهم بالثبات على شأنهم.

فلما علم أهل النواحي بأفعال عضد الدولة اضطربوا عليه وانقطعت عنه موادّ فارس. وطمع فيه الناس حتى عامّة بغداد

فحمَّل الوزير أبا الفتح بن العميد الى أبيه ركن الدولة الرسالة بما وقع ، وبضعف بختيار ، وأنه ان عاد الى الامر خرجت المملكة والخلافة عنه ، وأنه يضمن أعمال العراق بثلاثين ألف ألف درهم في كل سنة ويبعث اليه بختيار بالري والا قتلت بختيار وأخويه وجميع شيعتهم ، وتركت البلاد فخشي ابن العميد من هذه الرسالة ، وأشار بأن يبعث بها غيره ويمضي هو الى ركن الدولة فيحاول على مقاصد عضد الدولة فمضى الرسول الى ركن الدولة فحجبه اولاً ، ثم أحضره وذكر له الرسالة فهمّ بقتله . ثم ردّه وحمله من الاساءة في الخطاب فوق ما أراد ، وجاء ابن العميد فحجبه ركن الدولة ، و أنفذ اليه بالوعيد . وشفع اليه أصحابه واعتذر بأنه انما جعل رسالة عضد الدولة طريقاً الى الخلاص منه فأحضره ، وضمن له ابن العميد اطلاق بختيار . ثم سار الى عضد الدولة وعرفه بغضب أبيه فأطلق بختيار من محبسه وردّه الى ملكه على أن يكون نائباً عنه ويخطب له ، ويحمل أخاه أبا اسحق أمير الجيش لضعفه عن الملك. وخلف أبا الفتح بن العميد لقضاء شؤونه فتشاغل هو مع بختيار فيما كان فيه من اللذات عن ركن الدولة . وجاء ابن بقية فأكد الوحشة بين بختيار وعضد الدولة ، وجبى الاموال واختزنها وأساء التصرف واحترز من بختيار .

اخبار عضد الدولة في ملك عمان

لما توفي معز الدولة كان أبو الفرج بعمان فسار عنها لبغداد، وبعث الى عضـد الدولة بأن يتسلمها فوليها عمر بن نبهان الطائي بدعوة عضد الدولة . ثم قتلته الزنج وملكوا البلد وبعث عضد الدولة اليها جيشاً من كرمان مع قائده ابي حرب طغان، وساروا في البحر وأرسوا على صُحار ، وهي قصبة عمان ، ونزلوا الى البر فقاتلوا الزنج وظفروا بهم . واستولى طغان على صحار سنة اثنتين وستين . ثم اجتمع الزنج الى مدين رستاق على مرحلتين من صحار فأوقع بهم طغان واستلحمهم وسكنت البلاد . ثم خرج بجبال عمان طوائف الشراة مع ورد بن زياد منهم، وبايعوا لحفص بن راشد، واشتدّت شوكتهم . وبعث عضد الدولة المظفر بن عبدالله في البحر فنزل في اعمال عُمان وأوقع بأهل خرخان . ثم سار الى دما على أربع مراحل وقاتل الشُراة (١) فهزمهم وهرب امـيرهم ، ورد بن حفص الى يزوا ، وهي حصن تلك الجبال . ولحق حفص باليمن فصار فيه معلماً ، واستقامت البلاد ودانت لطاعة عضد الدولة .

(١) الشراة ـ وهم الخوارج ـ.

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الاكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الرابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الخامس



دار الكتاب اللبناني بيروت

القسم الخامس

المجلد الرابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

اضطراب كرمان على عضد الدولة

كان ظاهر بن الصنمد من الحرومية، وهي البلاد الحارة، قد ضمن من عضد الدولة ضمانات واجتمعت عليه أموال. ولما سار عضد الدولة الى العراق، وبعث وزيره المظهر بن عبدالله الى عُمان خلت كرمان من العساكر فطمع فيها ظاهر، وجمع الرجال الحرومية. وكان بعض موالي بني سامان من الاتراك، واسمه مؤتمر، استوحش من ابن سيجور صاحب خراسان، فكاتبه ظاهر وأطمعه في اعمال كرمان فسار اليه وجعله ظاهر أميراً. ثم شغب عليه بعض أصحاب ظاهر فارتاب به مؤتمر وقاتله فظفر به وبأصحابه، وبلغ الخبر الى الحسين بن علي بن الياس بخراسان فطمع في البلاد، وسار اليها واجتمعت عليه جموع. وكتب عضد الدولة الى المظهر ابن عبدالله، وقد فرغ من أمر عُمان بالمسير الى كرمان فسار اليه سنة أربع وستين، ودوخ البلاد في طريقه. وكبس مؤتمراً بنواحي مدينة قم فلحق بالمدينة وحصره فيها حتى استأمن، وخرج اليه ومعه ظاهر فقتله المظهر، وحبس مؤتمراً ببعض القلاع، وكان

آخر العهد به. ثم سار الى ابن الياس وقاتله على باب جيرفت، وأخذه أسيراً وضاع بعد ذلك خبره، ورجع المظهر ظافراً، وصلحت كرمان لعضد الدولة.

وفاة ركن الدولة وملك ابنه عضد الدولة

كان ركن الدولة ساخطاً على ابنه عضد الدولة كما قدّمناه. وكان ركن الدولة بالريّ فطرقه المرض سنة خمس وستين وثلثمائة فسار الى أَصْفَهان. وتلطّف الوزير أبو الفتح بن العميد إليه في الرضا عن ابنه عضد الدولة، وأن يحضره ويعهد اليه فأحضره من فارس، وجمع سائر ولده. وكان ركن الدولة قد خفّ من مرضه فعمل الوزير ابن العميد بداره صنيعاً وأحضرهم جميعاً. فلما قضوا شأن الطعام خاطب ركن الدولة أحد أولاده بولاية أَصفَهان وأعمالها نيابة عن أخيه عضد الدولة، وخلع عضد الدولة في ذلك اليوم على سائر الناس الاقبية والاكسية بزي الديلم. وحيّاه اخوته والقواد بتحيّة الملك المعتاد لهم، وأوصاهم أبوهم بالاتساق وخلع عليهم من الخاص، وسار عن اصفهان في رجب من السنة. ثم اشتدّ به المرض في الري فتوفي في محرّم سنة ست وستين لاربع وأربعين سنة من ولايته، وكان حليماً كريماً واسع المعروف حسن السياسة لجنده ورعيته عادلاً فيهم، متحرياً من الظلم عفيفاً عن الدماء، بعيد الهمة عظيم الجدّ والسعادة محسناً

لاهل البيوتات ، معظِماً للمساجد متفقِّداً لها في المواسم ، متفقداً اهل البيت بالبر والصِلات ، عظيم الهيبة ليِّن الجانب مقرباً للعلماء محسناً اليهم ، معتقداً للصلحاء براً بهم رحمة الله تعالى

مسير عضد الدولة الى العراق وهزيمة بختيار

ولما توفي ركن الدولة ملك عضد الدولة بعده ، وكان بختيار وابن بقية يكاتبان أصحاب القاصِيَة مثل فخر الدولة أخيه ، وحَسْنَوَيْه الكرديّ وغيرهم للتظافر على عضد الدولة فحركه ذلك لطلب العراق فسار لذلك وانحدر بختيار الى واسط لمدافعته ؛ وأشار عليه ابن بقية بالتقدّم الى الاهواز . واقتتلوا في ذي القعدة من سنة ست وستين ، ونزع بعض عساكر بختيار الى عضد الدولة فانهزم بختيار ولحق بواسط ، ونهب سواده ومخلفه ، وبعث اليه ابن شاهين بأموال وسلاح وهاداه وأتحفه فسار اليه الى البطيحة ، وأصعد منها الى واسط . واختلف أهل البصرة فمالت مضر الى عضد الدولة ، وربيعة مع بختيار ضربت مضر عند انهزامه ، وكاتبوا عضد الدولة فبعث اليهم عسكراً واستولوا على البصرة . وأقام بختيار بواسط ، وقبض الوزير ابن بقية لاستبداده واحتجانه الاموال وليرضى عضد الدولة بذلك . وتردّدت الرسل بينهم في الصلح ، وتردّد بختيار في امضائه . ثم وصله ابنا حسنويه الكردي في ألف فارس مدداً فاعتزم على محاربة عضد

الدولة . ثم بدا له وسار الى بغداد فاقام بها ، ورجع ابنا حسنويه الى ابيهما وسار عضد الدولة الى البصرة فأصلح بين ربيعَةَ ومُضَر بعد اختلافهما مائة وعشرين سنة

نكبة أبي الفتح بن العميد

كان عضد الدولة يحقد على أبي الفتح بن العميد مقامه عند بختيار ببغداد ومخالطته له ، وما عقده من وزارته بعد ركن الدولة . وكان ابن العميد يكاتب بختيار بأحواله وأحوال أبيه ، وكان لعضد الدولة عين على بختيار ويكاتبه بذلك ويغريه . فلما ملك عضد الدولة بعد أبيه كتب الى أخيه فخر الدولة بالريّ بالقبض على ابن العميد وعلى أهله وأصحابه واستصفيت اموالهم ومحيت آثارهم ، وكان أبو الفضل بن العميد ينذرهم بذلك لما يرى من مخايل أبي الفتح وانكاره عليه

استيلاء عضد الدولة على العراق ومقتل بختيار وابن بقية

ولما دخلت سنة سبع وستين سار عضد الدولة الى بغداد وأرسل الى بختيار يدعوه الى طاعته ، وأن يسير عن العراق الى أيّ جهة أراد فيمدّه بما يحتاج اليه من مال وسلاح فضعفت نفسه فقلع عينه وبعثها اليه ، وخرج بختيار عن بغداد متوجهاً الى الشام . ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها ولم يكن خطب لاحد

قبله ، وضرب على بابه ثلاث نوبات ولم يكن لمن تقدّمه ، وأمر ان يلقى ابن بقية بين أرجل الفيلة فضربته حتى مات وصلب على رأس الجسر في شوّال سنة سبع وستين ولما انتهى بختيار الى عكبرا ، وكان معه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان فزين له قصد الموصل ، واستماله اليه عن الشام ، وقد كان قد عقد معه عضد الدولة أن لا يقصد الموصل لموالاة بينه وبين ابي ثعلب فسار هو الى الموصل ونقض عهده ، وانتهى الى تكريت فبعث اليه ابو ثعلب يعده المسير معه لقتال عضد الدولة ؛ واعادة ملكه على ان يسلم اليه اخاه حمدان فقبض بختيار عليه وسلّمه الى سفرائه وحبسه ابو ثعلب وسار بختيار الى الحديثة ، ولقيه ابو ثعلب في عشرين ألف مقاتل ورجع معه الى العراق ، ولقيهما عضد الدولة بنواحي تكريت فهزمهما وجيء ببختيار اسيراً فاشار ابو الوفاء طاهر بن اسمعيل كبير أصحاب عضد الدولة بقتله فقتل لاثنتي عشرة سنة من ملكه ، واستلحم كثير من أصحابه ،وانهزم ابو ثعلب بن حمدان الى الموصل

استيلاء عضد الدولة على أعمال بني حمدان

ولما انهزم أبو ثعلب سار عضد الدولة في أثره فملك الموصل منتصف ذي القعدة سنة ست وستين ، وكان حمل معه الميرة والعلوفات خوفاً أن يقع به مثل ما وقع بسلفه فأقام بالموصل مطمئناً ، وبث السرايا في طلب أبي ثعلب ولحق بنصيبين ثم بميافارقين

فبعث عضد الدولة في أثره سرية عليها أبو ظاهر بن محمد الى سنجار. وأخرى عليها الحاجب أبو حرب طغان الى جزيرة ابن عمر فترك أبو ثعلب أهله بمافارقين، وسار الى تدلس. ووصل أبو الوفاء في العساكر الى ميافارقين فامتنعت عليه فسار في اتباع أبي ثعلب الى أرزن الروم، ثم الى الحسنية من اعمال الجزيرة. وصعد أبو ثعلب الى قلعة كواشي فأخذ امواله منها، وعاد أبو الوفاء وحاصره بميافارقين. وسار عضد الدولة وقد افتتح سائر ديار بكر، وسار أبو ثعلب الى الرَّحَبَة، ورجع أصحابه الى أبي الوفاء فأمنهم وعاد الى الموصل فتسلم ديار مضر من يده. وكان سعد الدولة على الرحبة وتقرّى أعمال ابي ثعلب وحصونه مثل هوا والملاسي وفرقي والسفياني وكواشي بما فيها من خزائنه وامواله، واستخلف ابو الوفاء على الموصل وجميع أعمال بني ثعلب وعاد الى بغداد. وسار ابو ثعلب الى الشام فكان فيه مهلكه كما مرّ في أخباره.

ايقاع العساكر ببني شيبان

كان بنو شيبان قد طال افسادهم للسابلة، وعجز الملوك عن طلبهم، وكانوا يمتنعون بجبال شهرزور لما بينهم وبين أكرادها من المواصلة فبعث عضد الدولة العساكر سنة تسع وستين فنازلوا شهرزور، واستولوا عليها وعلى ملكها رئيس بني شيبان فذهبوا في البسيط، وسار العسكر في طلبهم فأوقعوا بهم واستباحوا

أموالهم ونساءهم، وجيء منهم الى بغداد بثلثمائة أسير. ثم عاودوا الطاعة وانحسمت علتهم.

وصول ورد بن منير البطريق الخارج على ملك الروم الى ديار بكر والقبض عليه

كان أرمانوس ملك الروم لما توفي خلَّف ولدين صغيرين ملكا بعده، وكان نقفور وهو يومئذ الدمستق غائباً ببلاد الشام، وكان نكاء فيها فلما عاد حمله الجند وأهل الدولة على النيابة عن الولدين فامتنع. ثم اجاب واقام بدولة الولدين، وتزوّج أمّها ولبس التاج. ثم استوحشت منه فراسلت ابن الشمسيق في قتله، وبيته في عشرة من أصحابه فقتلوا نقفور واستولى ابن الشمسيق على الامر، واستولى على الاولاد وعلى ابنه ورديس واعتقلهم في بعض القلاع. وسار في أعمال الشام فعاث فيها وحاصر طرابلس فامتنعت عليه.

وكان لوالد الملك أخ خصي وهو الوزير يومئذ فوضع عليه من سقاه السمّ، وأحس به فأسرع العود الى القُسْطَنْطِينِيَّة، ومات في طريقه. وكان ورد بن منير من عظماء البطارقة فطمع في الملك، وكاتب أبا ثعلب بن حمدان عند خروجه بين يدي عضد الدولة، وظاهره واستجاش بالمسلمين بالثغور، وساروا اليه وقصد القسطنطينية، وبرزت اليه عساكر الملكين فهزمهم مرّة بعد أخرى فأطلق الملكان ورديس بن لاون وبعثاه في العساكر لقتال ورد فهزمه بعد

حروب صعبة، ولحق ورد ببلاد الاسلام، ونزل ميافارقين. وبعث أخاه الى عَضُد الدولة ببذل الطاعة وبطلب النصرة. وبعث اليه ملك[1] الروم، واستمالاه فجنح اليهما، وكتب الى عامله بميافارقين بالقبض على ورد وأصحابه فيئسوا منه، وتسللوا عنه فبعث أبو عليّ الغنمي عنه الى داره للحديث معه. ثم قبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من أصحابه واعتقلهم بميافارقين، ثم بعث بهم الى بغداد فحبسوا بها.

دخول بني حسنويه في الطاعة وبداية أمرهم

كان حَسْنَوَيْه بن حسن الكردي من جنس البرز، فكان من الاكراد من طائفة منهم يسمون الدولتية، وكان أميراً على البرز مكان خاله ونداد. وكان ابنا أحمد بن علي من طائفة أخرى من البرز فكانوا يسمون العيشانية، وغلبا على اطراف الدينَوَر وهَمَذان ونهاوند والدامغان وبعض اطراف أَذْرَبيجان الى حدّ شهرزور، وبقيت في أيديهم خمسين سنة. وكانت تجتمع عليها من الاكراد جموع عظيمة. ثم توفي عام ست وخمسين وثلثمائة، وكانت له قلعة بسنان وغانم أباد وغيرها فملكها بعده ابنه أبو سالم إلى ان غلبه الوزير أبو الفتح بن العميد. وتوفي ونداد سنة تسع

---

(١) ينبغي: ملكاً.

وأربعين وقام ابنه عبد الوهاب أبو الغنائم مقامه وأراد السادنجان، واسلمه الى حسنويه فاستولى على املاكه وقلاعه. وكان حسنويه عظيم السياسة حسن السيرة، وبنى اصحابه حِصن التَّلَّصُّص، وهي قلعة سرماج بالصخور المهندسة، وبنى بالدينَوَر جامعاً كذلك، وكان كثير الصدقة بالحرمين. ثم توفي سنة تسع وستين وافترق اولاده من بعده، فبعضهم صار الى طاعة فخر الدولة صاحب همذان وأعمال الجبل، والآخرون صاروا الى عضد الدولة. وكان بختيار منهم بقلعة سرماج ومعه الاموال والذخائر فكاتب عضد الدولة بالطاعة، ثم انتقض فبعث عضد الدولة عسكراً فحاصروه، وملكوا القلعة من يده والقلاع الاخرى من اخوته. واستولى عضد الدولة على اعمالهم واصطنع من بينهم أبا النجم بن حسنويه وأمدّه بالعسكر فضبط تلك النواحي، وكفَّ عادِيَة الاكراد بها واستقام أمرها.

استيلاء عضد الدولة على همذان والري من يد أخيه فخر الدولة وولاية أخيهما مؤيد الدولة عليها

قد تقدّم انّ ركن الدولة عهد الى ابنه فخر الدولة، وكان يكاتب بختيار، وعلم بذلك عضد الدولة فأغضى فلما فرغ من شأن بختيار وابن حمدان وحسنويه وعظم استيلاؤه أراد اصلاح الامر بينه وبين أخيه، وقابوس بن وشمكير فكاتب مؤيد الدولة، وفخر الدولة يعاتبه ويستميله. وكان الرسول خواشادة من أكبر

أصحاب عضد الدولة فاستمال أصحاب فخر الدولة، وضمن لهم الاقطاعات وأخذ عليهم العهود، واعتزم عضد الدولة على المسير الى الريّ وهمذان، ورتّب العساكر اليها مسالحة: فأبو الوفاء طاهر في عسكر، وخواشادة في عسكر وأبو الفتح المظفر بن احمد في عسكر. ثم سار عضد الدولة في أثرهم من بغداد؛ ولما أطلت عساكره استأمن من قواد فخر الدولة وبنو حسنويه ووزيره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه، ولحق فخر الدولة ببلاد الديلم ثم بجرجان، ونزل على شمس المعالي قابوس ابن وشمكير مستجيراً فأمنه وآواه، وحمل اليه فوق ما أمّله، وشاركه فيما بيده من الملك وغيره، وملك عضد الدولة همذان والريّ وما بينهما من الاعمال، وأضافها الى اخيه مؤيد الدولة ابن بويه صاحب أصفهان وأعمالها.

ثم عطف على ولاية حسنويه الكردي، وفتح نهاوند والدينور وسرماج، وأخذ ما كان فيها لبني حسنويه، وفتح عدّة من قلاعهم، وخلع على بدر بن حسنويه وأحسن اليه وولاه رعاية الاكراد، وقبض على اخوته عبد الرزاق وابي العلاء وابي عدنان. ولما لحق فخر الدولة بجرجان، واجاره قابوس بعث اليه اخوه عضد الدولة في طلبه فاجاره وامتنع من اسلامه فجهز اليه عضد الدولة اخاه مؤيد الدولة صاحب اصفهان بالعساكر والاموال والسلاح فسار الى جرجان، وبرز قابوس للقاء والتقوا بنواحي

استراباذ في منتصف احدى وسبعين فانهزم قابوس ، ومرّ ببعض قلاعه فاحتمل منها ذخيرته ، ولحق بنيسابور . وجاء فخر الدولة منهزماً على اثره ، وكان ذلك لاول ولاية حسام الدولة تاش خراسان من قبل أبي القاسم منصور من بني سامان فكتب بخبرهما الى الامير نوح ووزيره العتبي أبي العباس تاش فجاءه الجواب بنصرهما فجمع عساكر خراسان ، وسار معها الى جرجان فحاصروا بها مؤيد الدولة شهرين حتى ضاقت احوال مؤيد الدولة واعتزم هو واصحابه على الخروج والاستماتة بعد ان كاتب فائقاً الخاصة الساماني ، ورغبه فوعده بالانهزام عند اللقاء . وخرج مؤيد الدولة ، وانهزم فائق وتبعه العسكر ، وثبت تاش وفخر الدولة وقابوس الى آخر النهار . ثم انهزموا ولحقوا بنيسابور ، وبعثوا بالخبر الى الامير نوح فبعث اليهم بالعساكر ليعود الى جرجان . ثم قتل الوزير العتبي كما تقدّم في أخبار دولتهم ، وانتقض ذلك الرأي .

استيلاء عضد الدولة على بلاد الهكارية وقلعة سندة

كان عضد الدولة قد بعث عساكره الى بلاد الاكراد الهكارية من اعمال الموصل فحاصر قلاعهم وضيق عليهم ، وكانوا يؤمّلون نزول الثلج فترحل عنهم العساكر . وتأخر نزوله فاستأمنوا ونزلوا من قلاعهم الى الموصل ، واستولت عليها العساكر وغدر بهم مقدّم الجيش فقتلهم جميعاً . وكانت قلعة بنواحي الجبل لابي

عبدالله المري مع قلاع اخرى ، وله فيها مساكن نفيسة . وكان من بيت قديم فقبض عليه عضد الدولة وعلى اولاده واعتقلهم وملك القلاع ؛ ثم اطلقهم الصاحب بن عبّاد فيما بعد ، واستخدم أبا طاهر من ولده واستكتبه وكان حسن الخط واللفظ .

وفاة عضد الدولة وولاية ابنه صمصام الدولة

ثم توفي عضد الدولة ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين لخمس سنين ونصف من ولايته العراق ، وجلس ابنه صمصام الدولة أبو كليجار المرزبان للعزاء فجاءه الطائع معزّياً . وكان عضد الدولة بعيد الهمّة شديد الهيبة حسن السياسة ثاقب الرأي محباً للفضائل وأهلها ؛ وكان كثير الصدقة والمعروف ، ويدفع المال لذلك الى القضاة ليصرفوه في وجوهه . وكان محباً للعلم واهله مقرّباً لهم محسناً اليهم ، ويجلس معهم ويناظرهم في المسائل فقصده العلماء من كل بلد ، وصنفت الكتب باسمه كالايضاح في النحو والحجة في القراآت والملكي في الطب والتأخي في التواريخ ، وعمل البيمارستانات وبنى القناطر . وفي ايامه حدثت المكوس على المبيعات ، ومنع من الاحتراف ببعضها وجعلت متجراً للدولة . ولما توفي عضد الدولة اجتمع القواد والامراء على ابنه ابي كليجار المرزبان وولوه الملك مكانه ، ولقبوه صمصام الدولة فخلع على

أخيه ابي الحسن احمد وابي ظاهر فيروز شاه واقطعهما فارس وبعثهما اليها .

استيلاء شرف الدولة بن عضد الدولة على فارس واقتطاعها من أخيه صمصام الدولة

كان شرف الدولة ابو الفوارس شرزيك قد ولاه أبوه عضد الدولة قبل موته كرمان وبعث اليه فلما بلغه وفاة ابيه سار الى فارس فلكها ، وقتل نصر بن هرون النصراني وزير أبيه لانه كان يسيء عشرته ، وأطلق الشريف ابا الحسن محمد بن عمر العلوي كان أبوه حبسه بما قال عنه وزيره المظهر بن عبدالله عند قتله نفسه على البطيحة . واطلق النقيب أبا احمد والد الشريف الرضي والقاضي أبا محمد بن معروف وأبا نصر خواشادة ، وكان ابوه حبسهم . وقطع خطبة اخيه صمصام الدولة وخطب لنفسه ، وتلقب بأخي الدولة ووصل اخوه ابو الحسن أحمد وابو ظاهر فيروزشاه اللذان أقطعهما صمصام الدولة بشيراز فبلغهما خبر شرف الدولة بشيراز فعادا الى الاهواز . وجمع شرف الدولة وفرّق الاموال ، وملك البصرة وولى عليها أخاه أبا الحسين . ثم بعث صمصام الدولة العساكر مع ابن تُتُش حاجب أبيه ، وأنفذ مشرف الدولة مع أبي الاغرّ دبيس ابن عفيف الأَسدي ، والتقيا بظاهر عَقْرَقوف ، وانهزم عسكر صمصام الدولة ، وأسر ابن تتش الحاجب ، واستولى حينئذ الحسين ابن عضد الدولة على الاهواز وراء هرمز وطمع في الملك .

وفاة مؤيد الدولة صاحب أصفهان والري وجرجان وعود فخر الدولة الى ملكه

ثم توفي مؤيد الدولة يوسف بن بويه بن ركن الدولة صاحب أصفهان والري بجرجان سنة ثلاث وسبعين، واجتمع أهله للشورى فيمن يولوه فأشار الصاحب اسمعيل بن عبّاد باعادة فخر الدولة الى ملكه لكبر سنه، وتقدّم امارته بجرجان وطبرستان فاستدعوه من نيسابور وبعث ابن عباد من استخلفه لنفسه، وتقدم الى جرجان فتلقاه العسكر بالطاعة وجلس على كرسيه. وتفادى ابن عباس من الوزارة فمنعه واستوزره، والتزم الرجوع الى اشارته في القليل والكثير. وأرسل صمصام الدولة وعاهده على الاتحاد والمظاهرة. ثم عزل الامير نوح أبا العباس تاش عن خراسان، وولى عليها ابن سيجور فانتقض تاش ولقيه ابن سيجور فهزمه فلحق بجرجان، فكافأه فخر الدولة وترك له جرجان ودهستان واستراباذ، وسار عنها الى الريّ وأمدّه بالاموال والآلات، وطلب خراسان فلم يظفر بها فأقام بجرجان ثلاث سنين. ثم مات سنة سبع وتسعين كما ذكرنا في أخبار بني سامان.

انتقاض محمد بن غانم على فخر الدولة

قد تقدم لنا ذكر غانم البرزنكاني خال حسنويه، وانهم كانوا رؤساء الاكراد انه مات سنة خمسين وثلثمائة وكان ابنه دلسيم

مكانه في قلاعه قستتان وغانم أبا، وملكها منه أبو الفتح بن العميد. ولما كان سنة ثلاث وسبعين انتقض محمد بن غانم بناحية كردون من أعمال قم على فخر الدولة، ونهبت غلات السلطان وامتنع بحصن الفهجان، واجتمع اليه البرزنكان وسارت العساكر لقتاله في شوّال فهزمها مرّة بعد اخرى الى ان بعث فخر الدولة الى أبي النجم بدر بن حسنويه بالنكير في ذلك فصالحه أوّل أربع وسبعين. ثم سارت اليه العساكر سنة خمس وسبعين فقاتلها وأصيب بطعنة، ثم أخذ أسيراً ومات بطعنته.

تغلب باد الكردي على الموصل من يد الديلم ثم رجوعها اليهم

قد تقدّم لنا استيلاء عضد الدولة على الموصل وأعمالها، وتقدّم لنا ذكر باد الكردي خال بني مروان، وكيف خان عضَد الدولة لما ملك الموصل، وطلبه فصار يخيف ديار بكر ويغير عليها حتى استفحل امره. وملك ميافارقين كما ذكرنا ذلك كله في أخبار بني مروان. وان صمصام الدولة جهز اليه العساكر مع أبي سعيد بهرام ابن اردشير فهزمه باد، وأسر اصحابه فأعاد صمصام الدولة اليه العساكر مع ابي سعيد الحاجب، وفتك باد في الديلم بالقتل والاسر. ثم اتبع سعيد خانور الحسينية من بلد كواشي فانهزم سعيد الحاجب الى الموصل، وثارت العامّة بالديلم. وملك باد سنة ثلاث وسبعين الموصل، وحدّث نفسه بملك بغداد، وأخرج الديلم

عنها واهتم صمصام الدوله بأمره وبعث زياد بن شهرا كوفه من أكبر قواد الديلم لقتاله، واستكثر له من الرجال والعدد والمال؛ وسار الى باد فلقيه في صفر سنة أربع وسبعين، وانهزم باد وأسر أكثر أصحابه؛ ودخل زياد بن شهرا كوله الموصل. وبعث سعيد الحاجب في طلب باد فقصد جزيرة ابن عمر وعسكر آخراً في نصيبين.

وجمع باد الجموع بديار بكر؛ وكتب صمصام الدولة الى سعد الدولة بن سيف الدولة بتسليم ديار بكر له فبعث اليها عساكره من حلب، وحاصره وميافارقين وخاموا عن لقاء باد فرجعوا عن حلب، ووضع سعيد الحاجب رجلًا لقتل باد فدخل عليه وضربه في خيمته فأصابه؛ وأشرف على الموت منها فطلب الصلح على أن يكون ديار بكر والنصف من طورعبدين فأجابه الديلم الى ذلك وانحدروا الى بغداد. وأقام سعيد الحاجب بالموصل الى أن توفي سبع وسبعين أيام مشرف الدولة فتجرّد الكردي وطمع في الموصل، وولى شرف الدولة عليها أبا نصر خواشاده وجهزه بالعساكر. ولما زحف اليه باد الكردي كتب الى مشرف الدولة يستمد العساكر والاموال فأبطأ عليه المدد؛ فاستدعى العرب من بني عقيل وبني نمير وأقطعهم البلاد ليدافعوا عنها، وانحدر باد واستولى على طورعبدين ولم يقدر على النزول على الصحراء؛ وبعث أخاه في عسكر لقتال العرب فهزموه وقتلوه. ثم أتاهم الخبر بموت مشرف الدولة فعاد خواشاده الى الموصل، وأقامت

العرب بالصحراء يمنعون باد من النزول وينتظرون خروج خواشاده لمدافعة باد وحربه ، وبينما هم في ذلك جاء ابراهيم وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان فملكا الموصل كما ذكرنا في أخبار دولتهم.

استيلاء صمصام الدولة على عمان ورجوعها لمشرف الدولة

كان مشرف الدولة استولى على فارس وخطب له بعمان ، وولى عليها أستاذ هرمز فانتقض عليه وصار مع صمصام الدولة ، وخطب له بعمان فبعث مشرف الدولة اليه عسكراً فهزموا أستاذ هرمز وأسروه ، وحبس ببعض القلاع وطولب بالاموال وعادت عمان الى مشرف الدولة .

خروج أبي نصر بن عضد الدولة على أخيه صمصام الدولة وانهزامه وأسره

كان اسفار بن كردويه من أكابر قواد الديلم، واستوحش من صمصام الدولة فمال عن طاعته الى أخيه مشرف الدولة وهو بفارس، وداخل رجال الديلم في صمصام الدولة، وأن ينصبوا بهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة نائباً عن أخيه مشرف الدولة حتى يقدم من فارس. وتمكن اسفار من الخوض في ذلك فمرض صمصام الدولة، وتأخر عن حضور الدار ، وراسله صمصام الدولة (1)

(١) كذا بياض بالأصل، والعبارة مشوشة. وفي الكامل لابن الأثيرج ٧ ص ١٢٥ : وراسله صمصام الدولة يستميله ويسكنه فما زاده إلا تمادياً. فلما رأى ذلك من حاله راسل الطائع يطلب منه =

أنه لا ذنب له لانه كان صبياً فاعتقله مكرماً ، وسعى اليه بابن سعدان وزيره اوهواه كان معهم فعزله وقتله ، ومضى اسفار الى أبي الحسن بن عضد االدولة بالاهواز ، ومضى بقية العسكر الى مشرف الدولة بفارس .

استيلاء القرامطة على الكوفة بدعوة مشرف الدولة ثم انتزاعها منهم

كان للقرامطة محل من البأس والهيبة عند أهل الدول وكانوا يدافعونهم في أكثر الاوقات بالمال ، وأقطعهم معز الدولة وابنه بختيار ببغداد وأعمالها ، وكان يأتيهم ببغداد أبو بكر بن ساهويه يحتكم بحكم الوزراء فقبض عليه صمصام الدولة ، وكان على القرامطة في هجر ونيسابور مشتركان في امارتها ، وهما اسحق وجعفر فلما بلغهما الخبر سارا الى الكوفة فملكاها وخطبا لمشرف الدولة . وكاتبهما صمصام الدولة بالعتب فذكرا أمرهما ببغداد ؛ وانتشر القرامطة في البلاد وجبوا الاموال ، ووصل أبو قيس الحسن ابن المنذر من أكابرهم الي الجامعين فسرح صمصام الدولة العسكر ،

= الركوب معه، وكان صمصام الدولة قد أبل من مرضه فامتنع الطائع من ذلك، فشرع واستمال فولاذ زماندار، وكان موافقاً لأسفار، إلا أنه كان يأنف من متابعته لكبر شأنه، فلما راسله صمصام الدولة أجابه واستخلفه على ما أراد، وخرج من عنده وقاتل أسفار، فهزمه فولاذ وأخذ الأمير أبو نصر أسيراً، وأحضر عند أخيه صمصام الدولة فرق له وعلم أنه لا ذنب له فاعتقله مكرماً، وكان عمره حينئذ خمس عشرة سنة، وثبت أمر صمصام الدولة. وسعى إليه بابن سعدان الذي كان وزيره فعزله، وقيل: إنه كان هواه معهم فقتل. ومضى أسفار إلى الأهواز واتصل بالأمير أبي الحسين بن عضد الدولة وخدمه، وسار باقي العسكر إلى شرف الدولة.

ومعهم العرب فعبروا الفرات وقاتلوه فهزموه وأسروه ، وقتلوا جماعة من قواد القرامطة ؛ ثم عـاودوا عسكراً آخر ، ولقيتهم عساكر صمصام الدولة بالجامعين فانهزم القرامطة وقتل مقدمهم وغيره وأسروا منهم العساكر ، وسـاروا في اتباعهم الى القادسيّة فلم يدركوهم .

استيلاء مشرف الدولة على الأهواز ثم على بغداد واعتقال صمصام الدولة

ثم سار مشرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من فارس لطلب الاهواز ، وقد كان أخوه أبو الحسين تغلب عليها عند انهزام عساكر صمصام الدولة سنة اثنتين وسبعين ؛ وكان صمصام الدولة عند ما ملك بعث أبا الحسين وأبا ظاهر أخويه على فارس كما قدّمناه فوجدا أخاهما مشرف الدولة قد سبقهما الى ملكها . وعندما ملك فارس والبصرة ولأهما على البصرة . فلما انهزمت عساكر صمصام الدوله أمام عسكر مشرف الدولة بعث أبا الحسين على الاهواز فلكها وأقام بها . واستخلف على البصرة أخاه أبا ظاهر فلما سار مشرف الدولة هذه السنة الى الاهواز قدّم اليه الكتاب بأن يسير الى العراق، وأنه يقرّه على عمله فشق ذلك على أبي الحسين ، وتجهز للمدافعة فعاجله مشرف الدولة عن ذلك ، وأغذّ السير الى أرّجان فملكها ثم رامهرمز ، وانتقض أجناده ونادوا بشعار مشرف الدولة فهرب الى عمه فخر الدولة

بالري، وأنزله باصفهان ووعده بالنصر، وأبطأ عليه فثار في اصفهان بدعوة أخيه مشرف الدولة فقبض عليه جندها وبعثوا به الى الري فحبسه فخر الدولة الى ان مرض واشتد مرضه فأرسل من قتله في محبسه.

ولما هرب أبو الحسين من الاهواز سار اليها مشرف الدولة، وأرسل الى البصرة قائداً فملكها، وقبض على أخيه ابي طاهر وبعث إليه صمصام الدولة في الصلح، وان يخطب له ببغداد، وسارت اليه الخلع والالقاب من الطائع، وجاء من قبل صمصام الدولة من يستحلفه. وكان معه الشريف ابو الحسن محمد بن عمر الكوفي فكان يستحثه الى بغداد. وفي خلال ذلك جاءته كتب القوّاد من بغداد بالطاعة، وبعث اهل واسط بطاعتهم فامتنع من اتمام الصلح، وسار الى واسط فملكها وأرسل صمصام الدولة اخاه ابا نصر يستعطفه بالسلافة فلم يعطف عليه. وشغب الجند على صمصام الدولة فاستشار صمصام الدولة أصحابه في طاعة اخيه فنهوه. وقال بعضهم نصعد الى عكبرا ونتبين الامر، وان دهمنا ما لا ننوي عليه سرنا الى الموصل وننتصر بالديلم، وقال آخرون: نقصد فخر الدولة باصفهان ثم نخالفه الى فارس فنحتوي على خزائن مشرف الدولة وذخائره فيصالح كرهاً فأعرض عنهم، وركب صمصام الدولة الى أخيه مشرف الدولة في خواصه فتلقاه بالمبرة. ثم قبض عليه وسار الى بغداد فدخلها في رمضان سنة ست

وسبعين واخوه صمصـام الدوله في اعتقاله بعد أربع سنين من امارته بالعراق .

أخبار مشرف الدولة في بغداد مع جنده ووزرائه

لما دخل مشرف الدولة بغداد كان الديلم معه في قوّة وعدد تنتهي عدّتهم الى خمسة عشر ألفاً ، والاتراك لا يزيدون على ثلاثة آلاف فاستطال الديلم بذلك ، وجرت بين اتباعهم لاول دخولهم بغداد مصاولة آلت الى الحرب بين الفريقين فاستظهر الديلم على الترك ، وتنادوا باعادة صمصام الدولة الى ملكه فارتاب بهم مشرف الدولة ، ووكل بصمصام الدولة من يقتـله ان هموا بذلك . ثم اتيحت الكرة للاتراك على الديلم وفتكوا فيهم ، وافترقوا واعتصم بعضهم بمشرف الدولة . ثم دخل من الغد الى بغداد فتقبله الطائع وهنأه بالسلامة . ثم أصلح بين الطائفتين واستحلفهم جميعاً . وحمل صمصام الدولة الى قلعة ورد بفارس فاعتقل بهـا ، وكان نحرير الخادم يشير بقتله فلا يجيبه أحد . واعتقـل سنة تسع وسبعين وأشرف على الهلاك . ثم اشار نحرير في قتله اوسمله فبعث لذلك من يثق به فلم يقدم على سمله حتى استشار ابا القاسم بن الحسن الناظر هناك فاشار به فسمله .

وكان صمصام الدولة يقول انما اعماني العـلاء لانه في معنى حكم سلطان ميت . ولما فرغ مشرف الدولة من فتنة الجند صرف

نظره الى تهذيب ملكه فردّ على الشريف محمد بن عمر الكوفي جميع املاكه، وكانت تغلّ في كل سنة ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم، وردّ على النقيب أبي احمد والد الرضي جميع املاكه، وأقرّ الناس على مراتبهم. وكان قبض على وزيره أبي محمد بن فسانجس، وافرج عن ابي منصور الصاحب، واستوزره فأقرّه على وزارته ببغداد. وكان قراتكين قد افرط في الدولة والضرب على أيدي الحكام فرأى ان يخرجه الى بعض الوجوه، وكان حنقاً على بدر بن حسنويه لميله مع عمه فخر الدولة فبعثه اليه في العساكر سنة سبع وسبعين فهزمه بدر بوادي قرمسين بعد ان هزمه قراتكين اولاً.

ونزل العسكر فكرّ عليهم بدر فهزمهم وأثخن فيهم، ونجا قراتكين في الفل الى جسر النهروان حتى اجتمع اليه المنهزمون، ودخل بغداد واستولى بدر على اعمال الجبل. ولما رجع قراتكين أغرى الجند بالشغب على الوزير أبي منصور بن صالحان فأصلح مشرف بينه وبين قراتكين، وحقدها له فقبض عليه بعد ايام وعلى جماعة من أصحابه واستصفى اموالهم. وشغب الجند من أجله فقتله وقدّم عليهم مكانه طغان الحاجب. ثم قبض سنة ثمان وسبعين على شكر الخادم خالصة أبيه عضد الدولة وخالصته، وكان يحقد عليه من ايام أبيه من سعاياته فيه: منها اخراجه من بغداد الى كرمان تقرّباً الى أخيه صمصام الدولة بإخراجه. فلما ملك مشرف

الدولة بغداد اختفى شكر فلم يعثر عليه ، وكان معه في اختفائه جارية حسناء فعلقت بغيره ، وفطن لها فضربها فخرجت مغاضبة له . وجاءت الى مشرف الدولة فدلت عليه فأحضره وهم بقتله ، وشفع فيه نحرير الخادم حتى وهبه له . ثم استأذن في الحج وسار من مكه الى مصر فاختصه خلفاء الشيعة وأنزلوه عندهم بالمنزلة الرفيعة .

وفاة مشرف الدولة وولاية أخيه بهاء الدولة

ثم توفي مشرف الدولة أبو الفوارس سرديك بن عضد الدولة ملك العراق في منتصف تسع وسبعين لثمانية أشهر وسنتين من ملكه ودفن بمشهد علي ، ولما اشتدّت علته بعث ابنه أبا علي الى بلاد فارس بالخزائن والعدد مع امه وجواريه في جماعة عظيمة من الاتراك ، وسأله اصحابه أن يعهد فقال : أنا في شغل عن ذلك فسألوه نيابة اخيه بهاء الدولة ليسكن الناس الى ان يستفيق من مرضه فولاه نيابته . ولما جلس بهاء الدولة في دست الملك ركب اليه الطائع فعزاه وخلع عليه خلع السلطنة ، وأقرّ بهاء الدولة أبا منصور بن صالحان على وزارته .

وثوب صمصام الدولة بفارس وأخباره مع علي ابن أخيه مشرف الدولة

قد تقدم لنا أن صمصام الدولة اعتقله اخوه مشرف الدولة

بقلعة ورد، قرب شيراز من أعمال فارس، عندما ملك بغداد سنة ست وسبعين. فلما مات مشرف الدولة وكان قد بعث ابنه أبا علي الى فارس، ولحقه موت ابيه بالبصرة فبعث ما معه في البحر الى أرّجان، وسار اليها في البر مخفاً. والتف عليه الجند الذين بها، وكاتبه العلاء بن الحسن من شيراز بخبر صمصام الدولة فسار الى شيراز، واختلف عليه الجند، وهمّ الديلم باسلامه الى صمصام الدولة فتحرك الاتراك وقاتل الديلم أياماً. ثم سار الى نسا والاتراك معه فأخذوا ما بها من المال، وقتلوا الديلم ونهبوا أموالهم وسلاحهم. وسار ابو علي الى ارجان، وبعث الاتراك الى شيراز فقاتلوا صمصام الدولة والديلم ونهبوا البلد وعادوا اليه بارجان. وجاءه رسول عمه بهاء الدولة من بغداد بالمواعيد الجميلة، ودس مع رسوله الى الاتراك واستمالهم فحسّنوا لأبي عليّ المسير الى عمه بهاء الدولة فسار اليه ولقيه بواسط منتصف ثمانين وثلثمائة وقد اعدّ له الكرامة والنزول. ثم قبض عليه لايام وقتله وتجهز للمسير الى فارس.

مسير فخر الدولة صاحب الري وأصفهان وهمذان الى العراق وعوده

كان الصاحب ابو القاسم اسمعيل بن عبّاد وزير فخر الدولة ابن ركن الدولة يحب العراق ويريد بغداد، لما كان بها من الحضارة واستثار الفضائل. فلما توفي مشرف الدولة سلطان بغداد رأى

ان الفرصة قد تمكنت فدسّ الى فخر الدولة من يغريه بملك بغداد حتى استشاره في ذلك فتلطف في الجواب بأن أحاله على سعادته فقبل اشارته، وسار الى همدان ووفد عليه بدر بن حسنويه ودبيس بن عقيف الأَسدي ، وشاوروا في المسير فسار الصاحب ابن عباد وبدر في المقدّمة على الجادة، وفخر الدولة على خوزستان ثم ارتاب فخر الدولة بالصاحب بن عباد خشية من ميله مع أولاد عضد الدولة فاستعاده ، وساروا جميعاً الى الاهواز فملكها فخر الدولة وأساء السيرة في جندها وجنده ، وحبس عنهم العطاء فتخاذلوا . وكان الصاحب منذ اتهمه وردّه عن طريقه معرضاً عن الامور ساكتاً فلم تستقم الامور باعراضه . ثم بعث بهاء الدولة عساكره الى الاهواز فقاتلوهم، وزادت دجلة الى الاهوار وانفتقت أنهارها فتوهم الجند وحبسوها مكيدة فانهزموا ، وأشار عليه الصاحب باطلاق الاموال فلم يفعل فانفضت عنه عساكر الاهواز وعاد الى الريّ وقبض في طريقه على جماعة من قواد الديلم والريّ، وعادت الاهواز الى دعوة بهاء الدولة .

مسير بهاء الدولة الى أخيه صمصام الدولة بفارس

ثم سار بهاء الدولة سنة ثمانين الى خوزستان عازماً على قصد فارس ، وخلف ببغداد أبا نصر خواشاده من كبار قواد الديلم ، ومرّ بالبصرة فدخلها ، وسار منها الى خوزستان واتاه نعي أخيه

أبي ظاهر فجلس لعزائه ، ودخل أرجان وأخذ جميع ما فيها من الاموال ، وكانت ألف ألف دينار وثمانية آلاف الف درهم . وهرعت اليه الجنود وتفرقت فيهم تلك الاموال كلها . ثم بعث مقدّمته أبا العلاء بن الفضل الى النوبَنْدَجان فهزموا بها عسكر صمصام الدولة فأعاد صمصام الدولة العساكر مع فولاد بن ماندان ، فهزموا أبا العلاء بمراسلة وخديعة من فولاد كبسه في أثرها فعاد الى ارجان مهزوماً ، ولحق صمصام الدولة من شيراز بفولاد . ثم تردّدت الرسل في الصلح على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وارجان ، ولبهاء الدولة خوزستان والعراق ، ويكون لكل منهما اقطاع في بلد صاحبه فتمّ ذلك بينهما وتحالفا عليه ، وعاد بهاء الدولة الى الاهواز . وبلغه ما وقع ببغداد من العيّارين ، وبين الشيعة وأهل السنة ، وكيف نهبت الاموال وخرجت المساكين فأعاد السير الى بغداد وصلحت الاحوال .

القبض على الطائع ونصب القادر للخلافة

قد ذكرنا أنّ بهاء الدولة وقد شغب الجند عليه لقلّة الأموال وقبض وزيره فلم يغن عنه . وكان أبو الحسن بن المعلّم غالباً على هواه فأطمعه في مال الطائع وزيّن له القبض عليه فأرسل اليه بهاء الدولة في الحضور عنده فجلس على العادة ، ودخل بهاء الدولة في جمع كبير ، وجلس على كرسيه وأهوى بعض الديلم الى يد

الطائع ليقبلها. ثم جذبه عن سريره وهو يستغيث ويقول: إنا لله وإنا اليه راجعون. واستصفيت خزائن دار الخلافة فشي بها الحال أياماً، ونهب الناس بعضهم بعضاً. ثم اشهد على الطائع بالخلع ونصبوا للخلافة عمه القادر ابا العباس أحمد المقتدر استدعوه من البَطيحَة. وكان فر اليها أمام الطائع كما تقدّم في أخبار الخلفاء وهذا كله سنة احد وثمانين وثلثمائة.

رجوع الموصل الى بهاء الدولة

كان أبو الرواد محمد بن المسيَّب أمير بني عقيل قتل أبا طاهر ابن حمدان آخر ملوك بني حمدان بالموصل، وغلب عليها وأقام بها طاعة معروفة لبهاء الدولة، وذلك سنة ثمانين كما مرّ في أخبار بني حمدان وبني المسيب. ثم بعث بهاء الدولة أبا جعفر الحجاج بن هُرْمُز من قوّاد الديلم في عسكر كبير الى الموصل فملكها آخر احدى وثمانين فاجتمعت عقيل مع ابي الرواد على حربه، وجرت بينهم عدّة وقائع، وحسن فيها بلاء أبي جعفر بالقبض عليه فخشي اختلاف أمره هناك وراجع في أمره، وكان باغراء ابن المعلم وسعايته. ولما شعر الوزير بذلك صالح أبا الروّاد وأخذ رهنه، وأعاده الى بغداد فوجد بهاء الدولة قد نكب ابن المعلم.

أخبار ابن المعلم

هو ابو الحسن بن المعلم قد غلب على هوى بهاء الدولة وتحكم

في دولته، وصدر كثير من عظائم الامور باشارته فمنها نكبة أبي الحسن محمد بن العلوي ، وكان قد عظم شأنه مع مشرف الدولة وكثرت أملاكه. فلما ولي بهاء الدولة سعى به عنده، وأطمعه في ماله فقبض عليه واستصفى سائر املاكه ، ثم حمله على نكبة وزيره ابي منصور بن صالحان سنة ثمان واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير قبل مسيره الى خوزستان ، ثم حمله على خلع الطائع واستصفى أمواله وحمل ذخائر الخلافة الى داره ، ثم حمله على نكبة وزيره أبي نصر سابور واستوزر أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وبعد مرجعه من خوزستان . قبض على أبي خواشاده وأبي عبد الله بن ظاهر سنة احدى وثمانين ، لانهما لم يوصلا لابن المعلم هداياهما فحمل بهاء الدولة على نكبتهما . ولما استطال على الناس وكثر الضجر منه شغب الجند على بهاء الدولة ، وطالبوه باسلامه اليهم ، وراجعهم فلم يقبلوا فقبض عليه وعلى سائر أصحابه ليسترضيهم بذلك فلم يرضوا إلا به فاسلمه اليهم وقتلوه . ثم اتهم الوزير أبا القاسم بمداخلة الجند في الشغب على الوزير فقبض عليه ، واستوزر مكانه أبا نصر سابور وأبا نصر بن الوزير الاولين وأقاما شريكين في الوزارة .

خروج اولاد بختيار وقتلهم

كان عضد الدولة قد حبس أولاد بختيار فأقاموا معتقلين مدة

أيامه وأيام صمصــام الدولة من بعده . ثم أطلقهم مشرف الدولة وأحسن اليهم وانزلهم بشيراز وأقطعهم . فلما مات مشرف الدولة حبسوا في قلعة ببلاد فارس فاستمالوا الموكل الذي عليهم والجند الذي معه من الديلم فأفرجوا عنهم ، وذلك سنة ثلاث وثمانين ، واجتمع اليهم أهل تلك النواحي وأكثرهم رجالة . وبلغ الخبر الى صمصام الدولة فبعث أبا علي بن أستاذ هرمز في عسكر فافترقت تلك الجموع ، وتحصن بنو بختيار ومن معهم من الديلم ، وحاصرهم أبو علي وأرسل أحد الديلم معهم فأصعدهم سراً وملكوا القلعة وقتلو أولاد بختيار .

استيلاء صمصام الدولة على الاهواز ورجوعها منه

ثم انتقض الصلح سنة ثلاث وثمانين بين بهاء الدولة صاحب بغداد وأخيه صمصام الدولة صاحب خوزستان ، وذلــك أن بهاء الدولة بعث أبا العلاء عبدالله بن الفضل الى الاهواز ، وأسر اليه أن يبعث العساكر متفرقة فاذا اجتمعوا عنده صدم بهم بلاد فارس فسار أبو العلاء، وتشاغل بهاء الدولة عن ذلك، وظهر الخبر فجهز صمصام الدولة عسكره الى خوزستان ، واستمدّ أبو العلاء بهاء الدولة فتوافت عساكره والتقى العسكران. وانهزم أبو العلاء وأخذ أسيراً فأطلقته أم صمصام الدولة ، وقلق بهاء الدولة لذلك وافتقد الاموال فأرسل وزيره أبا نصر سابور الى واسط ، وأعطاه

جواهر واعلاقاً يسترهنها [1] عند مهذب الدولة صاحب البطيحة فاسترهنها ولما هرب الوزير أبو نصر استعفى ابن الصالحان من الانفراد بالوزارة فأعفي. واستوزر بهاء الدولة أبا القاسم علي بن أحمد، ثم عجز وهرب. وعاد أبو نصر سابور الى الوزارة بعد أن أصلح الديلم. ثم بعث بهاء الدولة طغان التركي الى الاهواز في سبعمائة من المقاتلة فملكوا السوس، ورحل أصحاب صمصام الدولة عن الاهواز وانتشرت عساكر طغان في أعمال خوزستان، وكان أكثرهم من الترك فغص الديلم بهم الذين في عسكر طغان فضل الدليل وأصبح على بعد منهم، ورآهم الاتراك فركبوا اليهم وأكمن الوفاً واستأمن كثير منهم وأمنهم طغان حتى نزلوا بأمر الاتراك فقتلوهم كلهم. وانتهى الخبر الى بهاء الدولة بواسط وسار الى الاهواز، وسار صمصام الدولة الى شيراز وذلك سنة اربع وثمانين، وأمر صمصام الدولة بقتل الأتراك في جميع بلاد فارس سنة خمس وثمانين فقتل منهم جماعة وهرب الباقون فعاثوا في البلاد ولحقوا بكرمان، ثم ببلاد السند حتى توسطهم الاتراك [2] فأطبقوا عليهم واستلحموهم.

---

(١) كذا، ومقتضى السياق: يرهنها.

(٢) مقتضى هذه العبارة أن الأتراك أطبقوا على الأتراك. بينما تشير العبارة السابقة إلى وقوع المعركة بين الديلم والأتراك. على أن معظم العبارة مرتبكة. وفي الكامل ج ٧ ص ١٧٠: أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الأتراك، فقتل منهم جماعة وهرب الباقون فعاثوا في البلاد وانصرفوا إلى كرمان ثم منها إلى بلاد السند. واستأذنوا ملكها في دخول بلاده فأذن لهم، وخرج إلى =

استيلاء صمصام الدولة على الاهواز ثم على البصرة

ثم بعث صمصام الدولة عساكره الديلم سنة خمس وثمانين الى الاهواز ، وكان نائب بهاء الدولة قد توفي وعزم الاتراك على العود الى بغداد فبعث بهاء الدولة مكانه أبا كاليجار المرزبان بن سفهيعون ، وأنفذ أبا محمد الحسن بن مكرم الى رام هرمز مدداً لنائبها لفتكين ، وقد انهزم اليها امام عسكر صمصام الدولة فترك أبا محمد بن مكرم بها . ومضى الى الاهواز وسار الى خوزستان فكاتبه العلاء بن الحسن يخادعه . ثم سار الى رامهرمز وحارب ابن مكرم ولفتكين وبعث بهاء الدولة ثمانين من الاتراك يأتون من خلف الديلم فشعروا بهم وقتلوهم أجمعين وخام بهاء الدولة عن اللقاء فرجع الى الاهواز . ثم سار الى البصرة ونزل بها ، وانتهى خبره الى ابن مكرم فعاد الى عسكر مكرم واتبعه العلاء والديلم فأجلوه عنها الى قرب تستر. وتكررت الوقائع بين الفريقين فكان بيد الاتراك من تستر الى رامهرمز ، وبيد الديلم من رامهرمز .

ورجع الاتراك واتبعهم العلاء فوجدهم قد سلكوا طريق واسط فرجع عنهم ، وأقام بعسكر مكرم . ورجع بهاء الدولة

=تلقيهم، ووافق أصحابه على الإيقاع بهم. فلما رآهم جعل أصحابه صفين. فلما حصل الأتراك في وسطهم أطبقوا عليهم وقتلوهم فلم يفلت منهم إلا نفر جرحى وقعوا بين القتلى وهربوا تحت الليل.

الى بغداد ، وكان مع العلاء قائد من قواد الديلم اسمه شكراستان فاستأمن اليه من الديلم الذين مع بهاء الدولة نحو من أربعمائة رجل فاستكثر بهم ، وسار الى البصرة وحاصرها ، ومال اليهم أبو الحسن بن جعفر العلوي من أهل البصرة وكانوا يحملون الميرة . وعلم بهاء الدولة فانفذ من يقبض عليهم فهربوا الى ذلك القائد وقوي بهم ، وجمعوا له السفن فركبها الى البصرة ، وقاتل أصحاب بهاء الدولة وهزمهم وملك البصرة واستباحها . وكتب بهاء الدولة الى مهذب الدولة صاحب البطيحة بأن يرتجعها من يد الديلم ويتولاها فأمدّه عبدالله بن مرزوق ، وأجلى الديلم عنها ، ثم رجع للقاء شكراستان . وهجم عليها[1] في السفن فملكها . وكاتب بهاء الدولة بالطاعة والضمان فأجابه وأخذ ابنه رهينة ، وكان يظهر طاعة بهاء الدولة وصمصام الدولة .

وفاة الصاحب بن عباد

وفي سنة خمس وثمانين وثلثمائة توفي أبو القاسم اسمعيل بن عبّاد وزير فخر الدولة بالريّ ، وكان أوحد زمانه علماً وفضلاً ورياسةً ورأياً وكرماً وعرفاً بأنواع العلوم ، عارفاً بالكتابة ؛ ورسائله مشهورة مدوّنة . وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد ، حتى يقال كانت تنقل في أربعمائة حمل . ووزر بعده لفخر الدولة

(١) أي على البطيحة.

أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي الملقب بالكافي . ولما توفي استصفى فخر الدولة أمواله بعد أن أوصاه عند الموت فلم ينفذ وصيته. وكان الصاحب قد أحسن الى القاضي عبد الجبار المعتزلي وقدّمه وولاه قضاء الريّ وأعمالها . فلما مات قال عبد الجبار : لا أرى الترحم عليه لانه مات على غير توبة ظهرت منه فنسب اليه قلة الوفاء بهذه المقالة . ثم صادر فخر الدولة عبد الجبار فباع في المصادرة ألف طيلسان وألف ثوب من الصوف الرفيع . ثم تتبع فخر الدولة آثار ابن عباد ، وأبطل ما كان عنده من المسامحات ، وقبض على أصحابه والبقاء لله وحده .

وفاة فخر الدولة صاحب الري وملك ابنه مجد الدولة

ثم توفي فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه صاحب الريّ وأصفهان وهمذان في شعبان سنة خمس وثلاثين بقلعة طَبَرَك ، ونصب للملك من بعده ابنه مجد الدولة أبو طالب رستم وعمره أربع سنين ، نصبه الامراء وجعلوا أخاه شمس الدولة بهمذان وقرميس الى حدود العراق ، وكان زمام الدولة بيد أمّ رستم مجد الدولة ، واليها تدبير ملكه ، وبين يديها في مباشرة الاعمال أبو طاهر صاحب فخر الدولة وأبو العباس الضبي الكافي .

وفاة العلاء بن الحسن صاحب خوزستان

ثم توفي العلاء بن الحسن عامل خوزِسْتان لصمصام الدولة بعسكر مكرم فبعث صمصام الدولة أبا علي بن أستاذ هرمز بالمال ففرقه في الديلم، ودفع أصحاب بهاء الدولة عن جُنْد نيسابور بعد وقائع كان الظفر فيها له، ثم دفعهم عن خوزستان الى واسط واستمال بعضهم فنزعوا اليه ورتب العمال في البلاد وجبى الاموال سنة سبع وثمانين. ثم سار أبو محمد بن مكرم من واسط مع الاتراك فدافعهم، وكانت بينه وبينهم وقائع. ثم سار بهاء الدولة في أثرهم من واسط، وكان لحق بهم في واسط أبو علي بن اسمعيل الذي كان نائباً ببغداد عند مسيره الى الأهواز سنة ست وثمانين، وجاء المقلِّد بن المسيَّب من الموصل للعيث في جهات بغداد فبرز أبو علي لقتاله فنكر ذلك بهاء الدولة مغالطة، وبعث من يصالحه، ويقبض على أبي علي فهرب أبو علي الى البطيحة. ثم لحق بهاء الدولة وهو بواسط فوزر له وزير أمره وأشار عليه بالمسير لانجاد أبي محمد بن مكرم في قتال أبي علي بن استاذ هرمز بخوزستان فسار بهاء الدولة ونزل القنطرة البيضاء، وجرت بينه وبين أبي علي بن استاذ هرمز وقائع، وانقطعت الميرة عن عسكر بهاء الدولة فاستمدّ بدر بن حَسْنَوَيْه فأمدّه ببعض الشيء، وكثرت سعاية الاعداء في أبي علي بن اسمعيل فكاد ينكبهم، وبينما هم

على ذلك بلغهم مقتـل صمصام الدولة فصلحت الاحوال واجتمعت الـكلمة .

مقتل صمصام الدولة

كان أبو القاسم وأبو نصر ابنا بختيار محبوسين كما تقدّم فخدعا المتوكلين بهما في القلعة، وخرجا فاجتمع اليهما لفيف من الأكراد. وكان صمصام الدولة قد عرض جنده وأسقط منهم نحواً من ألف لم يثبت عنده نسبهم في الديلم فبادروا الى ابني بختيار، والتقوا عليهما في أرّجان، وكان أبو جعفر استاذ هرمز مقيماً فثـار به الجند ونهبوا داره فاختفى. ثم انتقضوا على صمصـام الدولة ونهبوه وهرب الى الرودمان على مرحلتين من شيراز فقبض عليه صاحبها، وجاء أبو نصر بن بختيار فأخذه منه وقتله في ذي الحجة سنة ثمان لتسع سنين من إمارته بفارس، وأسلمت أمّه الى بعض قواد الديلم فقتلها، ودفنهـا بداره حتى ملك بهاء الدولة فارس فنقلها الى تربة بني بويه .

استيلاء بهاء الدولة على فارس وخوزستان

ولما قتل صمصام الدولة وملك ابنا بختيار فارس بعثا الى أبي علي بن استاذ هرمز يستميلانه، ويأمرانه بأخذ العهد لهما على الذين معه من الديلم، ومحاربة بهاء الدولة. وكتب اليه بهـاء الدولة

يستميله ويؤمنه ويؤمن الديلم الذين معه ويرغبهم، واضطرب رأي أبي علي لخوفه من ابني بختيار لما أسلف من قتل اخوتها وحبسها فمال عنهما، ومال الديلم عن بهاء الدولة خوفاً من الاتراك الذين معه فما زال أبو علي بهم حتى بعثوا جماعة من أعيانهم الى بهاء الدولة، واستوثقوا بيمينه ونزلوا الى خدمته، وساروا الى الاهواز ثم الى رامَهُرْمُزْ وأرّجان. واستولى بهاء الدولة على سائر بلاد خوزستان، وبعث وزيره أبا علي بن اسمعيل الى فارس فنزل بظاهر شيراز وبها ابنا بختيار فحاربها، ومال بعض أصحابها اليه. ثم انفضوا عنهما الى أبي علي وأطاعوه واستولى على شيراز، ولحق أبو نصر بن بختيار ببلاد الديلم وأخوه أبو القاسم ببدر بن حسنويه ثم بالبطيحة. وكتب الوزير أبو علي الى بهاء الدولة بالفتح فسار الى شيراز وأمر بنهب قرية الرودمان فملكها، وأقام بهاء الدولة بالاهواز، واستخلف ببغداد أبا علي بن جعفر المعروف باستاذ هرمز، ولقبه عميد العراق. وبقي ملوك الديلم بعد ذلك يقيمون بفارس والاهواز ويستخلفون على العراق مدّة طويلة.

مقتل ابن بختيار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها

لما استقرّ أبو نصر بن بختيار ببلاد الديلم كاتب جند الديلم بفارس وكرمان، واستمالهم فاستدعوه الى فارس فاجتمع اليه كثير من الربض والديلم والاكراد. ثم سار الى كرمان وبها أبو

جعفر بن السيرجان، ومضى ابن بختيار الى جيرفت فملكها، وملك اكثر كرمان فبعث بهاء الدولة وزيره الموفق أبا علي بن اسمعيل في العساكر. ولما وصل جيرفت استأمن اليه أهلها وملكها، وهرب ابن بختيار فاختار الوزير من أصحابه ثلثمائة رجل وسار في أتباعه، وترك باقي العسكر بجيرفت. ولما أدركه أوقع به، وغدر بابن بختيار بعض أصحابه فقتله وجاء برأسه الى الموفق، واستلحم الباقين وذلك سنة تسعين. واستولى الموفق على كرمان وولّى عليها أبا موسى سياه جشم. وعاد الي بهاء الدولة فقبض عليه واستصفاه، وكتب الى وزيره سابور بالقبض على أنسابه وأصحابه فدس اليهم سابور بذلك وهربوا. ثم قتل بهاء الدولة الموفق سنة أربع وسبعين وثلثمائة، ثم استعمل بهاء الدولة على خوزستان وأعمالها أبا علي الحسن بن استاذ هرمز، ولقبه عميد الجيوش، وعزل عنها أبا جعفر الحجاج بن هرمز لسوء سيرته وفساد أحوالها بولايته وكثرة مصادراته فصلحت حالها بولاية أبي علي، وحصل الى بهاء الدولة منها الاموال مع كثرة العدل.

مسير ظاهر بن خلف الى كرمان واستيلاؤه عليها ثم ارتجاعها

قد تقدّم لنا أن ظاهر بن خلف خرج عن طاعة أبيه خلف ابن أحمد السِجِسْتاني، وحاربه فظفر به أبوه فسار الى كرمان يروم التوثب عليها، وتكاسل عاملها عن أمره فكثر جمعه، واجتمع اليه

بجبالها كثير من المخالفين فنزل بهم الى جيرفت فملكها وملك غيرها سنة احدى وتسعين. وكان بكرمان أبو موسى سياه جشم فسار اليه بمن معه من الديلم فهزمه ظاهر، وأخذ ما بقي بيده فبعث بهاء الدولة أبا جعفر استاذ هرمز في العساكر الى كرمان فهزم ظاهراً الى سجستان وملك كرمان وعادت الديلم.

حروب عساكر بهاء الدولة مع بني عقيل

كان قرواش بن المقلّد قد بعث جمعاً من بني عقيل سنة ثلاث وتسعين فحاصروا المدائن، وبعث أبو جعفر الحجاج بن هرمز وهو ببغداد نائب لبهاء الدولة عساكره فدفعوهم عنها فاجتمع بنو عقيل وأبو الحسن بن مزيد من بني أسد وبرز اليهم الحجاج، واستدعى خفاجة من الشام وقاتلهم فانهزم واستبيح عسكره، وانهزم ثانياً وبرز اليهم فالتقوا بنواحي الكوفة فهزمهم وأثخن فيهم، ونهب من حلل بني يزيد ما لا يعبر عنه من العين والمصاغ والثياب.

الفتنة بين أبي علي وأبي جعفر

لما غاب أبو جعفر الحجاج عن بغداد قام بها العيّارون واشتدّ فسادهم، وكثر القتل والنهب فبعث بهاء الدولة أبا علي بن جعفر المعروف باستاذ هرمز لحفظ العراق فانهزم أبو جعفر بنواحي الكوفة مغضباً. ثم جمعوا الجموع من الديلم والاتراك والعرب

فانهزم أبو جعفر ، وأمن أبو علي جانبه فسار الى خوزستان ، وبلغ السوس فأتاه الخبر بأنّ أبا جعفر عاد الى الكوفة فكرّ راجعاً ، وعاد الحرب بينهم . وبينا هم على ذلك أرسل بهاء الدولة الى أبي علي يستدعيه سنة ثلاث وتسعين لحرب ابن واصل بالبصرة فسار اليه ، وكانت الحرب بينه وبين ابن واصل كما يأتي في أخبار ملوك البطيحة ، ورجع الى بغداد . ونزل أبو جعفر على فلح حامي طريق خراسان وأقام هنالك ، وكان فلح مبايناً لعميد الجيوش أبي علي . وتوفي سلخ سنة سبع وتسعين فولّى أبو عليّ مكانه أبا الفضل بن عنان ، وكان بهاء الدولة في محاربة ابن واصل بالبصرة فأتاهم الخبر بظهور بهاء الدولة عليه فأوهن ذلك منهم وافترقوا . ولحق ابن مزيد ببلده ؛ وسار أبو جعفر وابن عيسى الى حُلوان . وأرسل أبو جعفر في اصلاح حاله عند بهاء الدولة فأجابه الى ذلك ، وحضر عنده بتستر فاعرض عنه خوفاً ان يستوحش أبو علي . وحقد بهاء الدولة لبدر بن حسنويه فسار اليه ، وبعث اليه بدراً في المصالحة فقبله وانصرف ، وتوفي أبو جعفر الحجاج ابن هرمز بالاهواز سنة احدى وأربعمائة .

الفتنة بين مجد الدولة صاحب الري وبين أمه
واستيلاء ابن خالها علاء الدين بن كاكويه على أصفهان

قد تقدّم لنا ولاية مجد الدولة أبي طالب رستم بن فخر الدولة

على همذان وقرميس الى حدود العراق ، وتدبير الدولتين لأمّه وهي متحكمة عليها فلما وزر لمجد الدولة الخطير أبو علي بن علي ابن القاسم استمال الامراء عنها ، وخوف مجد الدولة منها فاسترابت وخرجت من الريّ الى القلعة فوضع عليها من يحفظها فأعملت الحيلة حتى لحقت ببدر بن حسنويه مستنجدة به . وجاءها ابنها شمس الدولة في عساكر همذان وسار معها بدر ، وذلك سنة سبع وتسعين فحاصروا اصفهان وملكوها عَنْوَةً . وعاد اليها الامر فاعتقلت مجد الدولة ، ونصبت شمس الدولة للملك ، ورجع بدر الى بلده . ثم بعد سنة استرابت بشمس الدولة فأعادت مجد الدولة الى ملكه . وسار شمس الدولة الى همذان ، وانتقض بدر بن حسنويه لذلك ، وكان في شغل بفتنة ولده هلال . واستمدّ شمس الدولة فأمدّه بعسكر وحاصر قم فاستصعبت عليه ، وكان علاء الدين أبو حفص بن كاكويه ابن خال هذه المرأة ، وكاكويه هو الخال بالفارسية فلذلك قيل له ابن كاكويه ، وكانت قد استعملته على اصفهان فلما فارق أمرها فسد حاله فسار هو الى بهاء الدولة بالعراق ، وأقام عنده فلما عادت الى حالها هرب أبو حفص اليها من العراق فأعادته الى أصفهان ، ورسخ فيها ملكه وملك بنيه كما يأتي في أخبارهم .

وفاة عميد العراق وولاية فخر الملك

كان أبو جعفر استاذ هرمز من حجاب عضد الدولة وخواصه وصير ابنه أبا علي في خدمة ابنه صمصام الدولة فلما قتل صمصام الدولة رجع الى بهاء الدولة. وبلغه ما وقع ببغداد في مغيبه من الهرج وظهور العيّارين فبعث بهاء الدولة مكانه على العراق فخر الملك أبا غالب، وأصعد الى بغداد فلقيه الكتاب والقوّاد والاعيان في ذي الحجة من السنة، وبعث العساكر من بغداد لقتال أبي الشوك حتى استقام. وكانت الفتنة قد وقعت بين بدر بن حسنويه وابنه هلال، واستنجد بدر بهاء الدولة فأنجده [1] من يده وأخذ ما فيها من الاموال؛ وفتح دير العاقول. وجاء سلطان وعلوان ورجب بنو ثمال الخفاجي في أعيان قومهم، وضمنوا حماية سقي الفرات من بني عقيل، وساروا معه الى بغداد فبعثهم مع ذي السعادتين الحسن بن منصور للانبار فعاثوا في نواحيها، وحبس ذو السعادتين نفراً منهم. ثم أطلقهم فهموا بقبضه، وشعر بهم فحاول عليهم حتى قبض على سلطان منهم وحبسهم ببغداد. ثم شفع فيهم أبو الحسن بن مزيد فاطلقهم فاعترضوا الحاج سنة

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٧ ص ٢٤٧ : وأرسل بدر إلى الملك بهاء الدولة يستنجده فجهز فخر الملك أبا غالب في جيش وسيره إلى بدر. وفي ص ٢٤٨ : فامتنعت أمه ومن بالقلعة من التسليم، وطلبوا الأمان فأمنهم فخر الملك وصعد القلعة ومعه أصحابه، ثم نزل.

اثنتين وأربعمائة، ونهبوهم فبعث فخر الملك الى أبي الحسن بن مزيد بالانتقام منهم فلحقهم بالبصرة فأوقع بهم وأثخن فيهم، واسترد من أموال الحاج ما وجد، وبعث به وبالاسرى الى فخر الملك. ثم اعترضوا الحاج مرّة أخرى ونهبوا سواد الكوفة فأوقع بهم أبو الحسن بن مزيد مثل ذلك وبعث بأسراهم الى بغداد.

وفاة بهاء الدولة وولاية ابنه سلطان الدولة

ثم توفي بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه، هلك بالعراق منتصف ثلاث وأربعمائة بارجان، وحمل الى تربة أبيه بمشهد عليّ فدفن بها لاربع وعشرين سنة من ملكه، وملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع وسار من أرجان الى شيراز، وولى أخاه جلال الدولة أبا ظاهر على البصرة وأخاه ابا الفوارس على كرمان.

استيلاء شمس الدولة على الري من يد أخيه مجد الدولة ورجوعه عنها

قد تقدّم لنا أن شمس الدولة بن فخر الدولة كان ملك همذان وأخوه مجد الدولة ملك الري بنظر أمّه، وكان بدر بن حسنويه أمير الاكراد وبينه وبين ولده هلال فتنة وحروب نذكرها في أخبارهم. واستولى شمس الدولة على كثير من بلادهم وأخذ ما فيها من الاموال كما يذكر في أخبارهم. ثم سار الى الريّ يروم

ملكها ففارقها أخوه مجد الدولة ومعه أمه الى دُنْباوَنْد. واستولى شمس الدولة على الريّ، وسار في طلب أخيه وأمه فشغب الجند عليه وطالبوه بأرزاقهم فعاد الى همذان، وعـاد أخوه مجد الدولة وأمه الى الريّ.

مقتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان

ثم قبض سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر الملك أبي غالب، وقتله في سلخ ربيع الاول سنة ست وأربعمائة لخمس سنين ونصف من ولايته، واستصفى أمواله وكانت الف ألف دينار سوى العروض وما نهب. وولى مكانه بالعراق أبا محمد الحَسَن ابن سَهْلان ولقَّبه عميد الجيوش، واستوزر مكانه الرّجحي بعد ان كان ابن سهلان هرب الى قرواش فأقـامه عنده بهيت، وولى سلطان الدولة مكانه في الوزارة أبا القاسم جَعْفَرْ بن فَسانْجَس. ثم رجع ابن سهلان الى سلطان الدولة فلـا قتل فخر الملك ولاه مكانه فسار الى العراق في محرّم سنة تسع وأربعمائة، ومرّ في طريقه ببني أَسَد فرأى أن يثأر منهم من مُضَر بن دبيس بما كان قبض عليه قديماً بأمر فخر الملك فأسرى اليه، والى أخيه مُهارِش، وفي جملته أخوهم طِراد، وأتبعها حتى أدركها، وقاتله رجال الحيّ فقتل جماعة من الديلم والاتراك. ثم انهزموا ونهب ابن سهـلان أموالهم وسبى حريهم، وبذل الامان لمضر ومهارش، وأشرك بينهما وبين طراد في الجزيرة.

ونكر عليه سلطان الدولة ذلك، ورحل هو الى واسط والفتن بها فقتل جماعة منهم وأصلحها، وبلغه ما ببغداد من الفتنة فسار اليها ودخلها في ربيع من السنة، وهرب منه العيارون، ونفى جماعة من العباسيين وأبا عبدالله بن النُعْمان فقيه الشيعة، وأنزل الديلم بأطراف البلد فكثر فسادهم وفساد الاتراك، وساروا الى سلطان الدولة بواسط شاكين من ابن سهلان فوعدهم وأمسكهم، وبعث عن ابن سهلان فارتاب وهرب الى بني خفاجة، ثم الى الموصل، ثم استقرّ بالبَطيحَة. وبعث سلطان الدولة العساكر في طلبه فأجاره واليها الشَرابي، وهزم العساكر. وكان ابن سهلان سار الى جلال الدولة بالبصرة، ثم أصلح الرَجَحيّ حاله مع سلطان الدولة ورجع اليه. وضعف أمر الديلم في هذه السنة ببغداد وواسط، وثارت لهم العامّة فلم يطيقوا مدافعتهم.

ثم قبض سلطان الدولة على وزيره فسانجس وأخويه، واستوزر أبا غالب ذا السعادتين الحسن بن منصور. وقبض جلال الدولة صاحب البصرة على وزيره أبي سَعْد عبد الواحد علي ابن ماكولا.

انتقاض أبي الفوارس على أخيه سلطان الدولة

كان سلطان الدولة قد ولى أخاه أبا الفوارس على كرمان فاجتمع اليه بعض الديلم، وداخلوه في الانتقاض فانتقض، وسار الى شيراز فملكها سنة سبع وأربعمائة. وسار سلطان الدولة فهزمه

الى كرمان، وسار في اتباعه فلحق بمحمود بن سَبُكْتَكين يَسْت ووعده بالنصرة، وبعث معه أبا سعيد الطائي في العساكر الى كرمان، وقد انصرف عنها سلطان الدولة الى بغداد فملكها أبو الفوارس، وسار الى بلاد فارس فملكها، ودخل الى شيراز فسار سلطان الدولة اليه فهزمه فعاد الى كرمان سنة ثمان وأربعمائة. وبعث سلطان الدولة في أثره فملكوا عليه كرمان، ولحق بشمس الدولة صاحب همذان لانه كان أساء معاملة أبي سعيد الطائي فلم يرجع الى محمود بن سبكتكين. ثم فارق شمس الدولة الى مهذب الدولة صاحب البَطيحَة فبالغ في تكرمته، وأنزله بداره. وأنفذ اليه أخوه جلال الدولة مالاً وعرض عليه المسير اليه فأبى. ثم تردّدت الرسل بينه وبين أخيه سلطان الدولة فعاد الى كرمان، وبعث اليه التقليد والخلع.

وثوب مشرف الدولة على أخيه سلطان الدولة ببغداد واستبداده اخرا بالملك

ثم شغب الجند على سلطان الدولة ببغداد سنة احدى عشرة، ونادوا بولاية مُشَرِّف الدولة أخيه فهم بالقبض عليه فلم يتمكن من ذلك. ثم أراد الانحدار الى واسط لبعض شؤن الدولة فطلب الجند ان يستخلف فيهم أخاه مشرف الدولة فاستخلفه. ورجع من واسط الى بغداد. ثم اعتزم على قصد الأهواز فاستخلف أخاه مشرّف الدولة ثانياً على العراق بعد ان كانا تحالفا ان لا يستخلف

أحد منها ابن سهلان. فلما بلغ سلطان الدولة تُسْتَر استوزر ابن سهلان فاستوحش من مشرف الدولة.

ثم بعث سلطان الدولة الى الاهواز فنهبوها فدافعهم الاتراك الذين بها، وأعلنوا بدعوة مشرف الدولة فانصرف سلطان الدولة عنهم. ثم طلب الديلم من مشرف الدولة المسير الى بيوتهم بخوزستان فأذن لهم، وبعث معهم وزيره أبا غالب ولحق الاتراك الذين كانوا معه بطراد بن دبيس الأَسَدِي بجزيرة بني دبيس وذلك لسنة ونصف من ولايته الوزارة، وصودر ابنه أبو العباس على ثلاثين الف دينار، وسرّ سلطان الدولة بقتل أبي غالب، وبعث أبا كاليجار الى الاهواز فملكها. ثم تراسل سلطان الدولة ومشرف الدولة في الصلح وسعى فيه بينهما أبو محمد بن مكرم صاحب سلطان الدولة، ومؤيد الملك الرجحي وزير مشرف الدولة: على ان يكون العراق لمشرف الدولة، وفارس وكرمان لسلطان الدولة. وتم ذلك بينهما سنة ثلاث عشرة.

استيلاء ابن كاكويه على همذان

كان شمس الدولة بن بُوَيه صاحب هَمَذان قد توفي، وولي مكانه ابنه سماء الدولة. وكان فِرْهادُ بن مَرْداويج مُقْطِعَ يَزْدَجِرْد فسار اليها سماء الدولة، وحاصره فاستنجد بعلاء الدولة بن كاكُوَيه فأنجده بالعساكر، ودفع سماء الدولة عن فرهاد. ثم سار علاء الدولة

وفرهاد الى هَمَذان وحاصراها ، وخرجت عساكر همذان مع عساكر تاج الملك الفوهي قائد سماء الدولة فدفعهم ، ولحق علاء الدولة بجَرْباذَقان فهلك الكثير من عسكره بالبرد . وسار تاج الملك الفوهي الى جرباذقان فحاصر بها علاء الدولة، حتى استمال بها قوماً من الاتراك الذين مع تاج الملك . وخاص من الحصار وعاود المسير الى همذان فهزم عساكرها . وهرب القائد تاج الملك . واستولى علاء الدولة على سماء الدولة فأبقى عليه رسم الملك ، وحمل اليه المال ، وسار فحاصر تاج الملك في حِصْنِه حتى استأمن اليه فأمّنه وسار به وبسماء الدولة الى همذان فملكها ، وملك سائر أعمالها . وقبض على جماعة من امراء الديلم فحبسهم وقتل آخرين وضبط الملك ، وقصد أبا الشَوْك الكُرْدِي فشفع فيه مشرف الدولة فشفعه وعاد عنه، وذلك سنه أربع عشرة .

وزارة أبي القاسم المغربي لمشرف الدولة ثم عزله

كان عنبر الخادم مستولياً على دولة مشرف الدولة بما كان حظِيّ أبيه وجده ، وكان يُلَقَّب بالاثير ، وكان حاكماً في دولة بني بُوَيْه مسموع الكلمة عند الجند. وعقد الوزير مؤيد الملك الرَجَحي على بعض اليهود من حواشيه مائة الف دينار فسعى الاثير الخادم وعزله في رمضان سنة أربع عشرة ، واستوزر لناصر الدولة بن حمدان ، ونزع عنه الى خلفاء العُبَيْدِيّين ، وولاه الحاكم بمصر .

وولد له بها ابنه أبو القاسم الحسين ، ثم قتله الحاكم فهرب ابنه أبو القاسم الى مُفَرّج بن الجَرّاح أمير طَيِّيء بالشام ، وداخله في الانتقاض على العبيديين بأبي الفتوح أمير مكة فاستقدمه وبايع له بالرملة . ثم صونع من مصر بالمال فانحلّ ذلك الأمر ، ورجع أبو الفتوح الى مكة ، وقصد أبو القاسم العراق واتصل بالعميد فخر الملك أبي غالب فأمره القادر بابعاده فقصد الموصل ، واستوزره صاحبها . ثم نكبه وعاد الى العراق . وتقلب به الحال الى أن وزر بعد مُؤَيِّد الملك الرجحي فساء تصرّفه في الجند ، وشغب الاتراك عليه وعلى الاثير عنبر بسببه فخرجا الى السِّنْدِيَّة ، وخرج معهما مشرف الدولة فأنزلهم قرواش . ثم ساروا الى أوانا ، وندم الاتراك فبعثوا المرتضى وأبا الحَسَن الزَّيْنَبي يسألون الاقاله ، وكتب اليهم أبو القاسم المغربي بأنّ أرزاقكم عند الوزير مكراً به . وشعر بذلك فهرب الى قرواش لعشرة أشهر من وزارته ، وجاء الاتراك الى مشرف الدولة والاثير عنبر فردّهما الى بغداد .

وفاة سلطان الدولة بفارس وملك ابنه أبي كليجار وقتل ابن مكرم

ثم توفي سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة صاحب فارس بشيراز ، وكان محمد بن مُكَرَّم صاحب دولته ، وكان هواه مع ابنه أبي كليجار وهو يومئذ أمير على الاهواز فاستقدمه للملك بعد أبيه . وكان هوى الاتراك مع عمه أبي الفَوارِس صاحب

كرمان فاستقدموه . وخشي محمد بن مكرم جانبه ، وفرّ عنه أبو المكارم الى البصرة ، وسار العادل أبو منصور بن مافِنَّة الى كرمان لاستقدام أبي الفوارس ، وكان صديقاً لابن مكرم[1] فحسن أمره عند أبي الفوارس ، وأحال الاجناد بحق البيعة على ابن مكرم فضجر وماطلهم فقبض عليه أبو الفوارس وقتله ، ولحق ابنه القاسم بأبي كليجار بالاهواز فتجهز الى فارس ، وقام بتربيته بابن مزاحم[2] صندل الخادم .

وسار في العساكر الى فارس ولقيهم أبو منصور الحسن بن علي النَسوي وزير أبي الفوارس فهزمـوه وغنموا معسكره . وهرب أبو الفوارس الى كرمان وملك أبو كليجار شيراز واستولى على بلاد فارس . وتنكر للديلم الذين بها فبعثوا الى من كان منهم بمدينة نَسا فتمسكوا بطاعة أبي الفوارس . ثم شغب عسكر أبي كليجار عليه ، وطالبوه بالمال فظاهرهم الديلم فسار الى النُوبَنْدجان ثم الى شعْبِ بَوّان . وكاتب الديلم بشيراز أبا الفوارس يستحثُونـه . ثم أصلحوا بينهما عـلى أن تكون لابي الفوارس

(١) تقدم أنه يخشى جـانبه، وأن هـواه مع أبي كليجـار، ويظهـر أن هنا عبـارة ناقصـة. وفي الكامل ج ٧ ص ٣١٧ : فقال له العادل أبو منصـور بن مافنـه : الصلحة أن تقصـد سيراف وتكـون مالك أمرك، وابنك أبو القاسم بعمان فتحتاج الملوك إليـك، فركب سفينـة ليمضي إليه فـأصابـه برد فبطل عن الحركة، وأرسل العادل بن مافنة إلى كرمان لإحضار أبي الفوارس.

(٢) كذا. ولم نجد معنى لكلمة تربية هنا، والعبارة بصورة عامة مشـوشة. وهنـا أيضاً عبـارة ساقطة، وفي الكـامل : وتجهـز أبو كـاليجار وقـام بأمـره أبو مـزاحم صندل الخـادم، وكان مـربيه، وساروا بالعساكر إلى فارس.

كرمان ، ويعود أبو كليجار لفارس لما فارقه بها من نعمته. وكان الديلم يطيعونه فساروا في العساكر وهزموا أبا الفوارس فلحق بدارابجرد ، واستولى أبو كليجار على فارس. ثم زحف اليه أبو الفوارس في عشرة آلاف من الاكراد فاقتتلوا بين البيضاء واصطَخر فانهزم أبو الفوارس ولحق بكرمان ، واستولى أبو كليجار على فارس ، واستقرّ ملكه بها سنة سبع عشرة وأربعمائة.

وفاة مشرف الدولة وملك أخيه جلال الدولة

ثم توفي مشرّف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة بن بويه سلطان بغداد في ربيع الاوّل سنة ست عشرة وأربعمائة لخمس سنين من ملكه. ولما توفي خطب ببغداد لأخيه جلال الدولة وهو بالبصرة ، واستقدم فلم يقدم ، وانتهى الى واسط فأقام بها يخطب لأبي كليجار ابن أخيه سلطان الدولة ، وهو يومئذ بخوزستان مشغول بحرب عمه أبي الفوارِس كما قدّمناه. فحينئذٍ أسرع جلال الدولة من واسط الى بغداد فسار الجند ولقوه بالنهروان وردّوه كرهاً بعد أن نهبوا بعض خزائنه ، وقبض على وزيره أبي سعيد ابن ماكولا ، واستوزر ابن عمه أبا علي ، واستحث الجند أبا كليجار فعلّلهم بالوعد وشغل بالحرب ، وكثر الهرج ببغداد من العيّارين وانطلقت أيديهم وأحرقوا الكرخ ، ونهاهم الامير عنبر

عن ذلك فلم ينتهوا فخافهم على نفسه فلحق بقرواش في الموصل، وعظمت الفتن ببغداد.

استيلاء جلال الدولة على ملك بغداد

ولما عظم الهرج ببغداد ورأى الاتراك أنّ البلاد تخرب، وانّ العرب والأكراد والعامّة قد طمعوا فيهم ساروا جميعاً الى دار الخلافة مُسْتَعْتِبِين ومُعْتَذِرين عما صدر منهم من الانفراد باستقدام جلال الدولة، ثم ردّه واستقدام أبي كليجار، مع أنّ ذلك ليس لنا وانما هو للخليفة، ويرغبون في استدعاء جلال الدولة لتجتمع الكلمة ويسكن الهرج، ويسألون أن يستخلف فأجابهم الخليفة القادر، وبعث الى جلال الدولة فسار من البصرة فبعث الخليفة القاضي أبا جعفر السَمناني لتلقيه، ويستخلفه لنفسه فسار ودخل بغداد سنة ثمان عشرة وركب الخليفة لتلقيه. ثم سار الى مَشْهَد الكاظم ورجع، ودخل دار الملك، وأمر بضرب النوب الخمس فراسله القادر في قطعها فقطعها غضباً، ثم أذن له في اعادتها، وبعث جلال الدولة مؤيد الملك أبا علي الرجحي الى الاثير عنبر الخادم عند قرواش بالتأنيس والمحبة والعذر عن فعل الجند.

أخبار ابن كاكويه صاحب أصفهان مع الاكراد ومع الاصبهبد

كان علاء الدولة بن كاكويه قد استعمل أبا جعفر علياً ابن

عمه علي نيسابور خوست ونواحيها ، وضمّ اليه الاكراد الجودرقان ومقدّمهم ابو الفرج البابوني . فجرت بين أبي جعفر وأبي الفَرَج البابوني مشاجرة ، وترافعا اليه فأصلح بينهما علاء الدولة وأعادهما . ثم قتل أبو جعفر أبا الفرج فانتقض الجودرقان وعظم فسادهم فبعث علاء الدولة عسكراً وأقاموا أربعة أيام ثم فقدوا الميرة ، وجاء علاء الدولة وأعطاهم المال فافترقوا واتبعهم . وجاء اليه بعض الجودرقان وانتهى في اتباعهم الى وفد وقاتلوه عندها فهزمهم وقتل ابني ولكين في المعركة ، ونجا هو في الفَلّ الى جَرْجان ، وأسر الأَصْبَهْبَد وابنان له ووزيره ، وهلك في الاسر منتصف سنة تسع عشرة . وتحصن عليّ بن عمران بقلعة كَنْكور فحاصره بهاء الدولة ، وصار ولكين الى صهره مَنوجهر قابوس وأطمعه في الدخكت . وكان ابنه صهر علاء الدولة على ابنته وأقطعه مدينة قم فعصى عليه ، وبعث الى أبيه ولكين . فسار بعساكره وعساكر منوجهر ، ونازلوا مجد الدولة بن بويه بالري ، وجرت بينهم وقائع فصالح علاء الدولة علي بن عمران ليسير اليهم فارتحلوا عن الري . وجاء علاء الدولة اليها وأرسل الى منوجهر يوبّخه ويتهدّده فسار منوجهر ، وتحصن بكنكور ، وقتل الذين قتلوا أبا جعفر ابن عمه وقبل الشرط[١] وخرج الى علاء الدولة

(١) الذي تقدم أن أبا جعفر قتل أبا الفرج وليس فيه إشارة إلى قتل أبي جعفر على أن في العبارة التي تليها نقصاً. فما الشرط؟ وعلى من فرض؟ ومن الذي قبله؟ هذه أسئلة يثيرها قوله: =

فأقطعه الدينَور عوضاً عن كنكور وأرسل منوجهر الى علاء الدولة في الصلح فصالحه .

دخول خفاجة في طاعة ابي كليجار

كان هؤلاء خفاجة وهم من بني عمرو بن عقيل موطنين بضواحي العراق ما بين بغداد والكوفة وواسط والبصرة، وأميرهم بهذه العصور منيع بن حَسَّان، وكانت بينه وبين صاحب الموصل منافسات جرّتها المناهضه والجوار فترددت الرسل بين السلم والحرب . وسار منيع بن حسان سنة سبع عشرة الى الجامعين من أعمال دبيس فنهبها ، وسار دبيس في طلبه ففارق الكوفة وقصد الانبار من أعمال قرواش فحاصرها أياماً ، ثم افتتحها وأحرقها . وجاء قرواش لمدافعته ومعه عريب بن معن فلم يجدوه فمضوا إلى القصر فخالفهم منيع الى الانبار فعاث فيها ثانية . فسار قرواش الى الجامعين واستنجد دبيس بن صدقة فسار معه في بني أسد ، ثم خاموا عن لقاء منيع فافترقوا ورجع قرواش الى الانبار فأصلحها

=«وقبل الشرط، وخرج إلى علاء الدولة». وتبقى بلا جواب .

وفي الكامل ج ٧ ص ٤٢٩ : تحصن ابن عمران، وجمع عنده الذخائر بكنكور، وقصده علاء الدولة وحصره وضيق عليه ففني ما عنده، فأرسل يطلب الصلح فاشترط علاء الدولة أن يسلم قلعة كنكور والذين قتلوا أبا جعفر ابن عمه، والقائد الذي سيره إليه منوجهر، فأجابه إلى ذلك وسيرهم إليه، فقتل قتلة ابن عمه وسجن القائد وتسلم القلعة، وأقطع علياً عوضاً عنها مدينة الدينور. وأرسل منوجهر إلى علاء الدولة فصالحه فأطلق صاحبه.

ورمّ أسوارها . وكان دبيس وقرواش في طاعة جلال الدولة فسار منيع بن حسان الى أبي كليجار بالاهواز فأطاعه وخلع عليه ، ورجع الى بلده يخطب له بها .

شغب الاتراك على جلال الدولة

ولما استقل جلال الدولة بملك بغداد ، وكثر جنده من الاتراك واتسعت أرزاقهم من الديوان ، وكان الوزير أبو علي بن ماكولا فطالبوه بأرزاقهم فعجز عنها ، وأخرج جلال الدولة صياغات وباعها وفرّقها في الجند . ثم ثاروا عليه وطالبوه بأرزاقهم وحصروه في داره حتى فقد القوت والماء . وسأل الانزال الى البصرة وخرج بأهله ليركب السفن الى البصرة ، وقد ضرب سرادقاً على طريقهم ما بين داره والسفن فقصد الاتراك السرادق فامتعض جلال الدولة لحريمه ، ثم نادى في الناس وخرج الجند ونادوا بشعاره ثم شغبوا عليه بعد أيام قلائل في طلب أرزاقهم ، واضطرّ جلال الدولة الى بيع ملبوسه وفرشه وخيامه ، وفرّق أثمانها فيهم . وعزل جلال الدولة وزيره أبا علي واستوزر أبا طاهر ، ثم عزله بعد أربعين يوماً وولى سعيد بن عبد الرحيم وذلك سنة تسع عشرة .

استيلاء ابي كليجار على البصرة ثم على كرمان

ولما أصعد جلال الدولة الى بغداد استخلف على البصرة ابنه

الملك العزيز أبا منصور ، وكان بين الاتراك وبين الديلم من الفتنة ما ذكرناه فتجددّت بينهم الفتنة فغلب الأتراك، وأخرجوا الديلم الى الأُبلّة مع بختيار بن علي فسار إليهم الملك العزيز ليرجعهم فحاربوه ، ونادوا بشعار أبي كليجار بن سلطان الدولة وهو بالاهواز فعاد منهزماً . ونهب الديلم الأُبلّة ، ونهب الاتراك البصرة . وبلغ الخبر الى أبي كليجار فبعث من الاهواز عسكراً الى بختيار والبصرة والديلم فقاتلوا الملك العزيز وأخرجوه فلحق بواسط ، وملكوا البصرة ونهبوا أسواقها سنة تسع عشرة ، وهم جلال الدولة بالمسير اليهم وطلب المال للجند ، وشغل بمصادرة أرباب الاموال . وبلغ خبر استيلاء أبي كليجار على البصرة الى كرمان ، وكان بها عمه قوام الدولة أبو الفوارس، وقد تجهز لقصد بلاد فارس فأدركه أجله فمات فنادى أصحابه بشعار أبي كليجار واستدعوه فسار ملك بلاد كرمان ، وكان أبو الفوارس سيء السيرة في رعيته وأصحابه .

قيام بني دبيس بدعوة أبي كليجار

كانت جزيرة بني دبيس بنواحي خوزستان لطراد بن دبيس وغلب عليه فيها منصور وخطب فيها لابي كليجار ، ومات طراد فسار الى منصور ابنه علي واستنجد جلال الدولة عليه فأمدّه بعسكر من الاتراك وسار عجلاً . واتفق أن أبا صالح كوكين

هرب من جلال الدولة الى أبي كليجار فأراد ان يفتتح طاعته باعتراض أصحاب جلال الدولة فسار الى منصور بالجزيرة. وخرجوا لقتال علي بن طراد ولقوه ببرود فهزموه وقتلوه، واستقرّ منصور بالجزيرة على طاعة أبي كليجار.

استيلاء أبي كليجار على واسط ثم انهزامه وعودها لجلال الدولة

ثم ان نور الدولة دبيس (1) على صاحب حلب والنيل خطب لابي كليجار في أعماله لما بلغه ان ابن عمه المقلد بن الحسن ومنيع بن حسان أمير خفاجة سارا مع عساكر بغداد اليه، فخطب هو لأبي كليجار. واستدعاه فسار من الاهواز الى واسط، وقد كان لحق بها الملك العزيز بن جلال الدولة ومعه جماعة من الاتراك. فلما وصل أبو كليجار فارقها الملك العزيز الى النُعْمانيّة واستولى أبو كليجار على واسط. ووفد عليه دبيس وبعث الى قرواش صاحب الموصل والاثير عنبر عنده، وأمرهما ان ينحدرا الى العراق فانحدرا، ومات الاثير عنبر بالكحيل. ورجع قرواش وجمع جلال الدولة العساكر واستنجد أبا الشوك وغيره وسار الى واسط، وضاقت عليه الامور لقلة المال.

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٧ ص ٣٣٧: في هذه السنة أصعد الملك أبو كاليجار إلى مدينة واسط فملكها، وكان ابتداء ذلك أن نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد صاحب حلب والنيل خطب لأبي كاليجار في أعماله.

وأشار عليه أصحابه بمخالفة أبي كليجار إلى الأهواز لأخذ أمواله، وأشار أصحاب أبي كليجار بمخالفة جلال الدولة إلى العراق. وبينما هم في ذلك جاءهم الخبر من أبي الشوك بمسير عساكر محمود بن سَبَكْتَكين الى العراق ويشير باجماع الكلمة. وبعث أبو كليجار بكتابه الى جلال الدولة فلم يعرج عليه. وسار إلى الأهواز ونهبها وأخذ من دار الامارة خاصة مائتي الف دينار سوى أموال الناس، وأخذت والدة أبي كليجار وبناته وعياله وحملن إلى بغداد. وسار جلال الدولة لاعتراضه، وتخلف عنه دبيس بن مَزْيَد خشية أحيائه من خفاجة، والتقى أبو كليجار وجلال الدولة في ربيع سنة احدى وعشرين فاقتتلوا ثلاثاً. ثم انهزم أبو كليجار وقتل من أصحابه نحو من الفين ورجع الى الاهواز. وأتاه العادل بن مافنّه بمال أنفقه في جنده، ورجع جلال الدولة الى واسط واستولى عليها وأنزل ابنه العزيز بها ورجع.

استيلاء محمود بن سبكتكين صاحب خراسان على بلاد الري والجبل وأصفهان

كان مجد الدولة بن فخر الدولة متشاغلاً بالنساء والعلم، وتدبير ملكه لأمّه[1] وتوفيت سنة تسع عشرة فاختلفت أحواله وطمع فيه جنده فكتب الى محمود بن سبكتكين يشكو اليه فبعث

(١) كذا، وفي الكامل ج ٧ ص ٢٣٥ : وكان متشاغلاً بالنساء ومطالعة الكتب ونسخها وكانت والدته تدبّر مملكته.

اليه عسكراً مع حاجبه، وأمره بالقبض عليه فركب مجد الدولة لتلقيه فقبض عليه وعلى ابنه أبي دُلَف، وطير بالخبر الى محمود فجاء الى الري ودخلها في ربيع الآخر سنة عشرين، وأخذ منها مال مجد الدولة الف الف دينار، ومن الجواهر قيمة خمسمائة الف دينار، وستة آلاف ثوب ومن الحرير والآلات ما لا يحصى. وبعث بمجد الدولة الى خُراسان فاعتقل بها. ثم ملك قَزْوين وقلاعها، ومدينة ساوة وآوة ويافث، وقبض على صاحبها ولكين وبعث به الى خراسان، وقتل من الباطنية خلقاً، ونفى المعتزلة الى خراسان وأحرق كتب الفلسفة والاعتزال والنجامة. وملك حدود ارمينية، وخطب له علاء الدولة بن كاكويه بأصفهان، واستخلف على الري ابنه مسعوداً فافتتح زَنجان وأبهر، ثم ملك أصفهان من يد علاء الدولة، واستخلف عليها بعض أصحابه فثار به أهل أصفهان وقتلوه فسار اليها وفتك فيهم، ويقال قتل منهم خمسة آلاف قتيل وعاد الى الري فأقام بها.

أخبار الغز بالري وأصفهان وأعمالها وعودهما الى علاء الدولة

قد تقدم لنا في غير موضع بداية هؤلاء الغز، وأنهم كانوا بمفازة بخارى وكانوا فريقين أصحاب ارسلان بن سلجوق وأصحاب بني اخيه ميكائيل بن سلجوق، وان يمين الدولة محمود بن سبكتكين لما ملك بخارى وما وراء النهر قبض على ارسلان بن

سلجوق، وسجنه بالهند ونهب أحياءه. ثم نهض الى خراسان ولحق بعضهم بأصفهان، وبعث محمود في طلبهم الى علاء الدولة بن كاكويه فحاول على أخذهم، وشعروا ففرّوا الى نواحي خراسان، وكثر عيثهم فأوقع بهم تاش الفوارس قائد مسعود بن سبكتكين فساروا الى الري قاصدين أذربيجان، وكانوا يسمون العراقية، وكان امراء هذه الطائفة كوكتاش ويرفأ وقزل ويعمر وناصفلي، فلما انتهوا الى الدامغان خرج اليهم عسكرها فلم يطيقوا دفاعهم فتحصنوا بالجبل.

ودخل الغز البلد ونهبوه، ثم فعلوا في سمنان مثل ذلك، ثم في جوار الري وفي اسحاقاباذ وما جاورها من القرى. ثم ساروا الى مسكويه من أعمال الري فنهبوها وكان تاش الفوارس قائد بني سبكتكين بخراسان ومعه أبو سهل الحمدوني من قوادهم، فاستنجدوا مسعود بن سبكتكين وصاحب جَرجان وطَبَرستان فأنجداهم وقاتلا الغز فانهزما وقتل تاش الفوارس. وسار الى الري أبو سهل الحمدوني فهزموه وتحصن بقلعة طبرك، ودخل الغز الري ونهبوه، ثم قاتلوه ثانياً فأسر منهم ابن اخت لعمر من قوادهم فبذلوا فيه ثلاثين الف دينار وإعادة ما أخذوا من عسكر تاش من المال والاسرى فأبى أبو سهل من إطلاقه، وخرج الغز من الري ووصل عسكر جرجان، وقاتلوا الغز عندما قاربوا الري وأسروا

قائدهم وألفين معه، وساروا الى أذربيجان وذلك سنة سبع وعشرين.

ولما سار الغز الى أذربيجان سار علاء الدولة الى الري فدخلها بدعوة مسعود بن سبكتكين، وأرسل الى أبي سهل الحدوني ان يضمنه على البلد مالاً فأبى[1] فأرسل علاء الدولة يستدعي الغز فرجع اليه بعضهم وأقام عنده. ثم استوحشوا منه وعادوا الى العيث بنواحي البلاد فكرّر علاء الدولة مراسلة أبي سهل في الضمان ليكون في طاعة مسعود بن سبكتكين. وكان أبو سهل بطبرستان فأجابه وسار الى نيسابور، وملك علاء الدولة الري.

ثم اجتمع اهل أذربيجان لمدافعة الغز الذين طرقوا بلادهم وانتقموا من الغز فافترقوا فسارت طائفة الى الري ومقدّمهم يرفأ، وطائفة الى همذان ومقدّمهم منصور وكوكتاش فحاصروا بها أبا كاليجار بن علاء الدولة. وأنجده أهل البلاد على دفاعهم وطال حصارهم لهمذان حتى صالحهم أبو كليجار، وصاهر كوكتاش. وأمّا الذين

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ج ٧ ص ٣٣٩: فأرسل إلى أبي سهل الحمدوني يطلب منه أن يقرر الذي عليه بمال يؤديه فامتنع من إجابته مخافة علاء الدولة، فأرسل إلى الغز يستدعيهم ليعطيهم الاقطاع ويتقوى بهم على الحمدوني فعاد منهم نحو ألف وخمسمائة مقدمهم قزل وسار الباقون إلى أذربيجان فلما وصل الغز إلى علاء الدولة أحسن إليهم وتمسك بهم وأقاموا عنده. ثم ظهر على بعض القواد الخراسانية الذين عنده أنه دعا الغز إلى موافقته على الخروج عليه والعصيان فأرسل إليه علاء الدولة وأحضره وقبض عليه، وسجنه في قلعة طبرك فاستوحش الغز لذلك ونفروا، فاجتهد علاء الدولة في تسكينهم فلم يفعلوا وعاودوا الفساد والنهب وقطع الطريق وعاد علاء الدولة راسل أبا سهل الحمدوني ـ وهو بطبرستان ـ وقرر معه أمر الري ليكون في طاعة مسعود فأجابه إلى ذلك وسار إلى نيسابور وبقي علاء الدولة بالري.

قصدوا الري فحاصروا بها علاء الدولة بن كاكويه، وانضم اليهم فناخسرو بن مجد الدولة وكامد صاحب ساوة فطال حصارهم وفارق البلد في رجب ليلا الى أصفهان، وأجفل أهل البلد وتمزقوا ودخلها الغز من الليل واستباحوها. وأتبع علاء الدولة جماعة منهم فلم يدركوه فعدلوا الى كرج ونهبوها، ومضى ناصفلي منهم الى قزوين فقاتلهم حتى صالحوه على سبعة آلاف دينار وصاروا الى طاعته. ولما ملكوا الري رجعوا الى حصار همذان ففارقها أبو كليجار وصحبه الوجوه والاعيان وتحصنوا بكنكون. وملك الغز همذان ومقدّمهم كوكتاش ومنصور ومعهم فناخسرو بن مجد الدولة في عدد من الديلم فاستباحوها، وبلغت سراياهم الى استراباذ وقرى الدينور وقاتلهم صاحبها أبو الفتح بن أبي الشوك فهزمهم، وأسر منهم حتى صالحوه على اطلاقهم فأطلقهم. ثم راسلوا أبا كليجار بن علاء الدولة في التقدم عليهم يدبر ملكهم بهمذان فلما جاءهم وثبوا به فنهبوا ماله وانهزم، وخرج علاء الدولة من أصفهان فوقع في طريقه بطائفة من الغز فظفر بهم ورجع الى أصفهان منصوراً. ولما أجاز الفريق الثاني من الغز السلجوقية من وراء النهر، وهم أصحاب طغرلبك وداود وجفر بيك وبيقوا وأخوهم ابراهيم نيال في العسكر لاتباع هؤلاء الذين بالري وهمذان، ساروا الى أذربيجان وديار بكر والموصل، وافترقوا عليها وفعلوا فيها الافاعيل كما تقدّم في أخبار قرواش صاحب

الموصل ، وابن مروان صاحب ديار بكر ، وكما يأتي في أخبار ابن وهشودان .

استيلاء مسعود بن سبكتكين على همذان وأصفهان والري ثم عودها الى علاء الدولة بن كاكويه

ولما فارق الغز همذان بعث اليها مسعود بن سبكتكين عسكراً فملكوها، وسار هو الى أصفهان فهرب عنها علاء الدولة واستولى على ما كان بها من الذخائر، ولحق علاء الدولة الى أبي كليجار بتستر يستنجده عقب انهزامه أمام جلال الدولة سنة احدى وعشرين كما قدّمنا فوعده بالنصر اذا اصطلح مع عمه جلال الدولة. ثم توفي محمود بن سبكتكين، ورجع مسعود من خراسان، وكان فناخسرو بن مجد الدولة معتصماً بعمران فطمع في الري وجمع جمعاً من الديلم والاكراد وقصدها فهزمه نائب مسعود بها، وقتل جماعة من عسكره وعاد الى حصنه. وعاد علاء الدولة من عند كليجار، وقد كان خائفاً من مسعود أن يسير اليهم ولا طاقة لهم به، فجاء بعد موت محمود، وملك أصفهان وهمذان والري، وتجاوز الى أعمال أنوشروان وسروا اليه بالري واشتدّ القتال، وغلبوه على الري ونهبوها ونجا علاء الدولة جريحاً الى قلعة فردخان على خمسة عشر فرسخاً من همذان فاعتصم بها، وخطب بالري وأعمال أنوشروان لمسعود بن سبكتكين، وولى عليها تاش الفوارس فأساء السيرة فولى علاء الدولة .

استيلاء جلال الدولة على البصرة ثم عودها لأبي كليجار

قد كنا قدّمنا أنّ جلال الدولة خالف أبا كليجار الى الاهواز، واتبعه أبو كليجار من واسط فهزمه جلال الدولة، ورجع الى واسط فارتجعها. وبُعِثَ أبو منصور بختيار بن علي نائباً لابي كليجار فبعث أربعمائة سفينة للقائهم مع عبدالله السراني الركازي[1] صاحب البطيحة فانهزموا، وعزم بختيار على الهرب. ثم ثبت وأعاد السفن لقتالهم والعسكر في البرّ، وجاء الوزير أبو علي لحربهم في سفينة فلما وصل نهر أبي الخصيب وبه عساكر بختيار رجع مهزوماً وتبعه أصحاب بختيار. ثم ركب بختيار بنفسه، وأخذوا سفن أبي علي كلها وأخذوه أسيراً. وبعثه بختيار الى أبي كليجار فقتله بعض غلمانه اطلع له على ريبة وخشية فقتله. وكان قد أحدث في ولايته رسوماً جائرة من المكوس، ويعيّن فيها[2]. ولما بلغ خبره الى جلال الدولة استوزر مكانه ابن عمه أبا سعيد عبد الرحيم، وبعث الاجناد لنصرة الذين كانوا معه فملكوا البصرة في شعبان سنة احدى وعشرين، ولحق بختيار بالأُبلّة في عساكره، واستمدّ أبا كليجار فبعث اليه العساكر مع وزيره ذي السعادات

---

(١) كذا، واسمه في الكامل: ابن المعبراني.

(٢) أي يخص بها أناساً دون غيرهم. وفي القاموس: عين تعييناً الشيء: خصصه من الجملة وأفرده.

أبي الفرج بن فسانجس فقاتلوا عساكر جلال الدولة بالبصرة ، فانهزم بختيار أوّلاً وأخذ كثير من سفنه . ثم اختلف أصحاب جلال الدولة بالبصرة وتنازعوا وافترقوا ، واستأمن بعضهم الى ذي السعادات فركبوا الى البصرة وملكوها وعادت لابي كاليجار كما كانت .

وفاة القادر ونصب القائم للخلافة

وفي ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة توفي الخليفة القادر لاحدى وأربعين سنة من خلافته ، وكان مهيباً عند الديلم والاتراك . ولما مات نصب جلال الدولة للخلافة ابنه القائم بأمر الله أبا جعفر عبدالله بعد أبيه ولقبه القائم وبعث القاضي أبا الحسن الماوردي الى أبي كاليجار في الطاعة فبايع ، وخطب له في بلاده ، وأرسل اليه بهدايا جليلة وأموال ، ووقعت الفتنة ببغداد في تلك الايام بين السنة الشيعة ، ونهبت دور اليهود واحرقت من بغداد أسواق ، وقتل بعض جباة المكس وثار العيارون . ثم همّ الجند بالوثوب على جلال الدولة ، وقطع خطبته ففرق فيهم الاموال فسكتوا . ثم عاودوا فلزم جلال الدولة الاصاغر فشكا من قواده الاكابر وهما بارسطغان وبلدوك ، وانهما استأثرا بالاموال فاستوحشا لذلك وطالبهما الغلمان بعلوفتهم وجراياتهم فسارا الى المدائن ، وندم الاتراك على ذلك . وبعث جلال الدولة مؤيد الملك الرجحي

فاسترضاهما ورجعا . وزاد شغب الجند عليه ونهبوا دوابه وفرشه وركب الى دار الخليفة مُغضباً من ذلك وهو سكران فلاطفه وردّه الى بيته . ثم زاد شغبهم وطالبوه في الدواب لركوبهم فضجر وأطلق ما كان في اسطبله من الدواب وكانت خمس عشرة وتركها عائرة ، وصرف حواشيه وأتباعه لانقطاع خزائنه فعوتب بتلك الفتنة، وعزل وزيره عميد الملك، ووزر بعده ابو الفتح محمد ابن الفضل أياماً، ولم يستقم امره فعزله ، ووزر بعده أبو اسحق ابراهيم بن أبي الحسين السهيلي وزير مأمون صاحب خوارزم وهرب لخمسة وعشرين يوماً .

وثوب الأتراك ببغداد بجلال الدولة بدعوة أبي كليجار ثم رجوعهم الى جلال الدولة

ثم تجدّدت الفتنة بين الاتراك وجلال الدولة سنة ثلاث وعشرين في ربيع الاوّل فأغلق بابه ، ونهب الاتراك داره ، وسلبوا الكتاب وأصحاب الدواوين . وهرب الوزير أبو اسحق السهيلي الى حيّ غريب بن محمد بن معن . وخرج جلال الدولة الى عكبرا وخطبوا لابي كاليجار ، واستدعوه من الاهواز فنعه العادل بن مافنّة الى أن يحضره بين قوادهم فعادوا الى جلال الدولة وتطارحوا عليه فعاد لثلاث وأربعين يوماً من مغيبه . واستوزر أبا القاسم بن ماكولا ثم عزله لفتنة الاتراك به ، واطلاق بعض المصادرين من يده .

استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانيا ثم عودها لأبي كاليجار

ثم توفي أبو منصور بختيار بن علي نائب أبي كاليجار بالبصرة منتصف أربع وعشرين فقام مكانه صهره أبو القاسم لاضطلاعه وكفايته، واستبد بها، ونكر أبو كاليجار استبداده وبعث بعزله فامتنع، وخطب لجلال الدولة. وبعث لابنه يستدعيه من واسط فجاء وملك البصرة وطرد عساكر أبي كاليجار. ثم فسد ما بين أبي القاسم والعزيز واستجار منه بعض الديلم بالعزيز، وشكوا منه فأخرجه العزيز عن البصرة وأقام بالأُبلّة، ثم عاد الى محاربة العزيز حتى أخرجه عن البصرة، ورجع أبو القاسم الى طاعة أبي كاليجار.

اخراج جلال الدولة من دار الملك ثم عوده

وفي رمضان من سنة أربع وعشرين استقدم جلال الدولة الوزير أبا القاسم فاستوحش الجند، واتهموه بالتعرض لاموالهم فهجموا عليه في دار الملك، وأخرجوه الى مسجد في داره فاحتمل جلال الدولة الوزير أبا القاسم وانتقل الى الكرخ. وأرسل اليه الجند بأن ينحدر عنهم الى واسط على رسمه، ويقيم لامارتهم بعض ولده الاصاغر فأجاب، وبعث اليهم واستمالهم فرجعوا عن ذلك واستردّوه الى داره، وحلفوا له على المناصحة. واستوزر عميد

الدولة أبـا سعد سنة خمس وعشرين عوضاً من ابن ماكولا فاستوحش ابن ماكولا ، وسار الى عكبرا فردّه الى وزارته ، وعزل أبا سعد فبقي أياماً . ثم فارقها الى أوانا فأعاد أبا سعد عبد الرحيم الى وزارته . ثم خرج أبو سعد هارباً من الوزارة ولحق بأبي الشوك ، ووزر بعده أبو القاسم فكثرت مطالبات الجند له ، وهرب لشهرين فحمل الى دار الخلافة مكشوف الرأس ، وأعيد أبو سعد الى الوزارة وعظم فساد العيارين ببغداد . وعجز عنهم النوّاب فولي جلال الدولة البساسيري من قواد الديلم حماية الجانب الغربي ببغداد فحسن فيه غناؤه ، وانحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد حتى أغـار الاكراد والجند على بستان الخليفة ، ونهبوا ثمرته . وطلب أولئك الجند جلال الدولة فعجز عن الانتصاف منهم أو اسلامهم للخليفة فتقدّم الخليفة الى القضاة والشهود والفقهاء بتعطيل رسومهم فوجم جلال الدولة ، وحمل أولئك الجند بعد غيبتهم أياماً الى دار الخليفة فاعترضهم أصحابهم وأطلقوهم ، وعجز النوّاب عن اقامة الاحكام في العيارين ببغداد ، وانتشر العرب في ضواحي بغداد وعاثوا فيها حتى سلبوا النساء في المقابر عند جامع المنصور ، وشغب الجند سنة سبع وعشرين بجلال الدولة فخرج متنكراً في سيا بدويّ الى دار المرتضى بالكرخ ، ولحق منها برافع بن الحسين بن معن بتكريت ، ونهب الاتراك داره وخربوها . ثم أصلح القائم أمر الجند وأعاده .

فتنة باد سطفان ومقتله

قد قدّمنا ذكر بادسطفان هذا وانه من أكابر قواد الديلم ويلقب حاجب الحجاب، وكان جلال الدولة ينسبه لفساد الاتراك والاتراك ينسبونه الى احجاز الاموال فاستوحش واستجار بالخليفة منتصف سبع وعشرين فأجاره ، وكان يراسل أبا كاليجار ويستدعيه فبعث أبو كاليجار عسكراً الى واسط ، وثار معهم العسكر الذين بها وأخرجوا العزيز بن جلال الدولة الى بغداد ، وكشف بادسطفان القناع في الدعاء لابي كاليجار ، وحمل الخطباء على الخطبة لامتناع الخليفة منها . وجرت بينه وبين جلال الدولة حرب وسار الى الانبار ، وفارقه قرواش الى الموصل ، وقبض بادسطفان على ابن فسانجس فعاد منصور بن الحسين الى بلده . ثم جاء الخبر بأنّ أبا كاليجار سار الى فارس فانتقض عن بادسطفان الديلم الذين كانوا معه ، وترك ماله وخدمه وما معه بدار الخليفة القائم وانحدر الى واسط . وعاد جلال الدولة الى بغداد ، وبعث البساسيري وبني خفاجة في طلب بادسطفان ، وسار هو ودبيس في اتباعهم فلحقوه بالخيزرانية فقاتلوه وهزموه ، وجاؤا به أسيراً الى جلال الدولة ببغداد ، وطلب من القائم أن يخطب له ملك الملوك فوقف عن ذلك إلا أن يكون بفتوى الفقهاء فأفتاه القضاة أبو الطيب الطبري وأبو عبدالله الصيمري وأبو القاسم الكرخي بالجواز

ومنع أبو الحسن الماوردي ، وجرت بينهم مناظرات حتى رجحت فتواهم وخطب له بملك الملوك . وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة فخجل وانقطع عنه ثلاثة أشهر ، ثم استدعاه وشكر له ايثار الحق وأعاده الى مقامه .

مصالحة جلال الدولة وأبي كاليجار

ثم ترددّت الرسل بين جلال الدولة وأبي كاليجار ابن أخيه ، وتولى ذلك القاضي أبو الحسن الماوردي وأبو عبدالله المردوسي فانعقد بينهما الصلح والصهر لابي منصور بن أبي كاليجار على ابنة جلال الدولة ، وأرسل القائم الى أبي كاليجار بالخلع النفيسة .

عزل الظهير أبي القاسم عن البصرة واستقلال أبي كاليجار بها

قد قدّمنا حال الظهير أبي القاسم في ملك البصرة بعد صهره أبي منصور بختيار ، وانه عصى على أبي كاليجار بدعوة جلال الدولة . ثم عاد الى طاعته واستبد بالبصرة، وكان ابن أبي القاسم ابن مكرم صاحب عُمان يكاتب أبا الجيش وأبا كاليجار بزيادة ثلاثين ألف دينار في ضمان البصرة فأجيب الى ذلك، وجهز له أبو كاليجار العساكر مع العادل أبي منصور ابن مافنّة ، وجاء أبا الجيش بعساكره في البحر من عمان وحاصروا البصرة براً وبحراً وملكوها ، وقبض على الظهير واستصفيت أمواله وصودر على

تسعين ألفاً فحملها في عشرة أيام ، ثم على مائة ألف وعشرة آلاف فحملها كذلك ، ووصل الملك أبو كاليجار الى البصرة سنة احدى وثلاثين ، وأنزل بها ابنه عز الملوك والامير أبا الفرج فسانجس وعاد الى الاهواز ومعه الظهير أبو القاسم .

أخبار عمان وابن مكرم

قد قدّمنا خبر أبي محمد بن مكرم ، وانه كان مدبر دولة بهاء الدولة وقبله ابنه ابو الفوارس ، وانّ ابنه أبا القاسم كان اميراً بعمان منذ سنة خمس عشرة ، ثم توفي سنة احدى وثلاثين وخلف بنين أربعة وهم : أبو الجيش والمهذب وأبو محمد وآخر صغير لم يذكر اسمه . وكان علي بن هطال صاحب جيش أبي القاسم فأقرّه ابو الجيش، وبالغ في تعظيمه حتى كان يقوم له اذا دخل عليه في مجلسه فنكر ذلك المهذب على أخيه ، وحقدها له ابن هطال فعمل دعوة واستأذن أبا الجيش في احضار أخيه المهذب لها ، وأحضره وبالغ في خدمته حتى اذا طعموا وشربوا وانتشوا فاوضه ابن هطال في التوثب بأخيه أبي الجيش ، واستكتبه بما يوليه من المراتب ويعطيه من الاقطاع على مناصحته في ذلك . ثم وقف أبا الجيش على خطة أخبره أنه لم يوافقه ثم قال له : وبسبب ذلك كان نكيره عليك في شأني فقبض أبو الجيش على أخيه واعتقله ثم خنقه . ثم توفي أبو الجيش بعد ذلك بيسير وهمّ ابن هطال

بتولية أخيه محمد فأخفته أمّه حذراً عليه ، ورفعت الامر الى ابن هطال فولي عمان واساء السيرة وصادر التجار، وبلغ ذلك الى أبي كاليجار فأمر العادل أبا منصور بن مافنة أن يكاتب المرتضى نائب أبي القاسم بن مكرم بجبال عمان ، ويأمره بقصد ابن هطال في عمان . وبعث اليه العساكر من البصرة فسار الى عمان وحاصرها واستولى على أكثر أعمالها. ثم دسّ الى خادم كان لابن مكرم ، وصار لابن هطال ، وأمره باغتياله فاغتاله وقتله . ومات العادل أبو منصور بهرام بن مافنة وزير أبي كاليجار سنة ثلاث وثلاثين ، ووزر بعده مهذب الدولة وبعث لمدافعتهم عنها ، وكانوا يحاصرون جيرفت فأجفلوا عنها ، ولم يزل في اتباعهم حتى دخلوا المفازة ورجع مهذب الدولة الى كرمان فأصلح فسادهم .

وفاة جلال الدولة سلطان بغداد وولاية أبي كاليجار

ثم توفي جلال الدولة ببغداد في شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة لسبع عشرة سنة من ملكه وقد كان بلغ في الضعف وشغب الجند عليه واستبداد الامراء والنوّاب فوق الغاية . ولما توفي انتقل الوزير كمال الملك عبد الرحيم وأصحاب السلطان الاكابر الى حريم دار الخلافة خوفاً من الاتراك والعامّة ؛ واجتمع قواد العسكر فمنعوهم من النهب . وكان ابنه الاكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط فكاتبه الجند بالطاعة ، وشرطوا عليه

تعجيل حق البيعة فأبطأ عنهم. وبادر أبو كاليجار صاحب الاهواز فكاتبهم ورغبهم في المال وتعجيله فعدلوا عن الملك العزيز اليه . وأصعد بعد ذلك من الاهواز فلما انتهى الى النعمانية غدر به أصحابه فرجع الى واسط ، وخطب الجند ببغداد لابي كاليجار. وسار العزيز الى دبيس بن مزيد ، ثم الى قرواش بن المقلد بالموصل ثم فارقه الى أبي الشوك لصهر بينهما فغدر به ، وألزمه على طلاق بنته فسار الى ابراهيم نيال أخي طغرلبك . ثم قدم بغداد مختفياً يروم الثورة بقتل[1] بعض اصحابه ففر ولحق بنصير الدولة بن مروان فتوفي عنده بميافارقين ، وقدم أبو كاليجار بغداد في صفر سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وخطب له بها . واستقر سلطانه فيها بعد أن بعث بأموال فرقت على الجند ببغداد وبعشرة آلاف دينار وهدايا كثيرة للخليفة . وخطب له فيها أبو الشوك ودبيس بن مزيد كل بأعماله ولقبه الخليفة بمحيي الدولة . وجاء في قل من عساكره خوفاً أن يستريب به الاتراك فدخل بغداد في شهر رمضان ، ومعه وزيره أبو السعادات أبو الفرج محمد بن جعفر بن فسانجس ، واستعفى القائم من الركوب للقائه ، وتقدم باخراج عميه من بغداد فضيا الى تكريت ، وخلع على أصحاب الجيوش وهم البساسيري والساري والهمام أبو اللقاء وثبت قدمه في الملك.

---

(١) كذا. وينبغي: فقتل.

أخبار ابن كاكويه مع عساكر مسعود وولايته على أصفهان ثم ارتجاعه منها

قد تقدّم انهزام علاء الدولة بن كاكويه من الري ومسيره جريحاً -ومعه فرهاد بن مرداويج الذي جاءه الى قلعة فردخان مدداً وساروا منها الى يزدجرد ، واتبعهم علي بن عمران قائد تاش فرواش. وافترقوا من يزدجرد فمضى أبو جعفر الى نيسابور عند الاكراد الجردقان ، وصعد فرهاد الى قلعة سمكيس ، واستمال الاكراد الذين مع علي بن عمران وحملهم على الفتك به فشعر علي وسار الى همذان ، واتبعه فرهاد والاكراد فحصروه في قرية بطريقه فامتنع عليهم بكثرة الامطار ورجعوا عنه ، وبعث علي ابن عمران الى الامير تاش يستمدّه[1] وعلاء الدولة الى ابن أخيه بأصفهان يستمدّ المال والسلاح فاعترضه علي بن عمران من همذان ، وكبسه بجردقان وغنم ما معه وأسره ، وخالفه علاء الدولة وأقرّه على أصفهان على ضمان معلوم. وكذلك قابوس في جرجان وطَبَرِسْتان وولى على الري أبا سهل الحمدوني .

---

(١) العبارة غير مفهومة . ولا ندري ما علاقة علاء الدولة هنا. ومن الذي اعترضه عليّ بن عمران؟ ويظهر أن الضمير في كلمة «اعترضه» عائد على علاء الدولة. وذلك يعني - إذا أضيفت إليه بقية الضمائر الواردة في الأفعال الأخرى حتى تصل إلى «أسره» - أن علاء الدولة مأسور. فما معنى «خالفه» عندئذ ومن الذي أقر على أصفهان؟ وهكذا تبدو العبارة مشوشة ولا يمكن أن تؤدي المقصود بشكلها الحالي. ويظهر أن هنا عبارة ناقصة، وفي الكامل ج ٨ ص ٢ : وراسل عليّ بن عمران الأمير تاش فراش يستنجده ويطلب العسكر إلى همذان. ثم اجتمع فرهاد وعلاء الدولة في بيروجرد واتفقا على قصد همذان. وسير علاء الدولة إلى أصبهان وبها ابن أخيه يطلبه، وأمر بإحضار السلاح والمال ففعل.

وأمر تاش قرواش صاحب خُراسان بطلب شهربوس بن ولكين صاحب ساوة ، وكان يفسد السابلة ويعترض الحاج ، وسار الى الري وحاصرها بعد موت محمود فبعث تاش العساكر في أثره ، وحاصروه ببعض قلاع قم ، وأخذوه أسيراً فأمر بصلبه على ساوة ثم اجتمع علاء الدولة بن كاكويه وفرهاد بن مرداويج على قتال أبي سهل الحمدوني وقد زحف في العساكر من خراسان فقاتلاه ، وقتل فرهاد وانهزم علاء الدولة الى جبل بين اصفهان وجرجان فاعتصم به . ثم لحق بأيدج وهي للملك أبي كاليجار . واستولى أبو سهل على أصفهان ونهب خزائن علاء الدولة وحملت كتبه الى غزنة الى أن أحرقها الحسين بن الحسين الغوري ، وذلك سنة خمس وعشرين . ثم سار علاء الدولة سنة سبع وعشرين وحاصر أبا سهل في أصفهان ، وغدرته الاتراك فخرج الى يزدجرد ومنها الى الطرم فلم يقبله ابن السلار خوفاً من ابن سبكتكين فسار عنه . ثم غلبه طغرلبك على خراسان سنة تسع وعشرين وارتجعها مسعود سنة ثلاثين كما ذكرناه ونذكره .

وفاة علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه

ثم توفي علاء الدولة شهربان بن كاكويه في محرّم سنة ثلاث وثلاثين ، وقد كان عاد الى اصفهان عند شغل بن سبكتكين بفتنة طغرلبك فملكها . ولما توفي قام مكانه باصفهان ابنه الأكبر

ظهير الدين أبو منصور قرامرد . وسار ولده الآخر أبو كاليجار كرساسف الى نهاوند فملكها ، وضبط البلد وأعمال الجبل . وبعث أبو منصور قرامرد الى مستحفظ قلعة نظير التي كان فيها ذخائر أبيه وأمواله فامتنع بها وعصى ، وسار أبو منصور لحصاره ومعه أخوه أبو حرب فلحق أبو حرب بالمستحفظ ، ورجع أبو منصور الى اصفهان . وبعث أبو حرب الى السُلجوقيّة بالري يستنجدهم فسار طائفة منهم الى جَرْجان فنهبوها وسلموها لابي حرب . فسير أبو منصور العساكر وارتجعها فجَمع أبو حرب فهزموه ، وحاصروا أبا حرب بالقلعة فأسرى من القلعة ، ولحق بالملك أبي كاليجَار صاحب فارس ، واستنجَده على أخيه ابي منصور فأنجده بالعساكر وحاصروا أبا منصور واوقعوه عدّة وقائع ثم اصطلحوا آخراً على مال يحمله ابو منصور الى ابي كاليجَار ، وعاد ابو حرب الى قلعة نظيرا ، واشتدّ الحصار عليه . ثم صالح أخاه أبا منصور على ان يعطيه بعض ما في القلعة وتبقى له فاتفقا على ذلك . ثم سار ابراهيم نيال الى الري ، وطلب الموادعة من أبي منصور فلم يجبه فسار الى همذان ويزدجر فملكها وسعى الحسن الكيا في اتفاقه مع أخيه أبي حرب فاتفقا ، وخطب ابو حرب لاخيه ابي منصور في بلاده ، واقطعه ابو منصور همذان .

ثم ملك طغرلبك البلاد من يد ابن سبكتكين ، واستولى على خَوارَزم وجَرْجان وَطَبَرِستان . وكان ابراهيم نيال عندما استولى

طغرلبك على خراسان ، وهو أخوه لأمه ، تقدّم في عساكر السلجوقية الى الري فاستولى عليها . ثم ملك يزدجرد ، ثم قصد همذان سنة أربع وثلاثين ففارقها صاحبها [1] ابن علاء الدولة الى نيسابور وجاء ابراهيم الى همذان بطلب طاعتهم فشرطوا عليه استيلاءه على عساكر كرساسف فسار اليها ، وتحصن في سابور خواست ، وملك عليه البلاد وعاث في نواحيها ، وتحصن هو بالقلعة ، وعاد هو الى الري . وقد صمم طغرلبك على قصدها فسار اليه ، وترك همذان ، ورجع كرساسف ، وملك طغرلبك الري من يد ابراهيم .

وبعث الى سِجِسْتان ، وأمر بعمارة ما خرب من الري ، ووجد بدار الامارة مراكب ذهب مرصعة بالجواهر ، وبرنيتين من النحاس مملوءتين جواهر وذخائر مما سوى ذلك وأموالاً كثيرة . ثم ملك قلعة طَبَرَك من يد مجد الدولة بن بُوَيْه ، وأقام عنده مكرماً . وملك قزوين فصالحه صاحبها بثمانين ألف دينار وصار في طاعته . ثم بعث الى كركتاش وموقا من الغُزّ العراقيّة الذين تقدّموا الى الري ، واستدعاهم من نواحي جَرْجان فارتابوا وشردوا خوفاً منه ، ثم بعث الى ملك الديلم يدعوه الى الطاعة ويطلب منه المال فأجاب وحمل ، وبعث الى سلار الطرم بمثل ذلك فأجاب وحمل مائتي

(١) كذا بياض بالأصل، وفي تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ١٦٨ : كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكويه.

ألف دينار وقرّر عليه ضماناً معلوماً . ثم بعث السرايا الى أصفهان، وخرج من الري في اتباعها فصانعه قرامرد بالمال فرجع عنه . وسار الى همذان فملكها ، وقد كان سار اليــه كرساسف بن علاء الدولة وهو بالري فأطاعه ، وسار معه الى أَبْهَرْ وَزَنْجان فملكها، وأخذ منه همذان وتفرق عنه أصحابه .

وطلب منه طغرلبك قلعــة كشكور فأرسل الى مستحفظها بنزولهم عنها فامتنعوا ، واتبعه طغرلبك الى الري ، واستخلف على همذان ناصر الدين العلوي ، وكان كرساسف قــد قبض عليــه فأخرجه طغرلبك ، وجعله رديفاً للذي ولاه البلد من السلجوقية ،

ثم نزل كرساسف على كنكور سنة ست وثلاثين ، وجاء الى همذان فملكها وطرد عنها عمال طغرلبك . وخطب للملك أبي كاليجار فبعث طغرلبك أخاه ابراهيم نيال سنة سبع وثلاثين الى همذان ، ولحق كرساسف بشهاب الدولة أبي الفوارس منصور ابن الحسين صاحب جزيرة بني دبيس ، وارتــاع النــاس بالعراق لوصول ابراهيم نيال الى حُلوان . وبلغ الخبر الى أبي كاليجار فأراد التجمع لابراهيم نيال فمنعه قلّة الظهر .

وحدثت فتنة بين طغرلبك وأخيه ابراهيم نيال ، وأخذ الري وبلاد الجبل من يده . ثم سار الى أصفهان فحاصرها في محرّم سنة اثنين وأربعين ، وبعث السرايا فبلغت البيضاء ، وأقام يحاصرها حولا كاملًا حتى جهدهم الحصار ، وعدموا الاقوات وحرقوا

السقف لوقودهم حتى سقف الجامع . ثم استأمنوا وخرجوا اليه، وملك اصفهان سنة ثلاث وأربعين، وأقطع صاحبها أبا منصور وأجناده في بلاد الجيل . ونقل أمواله وسلاحه من الري اليها وجعلها كرسياً لملكه. وانقرضت دولة فخر الدولة بن بويه من الري واصفهان وهمذان . وبقي منهم بالعراق وفارس أبو كاليجار والبقاء لله وحده .

موت أبي كاليجار

ولما رأى أبو كاليجار استيلاء طغرلبك على البلاد، وأخذه الري واصفهان وهمذان والجيل من قومه، وازالة ملكهم راسله في الصهر والصلح، بأن يزوّجه ابنته، وزوّج داود أخو طغرلبك ابنته من أبي منصور بن أبي كاليجار، وانعقد ذلك بينهما في منتصف تسع وثلاثين . وكتب طغرلبك الى أخيه ابراهيم نيال عن العراق وأعماله [1] ابن سكرستان من الديلم، وقرّر عليه مالا فطاول في حمله، ورافع [2] فشكر له أبو كاليجار، وانتزع من من يده قلعة يزدشير وهي تعلقه، ثم استمال أجناده فقتلهم بهرام، واستوحش فسار اليه أبو كاليجار، وانتهى الى قصر مجامع من

(١) كذا بياض بالأصل، في تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ١٦٩ : وكان الملك أبو كاليجار سار إلى بلاد كرمان لخروج عامله بهرام الديلمي عن طاعته.
(٢) كذا، ومقتضى السياق: ثم رفع المال فشكر له أبو كاليجار.

خراسان فطرقه المرض ، وضعف عن الركوب فرجعوا به الى مدينة خبايا وتوفي بها في جمادى الاول سنة أربعين وأربعمائة لاربع سنين وثلاثة أشهر من ملكه العراق .

ولما توفي نهب الاتراك خزائنه وسلاحه ودوابه ، وانتقل ولده أبو منصور فلاستون الى مخيم الوزير ابي منصور وكانت منفردة عن العسكر فأقام عنده ، واختلف الاتراك والديلم واراد الاتراك نهب الامير والوزير فمنعهم الديلم ، واختلفوا الى شيراز فملكها الامير أبو منصور ، وامتنع الوزير بقلعة حزقة . وبلغ وفاة أبي كاليجار الى بغداد وبها ابنه أبو نصر فاستخلف الجند . وأمر القائم بالخطبة على عادة قومه . وسأل أن يلقب بالرحيم فمنع الخليفة من ذلك أدباً ، ولقبه به اصحابه واستقرّ بالعراق وخوزستان والبصرة . وكان بالبصرة أخوه أبو علي فأقره عليها . ثم بعث أخاه أبا سعد في العساكر في شوّال من السنة الى شيراز فملكها وخطبوا له بها ، وقبضوا على أخيه أبي منصور وأمّه وجاؤا بهما اليه . وكان الملك العزيز بن جلال الدولة عند ابراهيم نيال، الحق به بعد مهلك أبيه . فلما مات أبو كاليجار زحف الى البصرة طامعاً في ملكها فدافعه الجند الذين بها . وبلغه استقامة الملك ببغداد للرحيم فأقطع وذهب الى ابن مروان فهلك عنده كما مرّ .

ملك الملك الرحيم بن أبي كاليجار ووقائعه

قد تقدم لنا أنّ أبا منصور فلاستون بن أبي كاليجار سار الى فارس بعد موت أبيه فملكها ، وانه بعث أخاه أبا سعيد بالعساكر فقبضوا عليه وعلى امّه ثم انطلق ولحق بقلعة اصطخر ببلاد فارس فسار الملك الرحيم من الأهواز في اتباعه سنة احدى واربعين ، وأطاعه أهل شيراز وجندها ، ونزل قريباً منها . ثم وقع الخلاف بين جند شيراز وبين جند بغداد ، وعادوا الى العراق فعاد معهم الملك الرحيم لارتيابه بجند شيراز ، وبعث الجند والديلم جميعاً ببلاد فارس الىاخيه فلاستون . ولما عاد استخلف العساكر ، وسار الى أرّجان عازماً على قصد الاهواز . وعاد الملك الرحيم للقائه من الاهواز في ذي القعدة من السنة ، واقتتلو وانهزم الملك الرحيم ، وعاد الى واسط منهزماً . وسار بعض الى الملك الرحيم يستجيشون به للرجوع الى فارس فأرسل الى بغداد ، واستنفر الجند ، وسار الى الاهواز فبلغه طاعة أهل فارس ، وانهم منتظرون قدومه فأقام بالاهواز ينتظر عساكر بغداد . ثم سار الى عسكر مكرم فملكها سنة ثلاث واربعين .

ثم اجتمع جمع من العرب والاكراد مقدمهم طراد بن منصور ومذكور بن نزار فقصدوا سرف فنهبوها ونهبوا درق . وبعث الملك الرحيم بعساكره في محرّم سنة ثلاث واربعين فهزموا العرب

والاكراد ، وقتل مطارد وأسر ابنه واستردّ النهب . وبلغ الخبر الى الملك الرحيم وهو بعسكر مكرم فتقدّم الى قنطرة اربق، ومعه دبيس بن مزيد والبساسيري وغيرهما . ثم سار هزارشب ابن تنكر ومنصور بن الحسين الأسدي بمن معهما من الديلم والاتراك من أرّجان الى تُسْتَر فسابقهم الملك الرحيم فكان الظفر له . ثم زحف في عسكر الى رامهرمز وبها أصحاب هزارشب فهزموهم واثخنوا فيهم ، وتحيزوا الي رامهرمز في طاعة الملك الرحيم. ثم قبض هزارشب عليهم وأرسل الى الملك الرحيم بطاعته فبعث أخاه أبا سعيد اليه فملك اصطخر ، وخدمه أبو نصر بعسكره وماله ، واطاعته جموع من عساكر فارس من الديلم والترك والعرب والاكراد وحاصروا قلعة بهندر فخالفه هزارشب ومنصور بن الحسين الاسدي الى الملك الرحيم فهزموه .

وفارق الاهواز الى واسط وعاد الى سعد بشيراز فقاتلهم وهزمهم . ثم عاودوا القتال فهزمهم وأثخن فيهم واستأمن اليه كثير منهم ، وصعد فلاستون الى قلعة بهندر فامتنع بها وأعيدت الخطبة للملك الرحيم بالاهواز . ثم مضى فلاستون وهزارشب الى ايدج ، وبعثوا بطاعتهم الى السلطان طغرلبك واستمدوه ، وبعث إليهم العساكر والملك الرحيم بعسكر مكرم ، وقد انصرف عنه البساسيري الى العراق ودبيس بن مزيد والعرب والاكراد، وبقي وبقي معه ديلم الاهواز ، وأنزل بغداد فسار من عسكر مكرم

الى الاهواز ، وحاصروه بها فبعث أخاه أبا سعد صاحب فارس حين طلبه صاحب اصطخر ليفت في عضد فلاستون وهزارشب ويرجعوا عنه فلم يُهِجْهُمْ ذلك ، وساروا الى الاهواز قاتلوه فهزموه ، ولحق في الفلّ بواسط ونهبت الاهواز. وفقد في الوقعة الوزير كمال الملك أبو المعالي بن عبد الرحيم وكانت السلجوقية قد ساروا الى فارس فاستولى ألبأرسلان ابن أخي طغرلبك على مدينة نَسا وعاثوا فيها ، وذلك سنة ثلاث وأربعين . ثم ساروا سنة أربع وأربعين الى شيراز ، ومعهم العادل بن مافنة وزير فلاستون فقبضوا عليه ، وملكوا منه ثلاث قلاع وسلموها الى أبي سعد أخي الملك الرحيم ، واجتمعت عساكر شيراز فهزموا الغز الذين ساروا اليها وأسروا بعض مقدميهم . ثم ساروا الى نسا وقد كان تغلب عليها بعض السلجوقية فأخرجوهم عنها وملكوها .

الفتنة بين البساسيري وبني عقيل واستيلاؤه على الانبار

لما سار الملك الرحيم الى شيراز سنه احدى واربعين ثار بعض بني عقيل بازدوفا فنهبوها وعاثوا فيها ، وكانت من أقطاع البساسيري فلما عاد من فارس سار اليهم من بغداد فأوقع بأبي كامل بن المقلّد ، واقتتلوا قتالاً شديداً . ثم تحاجزوا ورفع الى البساسيري أن قرواش اساء السيرة في أهل الانبار ، وجاء أهلها

متظلمين منه فبعث معهم عسكراً فملكوها ، وجاء على أثرهم فأصلح احوالها . وزحف قريش اليها سنة ست واربعين فملكها وخطب فيها لطغرلبك ، ونهب ما كان فيها للبساسيري ، ونهب حلل أصحابه بالنخاص . وجمع البساسيري وقصد الانبار وخَويّ فاستعادها من يد قريش ورجع الى بغداد .

استيلاء الخوارج على عمان

كان أبو المظفر بن ابي كاليجار أميراً على عُمان ، وكان له خادم مستبدّ عليه فأساء السيرة في الناس ، ومدّ يده الى الاموال فنفروا منه . وعلم بذلك الخوارج في جبالها فجمعهم ابن رشد منهم وسار الى المدينة فبرز اليه أبو المظفر وظفر بالخوارج ثم جمع ثانية وعاد لقتال ابي المظفر والديلم وأعانه عليهم أهل البلد لسوء سيرتهم فهزمهم ابن رشد وملك البلد ، وقتل الخادم وكثيراً من الديلم والعمال ، وأخرب دار الامارة وأسقط المكوس، واقتصر على ربع العشر من أموال التجار والواردين . وأظهر العدل ولبس الصوف ، وبنى مسجداً لصلاته وخطب لنفسه ، وتلقب الراشد بالله . وقد كان أبو القاسم بن مكرم بعث اليه من قبل ذلك من حاصره في جبله وازال طمعه .

الفتنة بين العامة ببغداد

وفي صفر من سنة ثلاث وأربعين تجدّدت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة وعظمت، وتظاهر الشيعة بمذاهبهم وكتبوا بعض عقائدهم في الابواب، وأنكر ذلك أهل السنة واقتتلوا. وأرسل القائم نقيبي العباسِيَّة والعلوية لكشف الحال فشهدوا للشيعة ودام القتال. وقتل رجل من الهاشمية من أهل السنة فقصدوا مشهد باب النصر، ونهبوا ما فيه وأحرقوا ضريح موسى الكاظم وحافده محمد المتقي وضرائح بني بويه وبعض خلفاء بني العباس، وهموا بنقل شلو الكاظم الى مقبرة أحمد بن حنبل فحال دون ذلك جهلهم بعين الجدث. وجاء نقيب العباسية فمنع من ذلك، وقتل أهل الكرخ من الشيعة أبا سعيد السرخسي مدرس الحنفية، وأحرقوا محال الفقهاء ودورهم وتعدّت الفتنة الى الجانب الشرقي. وبلغ احراق المشهد الى دبيس فعظم عليه، وقطع خطبة القائم لانه وأهل ناحيته كانوا شيعة، وعوتب في ذلك فاعتذر بأنّ أهل الناحية تغري القائم بأهل السنة، وأعاد الخطبة بحالها. ثم عظمت الفتنة سنة خمس وأربعين واطرحوا مراقبة السلطان، ودخل معهم طوائف من الاتراك، وقتل بعض العلوية فصرخ النساء بثأره واجتمع السواد الاعظم، وركب القواد لتسكين الفتنة فقاتلهم أهل الكرخ قتالاً شديداً

وحرقت اسواق الكرخ . ثم منع الاتراك من الدخول بينهم فسكنوا قليلا .

استيلاء الملك الرحيم على البصرة

قد كنا قدّمنا أنّ الملك الرحيم لما تولى بغداد بعد أبيه أقرّ اخاه أبا عليّ على امارة البصرة ، ثم بدامنه العصيان فبعث اليه العساكر مع البساسيري القائم بدولته فزحف الى البصرة وبرزوا اليه في الماء فقاتلهم عدّة أيام . ثم هزمهم وملك عليهم الانهار ، وسارت العساكر في البر الى البصرة ، واستأمنت ربيعة ومضر فامنهم وملك البصرة ، وجاءته رسل الديلم بخوزستان يعتذرون ، ومضى أبو علي فتحصن بشط عثمان وخندق عليه فمضى الملك الرحيم اليه وملكه ، ومضى أبو علي وابنه الى عبادان ولحق منها الى جَرْجان متوجها الى السلطان طغرلبك . فلما وصل اليه بأصفهان لاقاه بالتكرمة وأنزله بعض قلاع جرباذقان ، وأقطع له في أعمالها . وأقام الملك الرحيم بالبصرة أياماً ، واستبدل من أجناد أخيه أبي علي بها . واستخلف عليها البساسيري وسار الى الاهواز . وترددت الرسل بينه وبين منصور بن الحسين وهزارشب فدخلو في طاعته ، وصارت تستر اليه ، وأنزل بأرّجان فولاد بن خسرو الديلمي فسار في اعمالها ، وحمل المتغلبين هناك على طاعة الملك الرحيم حتى أذعنوا .

استيلاء فلاستون على شيراز بدعوة طغرلبك

قد قدّمنا أنه كان بقلعة اصطَخر أبو نصر بن خسرو مستولياً عليها ، وأنه أرسل بطاعته سنة ثلاث وأربعين الى الملك الرحيم عندما ملك رامهرمز ، واستدعى منه أخاه أبا سعيد ليملكه بلاد فارس فسار اليه بالعساكر وملك البلاد ، ونزل شيراز ، وكان معه عميد الدولة أبو نصر الظهير قد استبدّ في دولته ، وساءت سيرته في جنده . وأوحش أبا نصر مستدعيهم للملك فانتقض عليهم ، وداخل الجند في الانتقاض فشغبوا وقبضوا على عميد الدولة ، ونادوا بدعوة أبي منصور فلاستون واستدعوه ، وأخرجوا أبا سعيد عنهم الى الاهواز ، ودخل أبو منصور الى الاهواز فملكها وخطب لطغرلبك وللملك الرحيم ثم لنفسه بعدهما

وقائع البساسيري مع الاعراب والاكراد لطغرلبك

لما استولى طغرلبك على النواحي وأحاط باعمال بغداد من جهاتها، وأطاعه أكثر الاكراد الى حُلوان وكثر فسادهم وعيثهم ، والتفّت عليهم الاعراب، وأهم الدولة شأنهم فسار اليهم البساسيري ، واتبعهم الى البوازيج فظفر بهم وقتل وغنم وعبروا الزاب . وجاء الديلم فتمكن من العبور اليهم وذلك سنة خمس وأربعين. ثم دعاه دبيس صاحب الحلة الى قتال خفاجة ، وقد عاثوا في بلاده فاستنجد به

وسار اليهم فأجلاهم عن الجامعين ، ودخلو المفازة واتبعهم فأدركهم بخفان فأوقع بهم وغنم أموالهم وأنعامهم ، وحاصر حصن خفان وفتحه وخربه . وأراد تخريب القائم الذي به ، وهو بناء في غاية الارتفاع كالعلم يهتدى به . قيل انه وضع لهداية السفن لما كان البحر الى النجف فصانع عنه ربيعة بن مطاعم بالمال وترك له ، وعاد فصلب من كان معه من أسرى العرب . ثم سار الى خَوِيّ فحصرها وقرّر عليها سبعة آلاف دينار .

فتنة الأتراك واستيلاء عساكر طغرلبك على النواحي

كان الاتراك من جند بغداد قد استفحل أمرهم على الدولة ، واشتطوا وتطاولوا الى الفتنة عندما هبت ريحها بظهور طغرلبك واستيلائه على النواحي ، فطالبوا الوزير في محرّم سنة ست وأربعين بمبلغ كبير من أرزاقهم ورسومهم وأرهقوه ، واختفى في دار الخلافة فاتبعوه وطلبوه من أهل الدار فجحدوه فشغبوا على الديوان ، وتعدّوا الى الشكوى من الخليفة ، وساء الخطاب بينهم وبين أهل الديوان وانصرفوا، وشاع بين الناس أنهم محاصرون دار الخلافة فانزعجوا. وركب البساسيري، وهو النائب يومئذ ببغداد الى دار الخلافة ، وطلب الوزير وكبس الدور من أجله فلم يوقف له على خبر . وشغب الجند ونهبوا دار الروم وأحرقوا البيع ، وكبسوا دار ابن عبيد وزير البساسيري . ووقف أهل الدروب

لمنع بيوتهم من الاتراك فنهبوا الواردين ، وعدمت الاقوات . والبساسيري في خلال ذلك مقيم بدار الخلافة الى ان ظهر الوزير، وقام بهم بما عليهم من أثمان دوابه وقماشه .

واتصل الهرج، وعاد الاعراب والاكراد الى العيث والاغارة والنهب والقتل. وجاءت أصحاب قريش صاحب الموصل فكبسوا حلل كامل ابن عمه بالبردوان ، ونهبوا منها دوابّ وجمالاً من البخاتي كانت هناك للبساسيري فتضاعف الهرج ، وانحل نظام الملك . ووصل عساكر الغُز الى الدسكرة مع ابراهيم بن اسحق من أمراء طغرلبك ورستبارد فاستباحوها . ثم تقدموا الى قلعة البردوان وقد عصى صاحبها سعدي على طغرلبك فامتنعت عليهم فعاثوا في نواحيها ، وخربت تلك الاعمال وانجلى أهلها . وسارت طائفة أخرى الى الاهواز فخرّبوا نواحيها، وقوي طمع السُلجوقِيّة في البلاد، وخافت الديلم ومن معهم من الاتراك وضعفت نفوسهم. ثم بعث طغرلبك أبا علي بن أبي كاليجار الذي كان صاحب البصرة في عساكر السُلجوقِيّة الى خوزستان فانتهى الى سابورخواست ، وكاتب الديلم بالوعد والوعيد فنزع اليه أكثرهم واستولى على الاهواز ، ونهبها عساكر السلجوقية وصادروا أهلها ، وهرب أهلها منهم .

الوحشة بين القائم والبساسيري

قد قدّمنا ما وقع من قريش بن بدران في نهب حلل البساسيري أصحابه سنة ست وأربعين . ثم وصل الى بغداد أبو الغنائم وأبو سعد ابنا المجلبان صاحب قريش ، ودخلا في خفية فهمّ البساسيري بأخذهما فأجارهما الوزير رئيس الرؤساء عليه فغضب ، وسار الى خَوِيّ والانبار فملكهما، ورجع ولم يعرج على دار الخلافة . وأسقط مشاهرات القائم والوزير وحواشي الدار من دار الضرب ، ونسب الى الوزير مكاتبته طغرلبك . ثم سار في ذي الحجة من سنة ست وأربعين الى الانبار ، وبها أبو الغنائم بن المجلبان ، ونصب عليها المجانيق ودخلها عنوة ، وأسر أبا الغنائم في خمسمائة من أهلها ، ونهب البلاد وعاد الى بغداد . وقد شهر أبا الغنائم وهمّ بصلبه فشفع فيه دبيس بن صدقه ، وكان قد جاء مدداً له على حصار الانبار فشفعه وصلب جماعة من الاسرى .

وثوب الاتراك بالبساسيري ونهب داره

كان هذا البساسيري مملوكاً لبعض تجار بسا من مدائن فارس فنسب اليها. ثم صار لبهاء الدولة بن عضد الدولة، ونشأ في دولته، وأخذت النجابة بضبعه . وتصرّف في خدمة بيته الى أن صار في خدمة الملك الرحيم . وكان يبعثه في المهات ومدافعة الفتن هذه

فدافع الاكراد من جهه حُلوان ، ودافع قريش بن بدران من الجانب الغربي، وهما قائمان بدعوة طغرلبك . ثم سارا الى الملك الرحيم بواسط وقد تأكدت الوحشة بينه وبين الوزير رئيس الرؤساء كما تقدم . وبعث اليه وزيره أبو سعد النصراني بجرار خمر فدس عليها الوزير قوماً ببغداد كانوا يقومون في تغيير المنكر فكسروها . وأراقوا خمرها فتأكدت الوحشة بذلك . واستفتى البساسيري الفقهاء الحنفية في ذلك فأفتوه باحترام مال النصراني ، ولا يجوز كسرها عليه ويغرم من أتلفها . وتأكدت الوحشة بين الوزير وبين البساسيري ، وكانت الوحشة بينه وبين الاتراك كما مرّفدس الوزير بالشغب على البساسيري فشغبوا ، واستأذنو في نهب دوره فأذن لهم من دار الخلافة فانطلقت أيدي النهب عليها . وأشاع رئيس الرؤساء أنه كاتب المستنصر العلوي صاحب مصر ، واتسع الخرق ، وكاتب القائم الملك الرحيم بابعاد البساسيري ، وأنه خلع الطاعة . وكاتب المستنصر العلوي فأبعده الملك الرحيم .

استيلاء طغرلبك على بغداد والخليفة ونكبة الملك الرحيم وانقراض دولة بني بويه

كان طغرلبك قد سار غازيا الى بلاد الروم فأثخن فيها، ثم رجع الى الري فأصلح فسادها ، ثم وصل همذان في المحرّم سنة سبع وأربعين عاملاً على الحج وأن يمر بالشام ويزيل دولة العلوية بمصر . وتقدّم الى أهل الدِّيْنَوَر وقَرْميس وغيرهما باعداد العلوفات والزاد

في طريقه، وعظم الارجاف بذلك في بغداد وكثر شغب الاتراك وقصدوا ديوان الخلافة يطلبون القائم في الخروج معهم للمدافعة. وعسكروا بظاهر البلد فوصل طغرلبك الى حُلوان وانتشر أصحابه في طريق خُراسان، وأجفل الناس الى غربي بغداد، وأصعد الملك الرحيم من واسط بعد أن طرد عنه البساسيري بأمر القائم فلحق بدبيس بن صدقة صاحب الحلة لصهر بينهما.

وبعث طغرلبك الى القائم بطاعته، والى الاتراك بالمواعيد الجميلة فردّ الاتراك كتابه وسألوا من القائم ردّه عنهم فأعرض، وجاء الملك الرحيم يعرض نفسه فيما يختاره فأمر بتقويض الاتراك خيامهم، وأن يبعثوا بالطاعة لطغرلبك ففعلوا وأمر القائم الخطباء بالخطبة لطغرلبك فبعث الى طريقهم الوزير أبا نصر الكندري، وأمر الاجناد ثم دخل طغرلبك بغداد يوم الخميس ليومين من رمضان، ونزل بباب الشماسية، ووصل قريش صاحب الموصل وكان في طاعته قبل ذلك. ثم انتشرت عساكر طغرلبك في البلد وأسواقها فوقعت الهيعة، وظنّ الناس أن الملك الرحيم أذن بقتال طغرلبك فأقبلوا من كل ناحية، وقتلوا الغز في الطرقات إلا أهل الكرخ فانهم أمّنوهم وأجاروهم، وشكر الخليفة لهم ذلك وتمادى العامة في ثورتهم، وخرجوا الى معسكر طغرلبك. ودخل الرحيم بأعيان أصحابه الى دار الخلافة تفادياً من الظنة به، وركبت عساكر طغرلبك فهزموا العامة وكسروهم، ونهبوا بعض الدروب ودروب

الخلفاء والرصافة ودرب الدروب. وكانت هذه الدروب قد نقل الناس اليها أموالهم ثقة باحترامها. وفشا النهب واتسع الخرق، وأرسل طغرلبك من الغد الى القائم بالعتب على ما وقع، ونسبه الى الملك الرحيم، ويطلب حضوره وأعيان أصحابه فيكون براءة لهم فأمرهم الخليفة بالركوب اليه، وبعث معهم رسوله ليبرئهم فساروا في ذمامه، وأمر طغرلبك بالقبض عليهم ساعة وصولهم.

ثم حمل الملك الرحيم الى قلعة السيروان فحبس بها وذلك لست سنين من ولايته، وانقرض أمر بني بويه ونهب في الهيعة حلة قريش صاحب الموصل، ونجا سليمان الى خيمة بدر بن مهلهل فأجاره، ثم خلع عليه طغرلبك وردّه الى حلله. ونقم القائم على طغرلبك ما وقع، وبعث في اطلاق المحبوسين فاتهم في ذمامه، وهدّده بالرحيل عن بغداد فاطلق بعضهم ومحا عسكر الرحيم من الدواوين، وأذن لهم في السعي في معاشهم فلحق كثير منهم بالبساسيري فكثر جمعه. واستصفى طغرلبك أموال الاتراك ببغداد من أجله، وبعث الي دبيس بإبعاده، فلحق بالرَحبَة، وكاتب المستنصر صاحب مصر بالطاعة.

وخطب دبيس لطغرلبك في بلاده، وانتشر الغز في سواد بغداد فنهبوه، وفشا الخراب فيه، وانجلى أهله وولّى طغرلبك البصره والأهواز هزارشب فخطب لنفسه بالاهواز فقط، وأقطع الامير أبا علي ابن الملك أبي كاليجار قرمس، وأعمالها، وأمر أهل

الكرخ ان يؤذنوا في مساجدهم في نداء الصبح: الصلاة خير من النوم وأمر بعمارة دار الملك فعمرت على ما اقترحه ، وانتقل اليها في شوال سنة سبع وأربعين واستقرّت قدمه في الملك والسلطان ، وكانت له الدولة التي ورثها بنوه وقومه السلجوقية ولم يكن للاسلام في العجم أعظم منها والملك لله يؤتيه من يشاء .

الخبر عن دولة وشمكير وبنيه من الجيل اخوة الديلم وما كان لهم من الملك والسلطان بجرجان وطبرستان وأولية ذلك ومصايره

قد تقدّم لنا ذكر مرداويج بن زيار ، وأنه كان من قواد الديلم للأطروش ، وأنه كان من الجيل إخوة الديلم وكانت حالهم واحدة . وكان منهم قواد للعلوية استظهروا بهم على أمرهم حتى اذا انقرضت دولة الاطروش وبنيه على حين فشل الدولة العباسية ، ومحي أعمالها من السلطان ساروا في النواحي لطلب الملك متفرّقين فيها فملكوا الري وأصفهان وجَرْجان وطَبَرِسْتان والعراقين وفارس وكرمان ، وكل منهم في ناحية. وتغلب بنو بويه على الخليفة وحجروه الى آخر ايامهم . وذكرنا أن مرداويج عندما استفحل ملكه بعث عن أخيه وشمكير من بلاد كيلان سنة عشرين وأربعمائة فاستظهر به على أمره وولاه على الاعمال الجليلة ، وكان قد استولى على اصفهان والري وأصبح من أعظم الملوك ، وكان له موال من الاتراك تنكروا له لشدّته عليهم فاغتالوه ،

وقتلوه في محرّم سنة ثلاث وعشرين فاجتمعت العساكر بعده على أخيه وشمكير بالري، وبعث الى ماكان بن كالي وهو بكرمان بعدما ملكها من أبي عليّ بن الياس بالمسير اليه بالري مع ابن محتاج. وسار ماكان على المفازة الى الدامغان، وبعث وشمكير قائده تاتجيز الديلمي مع جيش كثيف لاعتراضه، ومع ماكان عسكر ابن مظفر مدداً له فتقاتلوا وهزمهم تاتجيز فعادوا الى نيسابور، وجعلت ولايتها لماكان، وقد مرّ ذكر ذلك كله. ثم سار تاتجيز الى جَرْجان :اقام بها. ثم هلك آخر السنة من سقطة عن فرسه فاستولى عليها ماكان، وحاصره ابن محتاج سنة ثمان وعشرين فملكها وسار ماكان الى طَبرِسْتان فأقام بها. وكان ركن الدولة بن بويه غلب على اصفهان فبعث وشمكير عساكره الى ماكان مدداً له في حروبه مع ابن محتاج، فاغتنم ركن الدولة خلوّ وشمكير[1] من العساكر فسار الى أصفهان فملكها، واتصل ما بينه وبين صاحب خراسان وانفرد وشمكير بملك الري.

استيلاء عساكر خراسان على الري والجبل وملك وشمكير طبرستان

لما ملك ركن الدولة اصفهان وصل يده بأبي علي بن محتاج صاحب خُراسان، هو وأخوه عماد الدولة صاحب فارس، وحرضاه

(١) هـذا التعبير يعطي أن وشمكير بلد أو مقاطعة مع العلم بأنه قائد. والمقصود بقاؤه وحيداً. ومقتضى السياق: فاغتنم ركن الدولة عدم وجود عساكر مع وشمكير إلخ...

على أخذ الريّ من وشمكير رجاء أن يكون طرفا لعمله فيتمكن به من ملكها فسار أبو علي لذلك، واستمدّ وشمكير ما كان للمدافعة فجاء بنفسه. وبعث ركن الدولة مدداً لابن محتاج فلقوه باسحاقاباد، وتقاتلوا فانهزم وشمكير، ولحق بطَبرِسْتان فملكها وقتل من كان بالمعركة، واستولى أبو علي على الري. ثم بعث أبو علي العساكر الى بلد الجيل فاستولى على زنكان وأبهر وقَزْوين وكرج وهَمَذان ونَهاوَند والدينَوَر الى حُلوان.

استيلاء الحسن بن الفيرزان على جرجان

كان الحسن بن الفيرزان ابن عمّ ما كان وكان مناهضه في الصرامة فلما قتل ماكان، وملك وشمكير طبرستان بعث اليه بالدخول في طاعته فأبى، ونسبه الى المواطأة على قتل ماكان فقصده وشمكير ففارق سارية وسار الى ابن محتاج صاحب خراسان. واستنجده فسار معه ابن محتاج، وحاصر وشمكير بسارية حولًا كاملًا حتى رجع الى طاعة ابن سامان؛ وأعطى ابنه سلار رهينة بذلك ورجع هو والحسن الى خراسان، وهو مكايده للصلح ولقيهما موت سعيد بن سامان فثار الحسن بأبي علي بن محتاج، ونهب سواده وأخذ ابن وشمكير الذي كان عنده، ورجع فملكها من يد ابراهيم بن سيجور الدواني ولحق ابن سيجور بنيسابور فعصى عليّ بن محتاج كما مرّ في أخبارهم.

رجوع الري لوشمكير واستيلاء ابن بويه عليها

لما انصرف أبو علي الى خراسان وفعل به الحسن ما ذكرناه سار وشمكير الى الري فملكها، وراسله ابن الفيرزان يستميله؛ وردّ عليه ابنه سلار فصانعه ولم يبالغ محافظة على عهد ابن محتاج. ثم طمع ركن الدولة بن بويه في ملك الري لخلوّ يده وقلة عسكره فسار اليه وهزمه، واستأمن كثير من عسكره اليه وملك الري، ورجع وشمكير الى طبرستان فاعترضه الحسن وهزمه فلحق بخراسان، وراسل ابن الفيرزان ركن الدولة بويه وواصله.

استيلاء وشمكير على جرجان

لما ملك ابن بويه الري من يد وشمكير ولحق طبرستان واعترضه ابن الفيرزان، وهزمه ولحق بخراسان سار الى نوح بن سامان مستنجداً به، وبعث معه عسكراً وأرسل الى ابن محتاج صاحب خراسان بمظاهرته فبعثه فيمن معه الى جرجان، وبها الحسن بن الفيرزان فهزمه وشمكير وملك جرجان.

استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان

لما ملك وشمكير جرجان من يد الحسن بن الفيرزان سار الى ركن الدولة بن بويه وأقام عنده بالري، ثم سار سنة ست

وثلاثين الى بلاد وشمكير ولقيهم فهزموه، وملك ركن الدولة طبرستان، وسار منها الى جَرْجان، ورجع الى الري. وسار وشمكير الى خُراسان مستنجداً بابن سامان فأمر منصور بن قراتكين صاحب خراسان أن يستوفد العساكر لانجاده فسار معه، وكان مصطنعاً عليه. وكتب وشمكير الى ابن سامان يشكو من ابن قراتكين. ثم كتب الامير نوح الى أبي علي بن محتاج أن يسير معه الى الري فسار معه وقاتلوا ركن الدولة فلم يظفروا به حتى صالحهم كما تقدم، ورجع الى وشمكير فانهزم أمامه الى اسفراين، وملك ابن بويه طبرستان وحاصر سارية وملكها، ولحق وشمكير بجرجان وسار [1] الى جرجان في طلب وشمكير الى بلد الجيل، واستولى ابن بويه عليها.

وفاة وشمكير وولاية ابنه بهستون

لما غلب بنو بويه على كرمان من يد أبي عليّ بن الياس لحق وشمكير بالامير منصور بن نوح ببخارى مستنصراً به، وأطمعه في ممالك بني بويه. وأسرّ اليه أن قواده بخراسان لا يناصحونه في شأنه فكتب الى أبي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور صاحب خُراسان بالمسير الى الري بطاعة وشمكير والتصرّف عن رأيه، واستعدّ ركن الدولة للقائهم، واستنجد ابنه عضد الدولة، وخالفهم

(١) أي وسار ابن بويه إلى جرجان.

الى خراسان وبلغهم الخبر فتوقفوا بالدامغان يستطلعون الاخبار. وركب وشمكير للصيد فاعترضه خنزير فرماه بحربة من يده فحمل عليه الخنزير فشب الفرس، وسقط وشمكير الى الارض ومات من سقطته في محرّم سنة سبع وخمسين، وانتقض جميع من كانوا معه. ولما مات وشمكير قام ابنه بهستون مقامه، وراسل ركن الدولة وصالحه فأمدّه بالعساكر والاموال.

وفاة بهستون وولاية أخيه قابوس

ثم توفي بهستون بن وشمكير بجرجان سنة ست وستين لسبع سنين من ولايته، وكان أخوه قابوس عند خاله رستم بجبل شهريار، وترك بهستون ابناً صغيراً بطبرستان في كفالة جدّه لامّه فطمع له جدّه بالملك، وبادر به الى جرجان، وقبض على من كان عنده ميل الى قابوس من القواد، وفي خلال ذلك وصل قابوس فخرج الجيش اليه واجتمعوا عليه وملكوه، وهرب أصحاب ابن منصور فكفله عمه قابوس وجعله اسوة بنيه، وقام بملك جرجان وطبرستان.

استيلاء عضد الدولة على جرجان وطبرستان

لما توفي ركن الدولة سنة ست وستين وثلثمائة عهد لابنه عضد الدولة، وولى ابنه فخر الدولة على هَمَذان وأعمال الجبل وابنه

مؤيد الدولة علي أصفهان. وكان بختيار بن معز الدولة ببغداد فاستولى عليه. ثم سار الى أخيه فخر الدولة بهمذان فهرب الى قابوس، ونزل عضد الدولة الري. وبعث الى قابوس في طلب أخيه فخر الدولة فأبى فأمر أخاه مؤيد الدولة بخراسان أن يسير اليه، وأمدّه بالأموال والعساكر. وسار الى جرجان سنة احدى وسبعين. ولقيه فخر الدولة بخراسان عندما وليها حسام الدولة أبو العباس تاش من قبل الامير أبي القاسم بن نوح، وكتب الى العباس تاش يأمر بانجاد قابوس بن وشمكير وفخر الدولة على مؤيد الدولة، واعادة قابوس الى بلده فزحف في العساكر الى جرجان وحاصرها شهرين حتى ضاقت أحوالهم. وكاتب مؤيد الدولة فائقاً الخاصة من قواد خراسان، واستماله فوعده ان ينهزم بمن معه يوم اللقاء.

وخرج مؤيد الدولة فقاتلهم وانهزم فائق بمن معه كما وعد، ووقف حسام الدولة وفخر الدولة قليلاً ثم اتبعوه منهزمين الى خراسان. ثم استدعى تاش لتدبير الدولة ببخارى بعد قتل الوزير العتبي فسار اليه سنة اثنتين وسبعين مؤيد الدولة، وكان من خبر وفاته ما قدّمناه. ووقعت الفتنة بين تاش وابن سيجور، وانهزم تاش الى جرجان، وقابله فخر الدولة بكثير من الكرامة والنصرة بما لم يعهد مثله حسبما مرّ في اخبارهم. ولما ملك فخر الدولة جرجان وطبرستان والري اعتزم على ردّ جُرْجان وطَبَرِسْتان الى قابوس رعيا لما كان بينهما بدار الغربة، وانه الذي جر على قابوس الخروج عن

ملكه فشاور عن ذلك وزيره الصاحب بن عبّاد فلم يوافقه ، وبقي مقيماً بخراسان ، وأنجده بنو سامان بالعساكر المرّة بعد المرّة فلم يقدر له الظفر حتى كان استيلاء سبكتكين .

عودة قابوس الى جرجان وطبرستان

ولما ولي سبكتكين خراسان وعد قابوس بردّه الى ملكه جرجان وطبرستان. ثم مضى الى بلخ فمات سنة سبع وثمانين فأقام قابوس الى سنة ثمان وثمانين فبعث الأَصْبَهبد الى جبل شهريار ، وعليه رستم بن المرزبان خال مجد الدولة . وجمع له فقاتله وانهزم رستم واستولى اصبهبد على الجبل . وخطب فيه لشمس المعالي قابوس . وكان نائب ابن سعيد بناحية الاستنداوية ، وكان يميل الى شمس المعالي فسار الى آمد ، وطرد عنها عسكر مجد الدولة واستولى عليها ، وخطب فيها لقابوس ، وكتب اليه بذلك ثم كتب أهل جرجان الى قابوس يستدعونه فسار اليهم من نيسابور وسار أصبهبد ، ويأتي بن سعيد اليها من مكانهما فخرج اليهما عساكر جرجان فقاتلوهما فأنهزم العسكر ، ورجعو الى جرجان فلقوا مقدّمة قابوس عندها فانهزموا ثانية الى الري .

ودخل شمس المعالي قابوس جرجان في شعبان سنة ثمان وثمانين . وجاءت العساكر من الري لحصاره فأقاموا ، ودخل فصل الشتاء وتوالت عليهم الامطار وعدمت الاقوات فارتحلوا وتبعهم

قابوس ، وقاتلهم فهزمهم ، وأسر جماعة من أعيانهم . وملك ما بين جرجان واستراباذ . ثم أن الاصبهبذ حدّث نفسه بالملك ، واغتر بما اجتمع له من الاموال والذخائر فسارت اليه العساكر من الري مع المرزبان خال مجد الدولة فهزموه وأسروه ، وأظهروا دعوة شمس المعالي بالجبل لانّ المرزبان كان مستوحشا من مجد الدولة فانضافت مملكة الجبل جميعاً الى مملكة جرجان وطبرستان ، وولى عليها قابوس ابنه منوجهر ففتح الري وايات وشالوش، وقارن ذلك استيلاء محمود بن سبكتكين على خراسان فراسله قابوس وهاداه، وصالحه على سائر أعماله .

مقتل قابوس وولاية ابنه منوجهر

كان شمس المعالي قابوس قد استفحل ملكه ، وكان شديد السطوة مرهف الحدّ فعظمت هيبته على أصحابه وترايدت حتى انقلبت الى العتوّ فأجمعوا على خلعه وكان ببعض القلاع فساروا اليه ليمسكوه بها فامتنع عليهم فانتهبوا موجوده ، ورجعوا الى جرجان وجاهروا بالخلعان ، واستدعوا ابنه من طبرستان فأسرع اليهم مخافة أن يولوا غيره ، واتفقوا على طاعته بأن يخلع أباه فأجاب الى ذلك كرهاً . وسار قابوس من حصنه الى بسطام يقيم بها حتى تضمحل الفتنة فساروا اليه ، وأكرهوا منوجهر على المسير معهم وينفرد هو للعبادة بقلعة الجيا ، وأذن له أبوه بالقيام

بالملك حذراً من خروجه عنهم ، وبقي المتولون لكبر تلك الفتنة من الجند مرتابين من قابوس. وكتبوا من جرجان الى منوجهر يستأذنونه في قتله ، ولم ينتظروا ردّ الجواب وساروا اليه فدخلوا عليه البيت ، وجرّدوه من ثيابه فما زال يستغيث حتى مات من شدّة البرد ، وذلك سنة ثلاث وأربعمائة لخمس عشرة سنة من استيلائه ، وقام بالملك ابنه منوجهر ، وخطب له على منابره ولم يزل في التدبير على الرهط الذين قتلوا أباه حتى أباد كثيراً منهم وشرّد الباقين .

وفاة منوجهر وولاية ابنه انوشروان

ولما سار محمود بن سبكتكين سنة عشرين وأربعمائة عندما قبض حاجبه على مجد الدولة ، وملك الري بدعوة محمود . وسار اليه محمود فهرب منوجهر بن قابوس من جرجان وبعث اليه باربعمائة ألف دينار ليصلحه ، وتحصن منه بجبال وعرة . ثم أبعد المذهب ودخل في الغياض الملتفة. وأجابه محمود فبعث اليه منوجهر بالمال ، ونكب عنه في رجوعه الى نيسابور . ثم توفي منوجهر اثر ذلك سنة ست وعشرين وولي بعده ابنه أنو شروان فأقرّه محمود على ولايته، وقرّر عليه خمسمائة ألف أميري. وخطب لمحمود في بلاد الجبل الى حدود أرمينية . ثم استولى مسعود بن محمود

أعوام الثلاثين على جرجان وطبرستان ، ومحا دولة بني قابوس كان لم تكن ، والبقاء لله وحده .

الخبر عن دولة مسافر من الديلم بأذربيجان ومصايره

كانت أذربيجان عند ظهور الديلم وانتشارهم في البلاد؛ ؛ واستيلائهم على الاعمال أعوام الثلاثين والثلثمائة بيد رستم بن ابراهيم الكردي من أصحاب يوسف بن أبي الساج . وكان من خبره أنّ أباه ابراهيم من الخوارج من أصحاب هرون الشاري الخارج بالموصل هرب بعد مقتله الى أذربيجان، وأصهر في الاكراد الى بعض رؤسائهم فولد له ابنه رستم ، ونشأ في اذربيجان . ولما كبر استضافه ابن أبي الساج وتنقل في الاطوار الى أن استولى على أذربيجان بعد يوسف بن أبي الساج ، وكان معظم جيوشه الاكراد. ولما استولى الديلم على البلاد ، وملك وشمكير الري ولى أعمال الجبل لشكري وجمع الاموال والرجال ، وسار لشكري الى أذربيجان ليملكها سنة ست وعشرين ، وحاربه دسيم في بعض جهات اذربيجان ، واستولى لشكري على سائر بلاد اذربيجان إلاّ أردبيل فانّ أهلها امتنعوا ثقة بحصن بلادهم .

وراسلهم فلم يجيبوه وحاصرها وشدّ حصارها ، وثلم سورها وملكها أياماً يدخل نهاراً ويخرج الى عساكره ليلًا ثم سدّوا ثلم السور وامتنعوا وعادوا الى الحصار. واستدعوا دسيما فجاء لقتال

لشكري من ورائه ،وناشبته أهل اردبيل القتال من أمامه فانهزم وقتل عامّة أصحابه ، وتحيزوا الى موقان . واستنجد اصبهبد بن دوالة فجمعوا وساروا الى دسيم فانهزم أمامهم ، وعبر نهر ارس ، وقصدوا شمكير في الري واستنجده ، وضمن له مالاً كل سنة فبعث معه عسكراً واستمال عسكر لشكري فداخلوه وكاتبوا وشمكير بالطاعة .

وعلم بذلك لشكري فتأخر الى الزوزن عازماً على الموصل أن يملكها ، ومرّ بأرمينية فنهب وسبى . ولما انتهى الى الزوزن لقيه بعض الرؤساء من الارمن ، وصانعه بالمال على بلده حتى كف عنها وأكمن له في مضيق بطريقه ، ودس لبعض الارمن أن ينهبوا شيئاً من ثقله ، ويسلكوا المضيق . وركب لشكري في اثرهم فقتله الكمين ومن معه وقدّم أهل العسكر عليهم ابنه الشكرستان ، ورجعوا الى بلد الطرم الأرميني ليثأروا من الأرمن بصاحبهم . وكان أكثر بلده مضايق فقاتلهم الارمن عليها وفتكوا فيهم ، ولحق العسكر والشكرستان في الفلّ بالموصل فأقام بها عند ناصر الدولة بن حمدان ، وكانت له معادن اذربيجان وولى عليها ابن عمه أبا عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان . وبعث معه الشكرستان وأصحابه فقاتلهم دسيم على المعادن ، وغلبهم عليها ورجعوا واستولى دسيم على اذربيجان .

استيلاء المرزبان بن محمد بن مسافر على أذربيجان

كان محمد بن مسافر من كبار الديلم ، وكان صاحب الطرم . وكان له أولاد كثيرون منهم سلار ومنهم صعلوك ومنهم وهشودان والمرزبان ، أمّه بنت حسان. ووهشودان ملك الديلم، وقد مرّ خبره . وكان دسيم بن ابراهيم الكردي بعد مدافعة لشكري وابنه عن اذربيجان أقام عنده بعض الديلم من عسكر وشمكير الذين أنجدوه على شأنه . ثم انّ قومه من الاكراد استبدّوا عليه باطراف أعماله ، وملكوا بعض القلاع فاستظهر عليهم بأولئك الديلم وغلبهم ، واستدعى صعلوك بن محمد من قلعة أبيه الطرم فجاء اليه جماعة من الديلم وسار بهم الى التي تغلب عليها الاكراد فانتزعها منهم ، وقبض على جماعة منهم . ثم استوحش منه وزيره ابو القاسم عليّ بن جعفر من اهل اذربيجان فهرب الى الطرم ، ونزل على محمد بن مسافر عندما استوحش منه ابناه وهشودان والمرزبان ، وغلبا على بعض قلاعه .

ثم قبضا عليه وانتزعا منه أمواله وذخائره فتقرّب الوزير علي بن جعفر الى المرزبان ، وكان يشاركه في دين الباطنية ، وأطمعه في اذربيجان فاستوزره المرزبان . وكانت الديلم الذين عند دسيم وغيره من جنده واستمالهم فأجابوه ، وسار المرزبان الى اذربيجان وبرز دسيم للقائه فنزع الديلم الى المرزيان ، واستأمن

اليه كثير من الاكراد ، وهرب دسيم الى أرمينية ونزل على صاحبها حاجيق بن الديراني . وملك المرزبان أذْرَبيجان سنة ثلاثين وثلثمائة وأساء وزيره عليّ بن جعفر السيرة مع أصحابه فتظافروا عليه وشرعوا في السعاية فيه فأطمع المرزبان في أموال بتبريز يضمنها له . وسار اليها في عسكر من الديلم وأسرّ لاهلها أنه جاء لمصادرتهم فوثبوا بمن معه من الديلم وقتلوهم ، واستدعوا دسيم بن ابراهيم فجاء الى تبريز وملكوه ، ولحق به الاكراد الذين استأمنوا الى المرزبان فسار المرزبان في عساكره وحاصرهم دسيم بتبريز ، وكاتب علي بن جعفر وحلف له على الوفاء بما يرومه منه فطلب منه السلامة ، وترك العمل فاجابه واشتدّ الحصار على دسيم فهرب من تبريز الىأردبيل ، وخرج الوزير اليه فوفى له المرزبان . ثم طلب دسيم أن ينزله بأهله بقلعة من قلاع الطرم ففعل وأقام المرزبان فيها .

الرُّوس

استيلاء الروس على مدينة بردعة وظفر المرزبان بهم

هؤلاء الروس من طوائف الترك ويجاورون الروم في مواطنهم ، وأخذوا بدين النصرانية معهم منذ أزمان متطاولة ، وبلادهم

تجاور بلاد أذربيجان فركبت طائفة منهم البحر سنة اثنتين وثلاثين . ثم صعدوا من البحر في نهر الكنهر ، وانتهوا الى مدينة بردعة من بلاد اذربيجان وبها نائب المرزبان فخرج اليهم في نحو خمسة آلاف مقاتل من الديلم وغيرهم فهزمهم الروس ، وقتلوا الديلم وتبعوهم الى البلد فملكوه ونادوا بالامان ، وأحسنوا السيرة وجاءت العساكر الاسلامية من كل ناحية فلم يقدر عليهم. وظاهرهم العوامّ والرعاع فلما انصرفت العساكر غدرت الروسيه بهم فقتلوهم ، ونهبوا أموالهم واستعبدوهم .

وأحزن المسلمين ذلك واستنفر المرزبان الناس وسار لهم وأكمن لهم كميناً ، وزحف اليهم ، وخرجوا اليه واستطرد لهم حتى جاوزوا موضع الكمين فاستمرّ أصحابه على الهزيمة ورجع هو مع أخيه وصاحب له مستميتين ، وخرج الكمين من ورائهم واستلحم الروسية وأميرهم ، ونجا فلّهم الى البلد فاعتصموا بحصنه . وكانوا قد نقلوا اليه السبيّ والاموال ، وحاصرهم المرزبان وصابروه . ثم ان ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل بعث الى ابن عمه الحسين بن سعد بن حمدان في هذه السنة الى اذربيجان ليملكها فبلغ الخبر الى المرزبان بأنه انتهى الى سلماس فجهز عسكراً الى الروس ، وسار لقتال ابن حمدان فقاتله أياماً . ثم استدعاه ابن عمه ناصر الدولة من الموصل وأخبره بموت تورون وأنه سائر الى بغداد، وأمره بالرجوع فرجع وأمّا الروس فحاصرهم العسكر أياماً واشتدّ

فيهم الوباء فانقضوا من الحصن ليلًا ، وحملوا ما قدروا عليه من الاموال ولحقوا باللكن فركبوا سفنهم ومضوا الى بلادهم ، وطّهر الله البلاد منهم .

مَسير المرزبان الى الري وهزيمته وحبسه

ولما سارت عساكر خُراسان الى الري وظنّ المرزبان أنّ ذلك يشغل ركن الدولة بن بويه عنه ، وكان قد بعث رسوله الى معزّ الدولة ببغداد فصرفه مذموماً مدحوراً فاعتزم على غزو الريّ ، وطمع في ملكه . واستأمن اليه بعض قواد الري ، وأغراه بذلك . دوراسله ناصر الدولة بن حمدان يستحثه لذلك ، ويشير عليه ببغداد قبل الري . وكتب ركن الدولة الى أخويه عماد الدولة ومعز الدولة يستنجدهما فبعثوا اليه بالعساكر ، وسار بها من بغداد سبكتكين الحاجب . ولما انتهى الدينَوَر انتقضَ عليه الديلم ، ووثبوا به فركب في الاتراك فتخاذل الديلم وأعطوه الطاعة . وكان المرزبان قبل وصول العساكر زحف الى الري ، وهزمه ركن الدولة وحبسه ، ورجع الفلّ الى اذربيجان ومعهم محمد بن عبد الرزاق .

واجتمع أصحاب المرزبان على أبيه محمد بن مسافر ، واساء السيرة فهموا بقتله . وكان ابنه وهشودان قد هرب منه ، واعتصم بحصن له فلحق به أبوه محمد فقبض عليه وهشودان وضيق عليه حتى مات . ثم استدعى دسيم الكردي من مكانه بقلعة الطرم حيث

أزله المرزبان عند ظفره به ، وبعثه الى محمد بن عبد الرزاق ، وأقام بنواحي اذربيجان . ثم رجع الى الري سنة ثمان وثلاثين ، واستعتب الى سلطانه نوح بن سامان فأعتبه وعاد الى طوس . واستولى دسيم على اذربيجان لوالي القلعة حتى تمكنوا من قتله فقتله المرزبان ، ولحق بأخيه وهشودان سنة اثنتين وأربعين . وكان عليّ بن منكلى من قوّاد ركن الدولة قد لحق بوهشودان، وأغراه بدسيم فبعثه وهشودان في العساكر ، وكاتب الديلم واستمالهم . وسار اليه دسيم ، وخلف وزيره أبا عبد الله النعيمي باردبيل فجمع مالاً كان صادره عليه ، وهرب بما معه من المال الى عليّ بن منكلى .

وبلغ الخبر الى دسيم عند اذربيجان فعاد الى اردبيل ، وشغب عليه الديلم ففرق فيهم ما كان معه من المال ، وسار للقاء عليّ بن منكلى فالتقيا . وهرب الديلم الذين معه الى علي بن منكلى . وانهزم هو الى ارمينية . ثم جاءه الخبر بانّ المرزبان تخلص من محبسه بقلعة سيرم وملك اردبيل ، واستولى على اذربيجان . وأنفذ العساكر في طلبه فهزم دسيم الى بغداد فأكرمه معز الدولة وأقام عنده . ثم استدعاه شيعته باذربيجان سنة ثلاث واربعين فسار اليهم وطلَب من معز الدولة المدد ، لانّ أخاه ركن الدولة كان قد صالح المرزبان فسار دسيم الى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل، واستنجد به فلم ينجده فسار إلى سيف الدولة فأقام عنده بالشام.

فلما كان سنة أربع وأربعين خرج على المرزبان خارج باب الابواب فسار اليه ، وخالفه دسيم الى اذربيجان فاستدعاه مقدّم من الاكراد وملك سلماس فبعث اليه المرزبان قائداً من قواده فهزمه دسيم . ولما فرغ المرزبان من أمر الخارج وعاد الى اذربيجان هرب دسيم الى ارمينية واستجاش بابن الديراني ، وكتب اليه المرزبان بحمل دسيم اليه فسلمه وحبسه حتى اذا توفي المرزبان قتله بعض أصحابه حذراً من فتنته .

وفاة المرزبان وولاية ابنه خستان

ثم توفي المرزبان صاحب اذربيجان سنة خمس وأربعين، وعهد بالملك الى أخيه وهشودان وبعده لابنه خستان وكان قد أوصى نوابه بالقلاع أن يسلموها لابنه خستان ، ثم لاخويه ابراهيم وناصر ، ثم الى أخيه وهشودان عندما عهد بالعهد الثاني الى أخيه عرفه بامارات بينه وبين نوّابه يرجعون اليها في ذلك . وبعث الى النواب عبدالله النعيمي . وهرب وهشودان من اردبيل فلحق بالطرم ، وجاء قواد المرزبان الى خستان بن شرمول فانه كان مقيماً على ارمينية فانتقض بها

مقتل خستان واخوته واستيلاء عمهم وهشودان على اذربيجان

ولما ولي خستان بن المرزبان انغمس في لذاته وعكف على اللهو

وقبض على وزيره أبي عبدالله النعيمي ، وكان خستان بن برسموه منتقضاً بارمينية وقد ملكها ، وكان وزيره أبو الحسن عبدالله بن محمد بن حمدويه صهراً للوزير النعيمي فاستوحش لنكبته ، وحمل صاحبه ابن سرمدان على مكاتبة ابراهيم بن المرزبان فأطمعه في الملك ، وسار به الى مراغة فملكها فراسله أخوه خستان ، وسار الى موقان . وكان باذربيجان رجل من ولد المكتفي متنكراً يدعو للرضا من آل محمد ، ويأمر بالعدل ، ويلقب بالمجير ، وكثرت جموعه فبعث اليه النعيمي من موقان وأطمعه في الخلافة ، وان يملكه اذربيجان على أن يقصد بغداد ويترك لهم اذربيجان فسار اليه خستان وابراهيم ابنا المرزبان فهزماه وقتلاه . فلما رأى وهشودان الخلاف بين بني أخيه المرزبان استمال ابراهيم ، وسار ناصر الى موقان وطمع الجند[1] في المال فساروا الى ناصر ، وملكوا بهم اردبيل .

وطالبه الجند بالمال فعجز وقعد عمه وهشودان عن نصره ، وتبين له أنه كان يخادعه فاجتمع مع أخيه خستان واضطربت عليهما الامور وانتقضت أصحاب الاطراف فاضطرهما الحال الى طاعة عمها وهشودان وراسلاه في ذلك واستحلفاه ، وقدما عليه مع أمهما فغدر وقبض عليهم وعقد الامارة على اذربيجان لابنه اسمعيل .

(١) أي وطمع إبراهيم الجند في المال وتبدو هذه الجملة وكأنها غريبة .

وسلم له أكثر قلاعه. ولحق ابراهيم بن المرزبان بمراغة، وجمع لاستنقاذ أخويه ومنازعة اسمعيل فقتل وهشودان أخويه وأمّها، وأمر خستان بن سرمند بقتال ابراهيم بمراغة، وبعث اليه بالمدد. وانضمّ ابراهيم الى نواحي ارمينية سنة تسع وأربعين فاستولى ابن سرمدن على مراغة واستضافها الى ارمينية، وجمع ابراهيم. وكانت ملوك ارمينية من الارمن والاكراد، وأصلح خستان بن سرمدن. ثم جاء الخبر بوفاة اسمعيل ابن عمه فسار الى اردبيل فلكها، وانصرف ابن منكلى الى وهشودان، وزحف اليهما ابراهيم وهزمهما فلحقا ببلاد الديلم. واستولى ابراهيم على أعمال وهشودان. ثم جمع وهشودان وعاد الى قلعته بالطرم، وبعث أبو القاسم بن منكلى العساكر لقتال ابراهيم فهزموه ونجا الى الري مستنجداً بركن الدولة لصهر بينهما.

استيلاء ابراهيم بن المرزبان ثانيا على أذربيجان

قد تقدّم هزيمة ابراهيم بن المرزبان أمام عساكر ابن منكلى، وانه لحق بركن الدولة مستنجداً به فبعث معه الاستاذ أبا الفضل ابن العميد في العساكر فاستولى على اذربيجان، وحمل أهلها على طاعة ابراهيم، وقاد له خستان بن سرمدن وطوائف الاكراد فتمكن من البلاد. وكتب ابن العميد الى ركن الدولة ان يعطيه ملكها. ولعله يعوض ابراهيم عنها لكثرة جبايتها وقلة معرفة

ابراهيم بالجباية ، وأن يشهد فيها بالخروج عن ملكه فأبى من ذلك ، وقال لاأفعل ذلك بمن استجار بي فسلم له ابن العميد البلاد ورجع .

(تنبيه) اخبار بني مسافر المعروفين ببني السلار ملوك اذبيجان نقلتها من كتاب ابن الاثير وإلى ههنا انتهى في أخبارهم. وأحال على ما بعده فقال بعد ذلك : وكان الامير كما ذكر ابن العميد قد أخذ ابراهيم وحبسه على ما ذكره ، ولم نقف على ذكر شيء من أخبار ابراهيم بعد ذلك ولا من خبر قومه . وذكر انّ محمود بن سبكتكين بعد خبر استيلائه على الري سنة عشرين وأربعمائة أنه بعث الى المرزبان بن الحسين بن حرابيل من أولاد ملوك الديلم ، والتجأ الى محمود فبعثه الى بلاد السلار ؛وهو ابراهيم بن المرزبان بن اسمعيل بن وهشودان بن محمد بن مسافر الديلمي ، وكان له من البلاد شهرخان وزنجان وشهرزور وغيرها فقصدها واستمال الديلم . وعاد محمود الى خراسان فسار السلار ابراهيم الى قزوين فملكها ، وقتل من عساكر محمود الذين بها وتحصن بقلعة الري ، وكان بينهم وقائع ظهر فيها السلار . ثم استمال مسعود بن محمود طوائف من عسكره وجاؤا اليه ودلوه على عورة الحصن الذي فيه السلار ، وسلكوا بعسكره من طرق غامضة . وبعث اليه العسكر في رمضان سنة ست وعشرين فانهزم. وقبض عليه مسعود وحمله الى سرجهار، وبها ولده ، وطالب أن

يسلم اليه القلعة فأبى وعاود عنه . وتسلم بقية قلاعه ، وأخذ أمواله ، وقرّر على ابنه بسرجهار مالاً ، وعلى الاكراد الذين في جواره . وعاد الى الري . وهذا السلار الذي ذكر غير السلار الاوّل . ولم يتصل الخبر بالخبر المتقدم . ثم ذكر أخبار الغز الذين تقدّموا بين يدي السلجوقية وانتشروا في بلاد الري وملكوها وكثيراً من بلادها . ووصلت طائفة منهم الى اذربيجان الذين كان مقدّمهم بوقا وكوكتاش ومنصور ودانا .

دخول الغز أذربيجان

يقال دخل هؤلاء الغز الى اذربيجان وسمى صاحبها يومئذ وهشودان بن غلاك فأكرمهم ، وصاهرهم يدافع شرهم بذلك ، ويستميلهم لنصرته فلم يحصل من ذلك بطائل . وعاثوا في البلاد أشدّ العيث ، ودخلوا مراغة سنة تسع وعشرين وأربعمائة فقتلوا أهلها وحرقوا مساجدها . وفعلوا كذلك بالاكراد الهمذانية فاتفق أهل البلاد على مدافعتهم . وأصلح أبو الهيجاء ابن ربيب الدولة ووهشوذان صاحبا اذربيجان ، واتفقت كلمتها واجتمع معها أهل همذان فانصرفت تلك الطائفة عن اذربيجان ، وافترقوا على الريّ كما تقدّم في أخبارهم . وبقي الغز الذين تقدّموا قبلهم فقاسى منهم أهل اذربيجان شدّة وفتك فيهم وهشوذان بتبريز سنة اثنتين وثلاثين فتكة أوهنت منهم . ودعا منهم جمعاً كثيراً

الى صنيع ، وقبض على ثلاثين من مقدّميهم فقتلهم ، وفر الباقون من ارمينية الى بلاد الهكارية من أعمال الموصل ، وكانت بينهم وبين الاكراد وقائع ذكرناها في أخبار الغز بالموصل . ولم يُعِد ابن الاثير لبني المرزبان ملوك اذربيجان ذكراً إلى أن ذكر استيلاء طغرلبك على البلاد ، والمفهوم من فحوى الاخبار أنّ الاكراد استولوا عليها بعد بني المرزبان ، والله أعلم .

استيلاء طغرلبك على أذربيجان

قال ابن الاثير : وفي سنة ست وأربعين سار طغرلبك الى اذربيجان وقصد تبريز ، وصاحبها الامير منصور بن وهشوذان بن محمد الروادي فأطاعه وخطب له وحمل اليه ، ورهن عنده ولده فسار طغرلبك عنه الى الامير أبي الاسوار صاحب جنزة فأطاع وخطب ، وكذلك سائر النواحي ارسلوا إليه يبذلون الطاعة والخطبة ، وانقاد العساكر إليه فأبقى عليهم بلادهم ، وأخذ رهنهم وسار الى ارمينية كذلك . وقصد ملاذكرد وهي للنصرانية فعاث في بلادها وخرب أعمالها ، وغزا من هنالك بلاد الروم وانتهى الى أرزن الروم فأثخن في بلادهم ودوّخها ، وعاد ابن السلار إلى العراق . وذكر ابن الاثير خلال هذا غزوة فضلون الكردي الى الخزر من التركان على ما مرّ اوّل الكتاب فقال : كان بيد فضلون الكردي قطعة كبيرة من اذربيجان فغزا الى

الخزر سنة احدى وعشرين، ودوّخ البلاد وقفل فجاؤا في أثره وكبسوه، وقتلوا أيضا بخطط ملك الانجاز الى مدينة تفليس فقال: وفي سنة تسع وعشرين زحف ملك الانجاز الى اذربيجان ليتعرّف المسلمين[1] على حين وصول الغز الى اذربيجان وما فعلوه فيها، وسمع الانجاز بأخبارهم فأجفلوا عن مخلفهم، ووصل وهشوذان صاحب اذربيجان وصرف نظره الى ملاطفة الغز ومصاهرتهم ليستعين بهم كما مرّ. هذا آخر ما وجدناه من أخبار ملوك اذربيجان، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

الخبر عن بني شاهين ملوك البطيحة ومن ملكها من بعدهم من قرابتهم وغيرهم وابتداء ذلك ومصايره

كان عمران بن شاهين من المصامدة، وكان يتصرّف في الجباية، وحصل بيده منها مال فتخوّف وألح عليه الطلب فهرب الى البطيحة ممتنعاً من الدولة. وكان له نجدة وبأس وصبر على الشظف فأقام هنالك بين القصب والآجام يقتات بسمك الماء والطير،

(١) كذا بالأصل، عبارة مبهمة. وفي الكامل ج ٨ ص ١٥: في هذه السنة حضر ملك الإنجاز مدينة تفليس، وامتنع أهلها عليه، فأقام محاصراً ومضيقاً فنفدت الأقوات وانقطعت الميرة، فأنفذ أهلها إلى أذربيجان يستنفرون المسلمين ويسألونهم إعانتهم؛ فلما وصل الغز إلى أذربيجان، وجمع الإنجاز بقربهم، وبما فعلوا بالأرمن، رحلوا عن تفليس مجفلين خوفاً، ولما رأى وهشوذان صاحب أذربيجان قوة الغز وأنه لا طاقة له بهم لاطفهم وصاهرهم واستعان بهم. وأنت ترى أن في عبارة ابن الأثير غموضاً أيضاً وتختلف عن الذي أثبت هنا.

ويتعرّض للرفاق التي تمرّ بالطريق فيأخذها . واجتمع اليه لصوص الصيادين فقوي وامتنع على السلطان ، وتمسك بخدمة أبي القاسم ابن البريدي صاحب البصرة فأمّنه ، ووصل حبل الطاعة بيده ، وقلده حماية تلك النواحي الى الجامدة دفعاً لضرره عن السابلة فعز جانبه ، وكثر جمعه وسلاحه واتخذ معاقل على التلال بالبطائح ، وغلب على تلك النواحي ولما استولى معز الدولة على بغداد، وقام بكفالة الخلافة والنظر في أمورها أهمه شأن عِمْران هذا وامتناعه في معاقله في نواحي بغداد فجهز اليه وزيره أبا جعفر الصيمري في العساكر . وسار اليه سنة ثمان وثلاثين وتعدّدت بينهما الحروب والوقائع ، ثم هزمه الصيمري . ثم أتاه الخبر بمسيره الى شيراز كما تقدّم في أخبار دولتهم .

مسير العساكر الى عمران بن شاهين وانهزامها

ولما انصرف الصيمري عن عمران عاد الى حاله فبعث مُعِزّ الدولة لقتاله روزبهان من أعيان الديلم في العساكر فتحصن منه في مضايق البطائح ، فطاوله فضجر روزبهان ، واستعجل قتاله فهزمه عِمْران ، وغنم ما معهم فاستفحل وقوي وأفسد السابلة . وكان أصحابه يطلبون الخفارة من جند السلطان اذا مرّوا بهم الى ضياعهم ومعايشهم بالبصرة فبعث معز الدولة بالعساكر مع المهلبيّ ، وزحف الى البطائح سنة أربعين ، ودخل عِمْران في

مضايقه ، وأشاروا عليه بالهجوم فلم يفعل فكتب اليه معز الدولة بذلك باشارة روزبهان فدخل المهلبي المضايق بجميع عسكره، وقد أكمن لهم عمران فخرج عليهم الكمين ، وتقسموا بين القتل والغرق والأسر ، ونجا المهلبي سابحاً في الماء. وكان روزبهان متأخراً في الزحف فسلم، وأسر عمران كثيراً من قوادهم الاكابر ففاداه معز الدولة بمن في أسره من أهله وأصحابه ، وقلده ولاية البطائح فاستفحل أمره .

ثم انتقض سنة أربع وأربعين لخبر بلغه عن مرض طرق معز الدولة، وأرجف أهل بغداد بموته ، ومرّ به مال من الاموال يحمل الى معز الدولة ، ومعه جماعة من التجار فكبسهم وأخذ جميع ما معهم . ثم ردّ ذلك بعد ابلال معز الدولة من مرضه ، وفسد ما بينهما من الصلح . ثم سار مُعزّ الدولة الى واسط سنة خمس وخمسين فبعث العساكر من هنالك لقتال عمران مع أبي الفضل العباس بن الحسن. وقدم عليه نافع مولى ابن وجيه صاحب عُمان يستنجده عليها فانحدر الى الأُبُلّة، وبعث معه المراكب الى عُمان. وسارت عساكره الى البطائح فنزلوا الجامدة ، وسدّوا الانهار التي نصب اليها .

ثم رجع معز الدولة من الأبلة، وطرقه المرض فجهز العساكر لقتال عمران ودعا الى بغداد فهلك وولي بعده ابنه عز الدولة بختيار فأعاد العساكر المجمرة على عمران، وعقد معه الصلح

فاستمرّ حاله. ثم زحف بختيار اليه سنة تسع وخمسين، وأقام بواسط يتصيد شهراً. ثم بعث وزيره الى الجامدة، وطرق البطيحة فسدّ مجاري المياه، وقلبها الى أنهارها وهي الجسور الى العراق. ثم جاء المدّ من دجلة وخرب جميع ذلك. ثم انتقل عمران الى معقل آخر ونقل ماله اليه، حتى اذا حسر المياه وانتهجت الطرق فقدوا عمران من مكانه، وطال عليهم الامر، وشغب الجند على الوزير فأمر بختيار بمصالحته على ألف ألف درهم. ولما رحل العسكر عنه ثار أصحابه في اطراف الناس فنهبوا كثيراً من العساكر، ووصلوا الى بغداد سنة احدى وستين.

وفاة عمران بن شاهين وقيام ابنه الحسن مقامه ومحاربته عساكر عضد الدولة

ثم توفي عمران بن شاهين فجأة في محرّم سنة تسعة وستين لاربعين سنة من ثورته، بعد أن طلبه الملوك والخلفاء ورددوا عليه العساكر فلم يقدروا عليه. ولما هلك قام بعده ابنه الحسن فطمع عضد الدولة فيه، وجهز العساكر مع وزيره وسدّوا عليه المياه وأنفق فيها أموالاً وجاء المدّ فأزالها، وبقوا كلما سدّوا فوهة فتق الحسن أخرى وفتح الماء أمثالا لها، ثم وافقهم في الماء فاستظهر عسكر الحسن، وكان معه[1] المظفر أبو الحسن ومحمد بن عُمَر، العلوي

(١) الضمير يعود إلى عضد الدولة وإن ظهر أنه يعود إلى الحسن.

الكوفي، فاتهمه بمراسلة الحسن وافشاء سرّه اليه، وخاف إن تنقص منزلته عند عضد الدولة فطعن نفسه فمات، وأدرك بآخر رمق فقال: محمد بن عمر حملني على هذا، وحمل الى ولده بكازرون فدفن هنالك، وأرسل عضد الدولة الى العسكر من رجعه اليه، وصالح الحسن بن عمران على مال يحمله وأخذ رهنه بذلك.

مقتل الحسن بن عمران وولاية أخيه أبي الفرج

كان الحسن بن عمران آسفاً[1] على أخيه أبي الفرج وحنقا عليه، ولم يزل يتحيل عليه الى أن دعاه الى عيادة أخت لهما مرضت، وأكمن في بيتها جماعة اعدّها القتلة فدخل الحسن منفرداً عن أصحابه فاغلقوا الباب دونهم وقتلوه. وصعد أبو الفرج الى السطح فأعلمهم بقتله ووعدهم فسكنوا. ثم بذل لهم المال فأقره، وكتب الى بغداد بالطاعة فكتب له بالولاية، وذلك لثلاث سنين من ولاية الحسن.

مقتل أبي الفرج وولاية أبي المعالي بن الحسن

ثم انّ أبا الفرج لما قتل أخاه الحسن قدم الجماعة الذين قتلوه على أكابر القواد، وكان الحاجب المظفر بن علي كبير قواد عمران والحسن فاجتمع اليه القواد وشكوا اليه فسكنهم فلم يرضوا،

(١) بمعنى: غاضب.

وحملوه عـلى قتـل أبي الفرج فقتله ، ونصب أبا المعالي ابن أخيـه الحسن مكانه لاشهر من ولايته . ثم تولى تدبيره بنفسه لصغره ، وقتل من كان يخافه من القواد واستولى على أموره كلها .

استيلاء المظفر وخلع أبي المعالي

ثم انّ المظفر بن علي الحاجب القائم بأمر أبي المعالي طمع في الاستقلال بـأمر البطيحة فصنع كتاباً عـلى لسان صمصام الدولة سلطان بغداد بولايته ، وجاء به ركابي عليه أثر السفر وهو بدست امارته فقرأه بحضرتهم ، وتلقاه بالطاعة. وعزل أبا المعالي وأخرجه مع أمه الى واسط ، وكان يصلهما بالنفقة . وأحسن السيرة بالناس وانقرض بيت عمران بن شاهين. ثم عهد الى ابن أخته عـليّ بن نصر ويكنى أبا الحسن ، وتلقب بالامير المختار ، وبعده الى ابن أخته الاخرى ويكنى أبا الحسن ويسمى عليّ بن جعفر .

وفاة المظفر وولاية مهذب الدولة

ثم توفي الحاجب المظفر صاحب البطيحة سنة ست وسبعين لثلاث سنين من ولايته ، وولي بعده ابن أخيه أبو الحسن علي ابن نصر بعهده اليـه كما مرّ . وكتب الى شرف الدولة سلطان بغداد بالطاعة فقلده ، ولقبه مهذب الدولة فأحسن السيرة ، وبذل المعروف وأجار الخائف فقصده الناس وأصبحت البطيحة معقلاً .

واتخذها الاكابر وطناً وبنوا فيها الدور والقصور. وكاتب ملوك الاطراف وصاهره بهاء الدولة بابنته، وعظم شأنه واستجار به القادر عندما خاف من الطائع وهرب اليه فأجاره، ولم يزل عنده بالبطيحةثلاث سنين الى أن استدعي منها للخلافة سنة احدى وثمانين.

بعث ابن واصل على البطيحة وعزل مهذب الدولة

كان من خبر أبي العباس بن واصل هذا أنه كان ينوب عن رزبوك الحاجب، وارتفع معه ثم استوحش منه ففارقه وسار الى شيراز، واتصل بخدمة فولاد وتقدّم عنده. ثم قبض على فولاد فعاد الى الاهواز، ثم أصعد الى بغداد، ثم خرج منها، وخدم أبا محمد بن مكرم. ثم انتقل الى خدمة مهذب الدولة بالبَطيحَة وتقدّم عنده. ولما استولى السكرستان على البصرة بعثه مهذب الدولة في العساكر لحربه فقتله وغلبه، ومضى الى شيراز فأخذ سفن محمد بن مكرم وأمواله ورجع الي أسافل دجلة فتغلب عليها، وخلع طاعة مهذب الدولة فأرسل اليه مائة سميرية مشحونة بالمقاتله ففرق بعضها وأخذ ابن واصل الباقي وعاد الى الأُبُلّة فبعث اليه أبا سعيد بن ماكولا فهزمه ثانية، واستولى على ما معه، وأصعد الى البطيحة وخرج مهذب الدولة الى شجاع بن مروان وابنه صدقة فغدروا به، وأخذوا أمواله ولحق بواسط. واستولى ابن واصل على البطيحة وعلى أموال مهذب الدولة وجمع ما كان لزوجه

ابنة بهاء الدولة . وبعث به الى أبيها وكانت قد لحقت ببغداد. ثم اضطرب عليه أهل البطائح وبعث سبعمائة فارس الى البلاد المجاورة فقاتلهم أهلها وظفروا بهم ، وخشي ابن واصل على نفسه فعاد الى البصرة وترك البطائح فوضى ، ونزل البصرة في قوّة واستفحال . وخشي أهل النواحي عاديته فسار بهاء الدولة من فارس الى الاهواز ليتلافى امره ، واستدعى عميد الجيوش من بغداد وسيره في العساكر اليه فجاء الى واسط ، واستكثر من السفن ، وسار الى البطائح . وسار اليه ابن واصل من البصرة فهزمه ، وغنم ثقله وخيامه ، ورجع ابن واصل مفلولا(١) .

عود مهذب الدولة الى البطيحة

ولما انهزم عميد الجيوش أقام بواسط فجمع عساكره لمعاودة ابن واصل . ثم بلغه أنّ نائب بن واسط بالبطائح قد خرج مجفلًا فبعث الى بغداد وبعث بالعساكر ، وهمّ بالانتقاض فاستدعى

---

(١) مفلولاً : تعني : مهزوماً ولكن الرواية تدل أن عميد الجيوش هو المهزوم. ولا شك أن هنا عبارة ناقصة. وفي الكامل ج ٧ ص ٢٢٤ : ولما سمع بهاء الدولة بحال أبي العباس وقوته خافه على البلاد فسار من فارس إلى الأهواز لتلافي أمره وأحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهز معه عسكراً كثيفاً، وسيرهم إلى أبي العباس فأتى إلى واسط، وعمل ما يحتاج إليه من سفن وغيرها وسار إلى البطائح، وسمع أبو العباس (ابن واصل) بمسيره إليه فأصعد إليه من البصرة. ووصل إلى عميد الجيوش وهو على تلك الحال من تفرق العسكر عنه فلقيه فيمن معه بالصليق فانهزم عميد الجيوش ووقع من معه بعضهم على بعض، ولقي عميد الجيوش شدة إلى أن وصل إلى واسط وذهب ثقله، وخيامه، وخزائنه.

عميد الجيوش مهذّب الدولة من بغداد ، وبعثه بالعساكر في السفن الى البَطيحَة سنة خمس وستين فاستولى عليها. واجتمع عليه أهل الولايات وأطاعوه ، وقرّر عليها بهاء الدولة خمسين ألف دينار في كل سنة . وشغل عن ابن واصل بتجهيز العساكر الى خوزستان وطمع في الملك، واجتمع عنده كثير من الديلم وأصناف الاجناد. وسار الى الاهواز ، وسير بهاء الدولة عسكراً للقائه فهزموهم ، ودخل دار الملك وأخذ ما كان فيها . وبعث الى بهاء الدولة في الصلح فصالحه وزاد في إقطاعه. ثم بعث بهاء الدولة العساكر للقائه وسار الى الاهواز، وزحف اليها ابن واصل ومعه بدر بن حسنويه فبعث بهاء الدولة الوزير بالبطيحة فهزمه الوزير ثانية ، فمضى مع حسان بن محال الخفاجيّ الكوفي وملك الى الكوفة ، وملك البصرة . وسار ابن واصل الى دجلة قاصداً بدر بن حسنويه فبلغ جامعين فأنزله أصحاب بدر ، وكان أصحاب أبي الفتح بن عنان قريباً منه فكبسه ، وجاء به الى بغداد فبعثه عميد الجيوش الى بهاء الدولة فقتله سنة ست وتسعين كما مرّ في أخبار الدولة .

وفاة مهذب الدولة وولاية ابن اخته عبد الله بن نسى

ثم توفي مهذب الدولة عبدالله بن علي بن نصر في جمادى سنة ثمان وأربعمائة ، وكان ابن أخته أبو عبدالله محمد بن نسى قائماً بأموره ومرشحاً للولاية مكانه. وقد اجتمع عليه الجند واستحلفهم

لنفسه. وبلغه قبل وفاة خاله أنّ ابنه أبا الحسن أحمد داخل بعض الجند في البيعة له بعد أبيه فاستدعاه ، وحمله اليه الجند فقبض عليه . ودخلت اليه أمّه فخبرته الخبر فلم يزد على الاسف له . وتوفي مهذب الدولة من الغد ، وولى أبو محمد بن نسى مكانه وقتل أبو الحسين ابن خاله لِثَلاثٍ من وفاة أبيه .

وفاة ابن نسى وولاية السراني

ثم توفي أبو عبدالله محمد بن نسى لثلاثة أشهر من ولايته ، واتفق الجند على ولايه أبي محمد الحسين بن بكر السراني من خواص مهذب الدولة فولوه عليهم ، وبذل لسلطان الدولة ملك بغداد مالاً فأقرّه على ولايته .

نكبة السراني وولاية صدقة المازياري

وأقام أبو محمد السراني على البطيحة الى سنة عشر وأربعمائة ، وبعث سلطان الدولة صدقة بن فارس المازياري فنكبه وملك البطيحة ، وبقي عنده أسيراً الى أن توفي صدقه وخلص على ما يذكر .

وفاة صدقة وولاية سابور بن المرزبان

ثم توفي صدقة بن فارس المازياري في محرم لاثنتي عشرة سنة

من ولايته ، وكان سابور بن المرزبان بن مردان قائد جيشه . وكان أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين قد تنقل بعد موت أبيه في البلاد بمصر ، وعند بدر بن حسنويه حتى استقر عند الوزير أبي غالب ، ونفق عنده بما كان لديه من الادب .

عزل سابور وولاية أبي نصر

ثم انّ أبا نصر بن مردان زاد في المقاطعة ولم يبلغها سابور ، وتخلى عن الولاية وفارق البطيحة الى جزيرة بني دبيس ، واستقرّ أبو نصر في ولايتها . ثم عادت الى أبي عبدالله الحسين بن بكر السراني .

عصيان أهل البطيحة على أبي كاليجار

وبعث أبو كاليجار سنة ثمان عشرة وزيره ابا محمد بن نابهشاد الى البطيحة ، ومقدّمها يومئذ أبو عبدالله الحسين بن بكر السراني فعسف بالناس في أموالهم ، وقسط عليهم مقادير تؤخذ منهم فانجلوا الى البلاد . وعزم الباقون على قتل السراني . ونما الخبر الى السراني فجاء اليهم واعتذر اليهم ، وأوعدهم بالمساعدة . وأشار عليه الوزير باصلاح السفن حتى زحزحها بحيث لا يتمكن منها . ثم وثبوا به فأخرجوه ، وكان عندهم جماعة من عسكر جلال الدولة محبوسين فأخرجوهم ، واستعانوا بهم وعادوا الى الامتناع

الذي كانوا عليه أيام مهذب الدولة فتم لهم ذلك . ثم جاء ابن العبراني فغلب على البطيحة وأخرج منها السراني فلحق بيزيد بن مزيد ، وأقام بها ابن العبراني سنة ثلاث وثلاثين فزحف اليه أبو نصر بن الهيثم فغلبه عليها ونهبها واستقرّ في ملكها على ما يؤدّيه لجلال الدولة .

استيلاء أبي كاليجار على البطيحة

ولما كانت سنة تسع وثلاثين بعث أبو كاليجار أبا الغنائم أبا السعادات الوزير في عسكر لحصار البطيحة فحاصرها ، وبها ابو منصور بن الهيثم حتى جنح الى الصلح ، واستأمن نفر من أصحابه الى أبي الغنائم وأخبروه بضعفه وعزمه على الهرب فحفظ عليه الطرق . ولما كان شهر صفر من السنة واقعهم أبو الغنائم فظفر بهم ، وقتل من أهل البطيحة خلقاً كثيراً وغرقت منهم سفن متعددة وتفرّقوا في الآجام ، وركب ابن الهيثم السفن ناجياً بنفسه وأحرقت داره ونهب ما فيها .

ولاية مهذب الدولة بن أبي الخير على البطيحة

ثم كان بعد ذلك لبني أبي الخير ولاية على البطيحة فيما قبل المائة الخامسة وما بعدها ولا أدري ممن هؤلاء بنو أبي الخير إلا أنّ ابن الاثير قال : كان اسمعيل ولقبه المصطنع ، ومحمد ولقبه المختص ، هما ابنا أبي الخير ، ولهما رياسة قومهما. وهلك المختص

وقام مكانه ابنه مهذب الدولة. ونازع ابن الهيثم صاحب البطيحة الى أن غلبه مهذب الدولة أيام كوهرايين الشحنة ببغداد. وكان بنو عمه وعشيرته تحت حكمه. وأقطع السلطان محمد سنة خمس وتسعين وخمسمائة مدينة واسط لصدقة بن مزيد صاحب البطيحة والحلة فضمنها منه مهذب الدوله أحمد بن أبي الخير صاحب البَطيحَة، وفرّق أولاده في الاعمال. وطالبه صدقة بالاموال وحبسه وضمن حماد ابن عمه واسط. وكان مهذب الدولة يصانع حماد ابن عمه اسمعيل ويداريه، وحماد يطمح الى رياسته فلما هلك كوهرايين نازع حماد مهذب الدولة ابن عمه، واجتهد مهذب الدولة في اصلاحه فلم يقدر، فجمع النفيس بن مهذب الدولة فهرب حماد الى صدقة مستجيشاً به فعاد بالجيش، وحاربه مهذب الدولة وزاده صدقة المدد فانهزم مهذب الدولة. وهلك أكثر عسكره وقوي طمع حماد. واستمدّ صدقة فامدّه بالعساكر مع مقدّم جيشه حميد ابن سعيد. وبعث مهذب الدولة لصاحب الجيش بالاقامات والصلات فمال اليه، وأصلح ما بينه وبين صدقة. وبعث مهذب الدولة ابنه النفيس الى صدقة فأصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم، وكان ذلك أعوام الثلاثين.

ولاية نصر بن النفيس والمظفر بن حماد من بعده على البطيحة

ثم كان انتقاض دبيس بن صدقة أيام المسترشد والسلطان

محمود ، وكان البرسقي شحنة ببغداد فانتزع السلطان البطيحة من يد دبيس ، وأقطعها الى سحان الخادم مولاه فولى عليها نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن محمد بن أبي الخير . وأمر السلطان محمود البرسقي بالمسير لقتال دبيس فاحتشد وسار لذلك ، ومعه نصر بن النفيس صاحب البطيحة ، وابن عمه المظفر بن حماد ابن اسمعيل بن أبي الخير ، وبينهما من العداوة المتوارثة ما كان بين سلفهما . والتقى البرسقي ودبيس ، وهزمه دبيس ، وجاءت العساكر منهزمة . وبقي نصر بن النفيس وابن عمه حماد عند ساباط النهر فقتله ، ولحق بالبطيحة فملكها ، وبعث الى دبيس بطاعته وبعث دبيس الى الخليفة يصانعه بالطاعة على البعد . وبلغ الخبر الى السلطان محمود فقبض على منصور بن صدقة أخي دبيس وولده فكحلها فاستشاط دبيس وساء أثره في البلاد ، وبعث الى أحيائه بواسط فمنعهم الاتراك الذين بها فبعث مهلهل بن أبي العسكر مقدّم عساكره في جيش ، وكتب الى المظفر بن حماد صاحب البطيحة بمعاضدته على قتال واسط فتجهز وأصعد ، وعاجل مهلهل الحرب قبل وصوله فهزمه أهل واسط وغنموا ما معه ، وكان في جملتها بخط دبيس وصار معهم ، وساءت آثار دبيس في البلاد ، ولم يزل حال البطيحة على ذلك . ثم صار أمرها لبني معروف وأجلاهم الخلفاء عنها .

اجلاء بني معروف من البطيحة

كان بنو معروف هؤلاء أمراء بالبطيحة في آخر المائة السادسة ، ولا أدري ممن هم فلما استجمع للخلفاء أمرهم ، وخرجوا عن استبداد ملوك السلجوقية ، واقتطعوا الاعمال من أيديهم شيئاً فشيئاً فصار لهم الحِلّة والكوفَة وواسط والبصرة وتكريت وهيت والانبار والحديثة . وجاءت دولة الناصر وبنو معروف على البطيحة وكبيرهم معلّى . قال ابن الاثير : وهم قوم من ربيعة كانت غربي الفرات تحت سورا وما يتصل بها من البطائح ، وكثرت اذاياتهم وافسادهم في النواحي . وبلغت الشكوى بهم الى الديوان فأمر الخليفة الناصر مغذا الشريف متولي بلاد واسط أن يسير الى قتالهم فاستعدّ لذلك ، وجمع من سائر تلك الاعمال فسار اليهم سنة ست عشرة بالعير من بلاد البطيحة ، وفشا القتل بينهم . ثم انهزم بنو معروف ، وتفرّقوا بين القتل والاسر والغرق ، واستبيحت أموالهم وانتظمت البطيحة في أعمال الناصر ، ولم يبق بها ملك ولا دولة .

دولة بني حسنويه

الخبر عن دولة بني حسنويه من الاكراد القائمين بالدعوة العباسية بالدينور والصامغان ومبدأ أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان حسنويه بن الحسين الكردي من طائفة الاكراد يعرفون بالريزنكاس، وعشيرة منهم يسمون الدويلتية، وكان مالكاً قلعة سرياج وأميراً على البررفكان. وورث الملك عن خاليه ونداد وغانم ابني أحمد بن علي، وكان صنفهما من الاكراد يسمون العبابيّة وغلبا على أطراف الدينَوَر وهَمَذان ونَهاوَنْد والصامِغان، وبعض نواحي أذَرْبيجان الى حدود شَهْرَزور فملكاها نحواً من خمسين سنة، ولكل واحدَ منهما ألوف من العساكر، وتوفي ونداد ابن أحمد سنة تسع وأربعين، وقام مقامه ابنه أبو الغنائم عبد الوهاب الى أن أسره الشادنجان من طوائف الاكراد، وسلموه الى حسنويه فأخذ قلاعه وأملاكه.

وتوفي غانم سنة خمسين وثلثمائة فقام ابنه أبو سالم دسيم مكانه بقلعة قتنان إلى أن أزاله أبو الفَتح بن العميد، واستصفى قلاعه المسماة بستان وغانم أفاق وغيرهما. وكان حسنويه حسن السيرة ضابطاً لامره، وبنى قلعة سرماج بالصخور المهندسة وبنى بالدينَوَر

جامعاً كذلك، وكان كثير الصدقة للحرمين. ولما ملك بنو بويه البلاد واختص ركن الدولة بالريّ وما يليه كان شيمة ومدداً على عدوّه فكان يرعى ذلك، ويغضي عن أموره الى أن وقعت بين ابن مسافر من قوّاد الديلم وكبارهم وقعة هزمه فيها حسنويه، وتحصن بمكان فحاصره فيه وأضرمه عليه ناراً فكاد يهلك. ثم استأمن له فغدر به وامتعض لذلك ركن الدولة وأدركته نعرة العصبية، وبعث وزيره أبا الفضل بن العميد في العساكر سنة تسع وخمسين فنزل همذان وضيق على حسنويه، ثم مات أبو الفضل فصالحه ابنه أبو الفتح على مال ورجع عنه.

وفاة حسنوية وولاية ابنه بدر

ثم توفي حسنويه سنة تسع وستين وافترق ولده على عضد الدولة لقتال أخويه محمد وفخر الدولة، وكانوا جماعة أبو العلاء وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار وعبد الملك. وكان بختيار بقلعة سرماج ومعه الاموال والذخائر فكاتب عضد الدولة ورغب في طاعته، ثم رغب عنه فسير اليه عضد الدولة جيشاً وملك قلعته وغيرها من قلاعهم. ولما سار عضد الدولة لقتال أخيه فخر الدولة، وملك هَمَذان والريّ وأضافها الى اخيه مؤيد الدولة، ولحق فخر الدولة بقابوس بن وشمكير، عرّج عضد الدولة الى ولاية حسنويه الكردي فافتتح نهاوند

والدينَوَر وسرماج وأخذ ما فيها من ذخائره ، وكانت جليلة المقدار. وملك معها عدّة من قلاع حسنويه، ووفد عليه أولاد حسنويه فقبض على عبد الرزاق وأبي العلاء وأبي عدنان ؛ واصطنع من بينهم أبا النجم بدر بن حسنويه وخلع عليه وولاه على الاكراد ، وقوّاه بالرجال فضبط ملك النواحي وكف عادية الاكراد بها. واستقام أمره فحسده أخواه ، وأظهر عاصم وعبد الملك منهم العصيان ، وجمعا الاكراد المخالفين. وبعث عضد الدولة العساكر فأوقعوا بعاصم وهزموه وجاؤا بـه اسيراً الى هَمَذان ، ولم يوقف له بعد ذلك على خبر ، وذلك سنة سبعين . وقتل جميع أولاد حسنويه وأقرّ بدراً على عمله .

حروب بدر بن حسنويه وعساكر مشرف الدولة

ولما توفي عضد الدولة وملك ابنه صمصام الدولة ثار عليه أخوه مشرف الدولة بفارس ، ثم ملك بغداد. وكان فخر الدولة بن ركن الدولة قد عاد من خُراسان الى مملكة اصفهان والريّ بعد وفاة أخيه مؤيد الدولة ، وأوقع بينه وبين مشرف الدولة فكان مشرف الدولة يحقد عليه. فلما استقرّ ببغداد وانتزعها من يد صمصام الدولة وكان قائده قراتكين الجهشاوي مدلا عليه متحكماً في دولته، وكان ذلك يثقل على مشرف الدولة ، جهزه في العساكر لقتال بدر بن حسنويه يروم احدى الراحتين فسار الى بدر سنة سبع

وسبعين، ولقيه على وادي قرميسين. وانهزم بدر حتى توارى ولم يتلقوه ونزلوا في خيامه، ثم كرّ بدر فأعجلهم عن الركوب، وفتك فيهم واحتوى على ما معهم. ونجا قراتكين في فلّ الى جسر النهروان فلحق به المنهزمون، ودخل بغداد. واستولى بدر على أعمال الجبل وقويت شوكته واستفحل أمره. ولم يزل ظاهراً عزيزاً وقلد من ديوان الخلافة سنة ثمان وثمانين أيام السلطان بهاء الدولة، ولقب ناصر الدولة. وكان كثير الصدقات بالحرمين، وكثير الطعام للعرب بالحجاز لخفارة الحاج، وكف أصحابه من الاكراد عن افساد السابلة فعظم محله وسار ذكره.

مسير بن حسنويه لحصار بغداد مع أبي جعفر بن هرمز

كان أبو جعفر الحجاج بن هرمز نائباً بالعراق عن بهاء الدولة، ثم عزل فدال منه بابي علي ابن أبي جعفر أستاذ هرمز، وتلقب عميد الجيوش فأقام أبو جعفر بنواحي الكوفة وقاتل عميد الجيوش فهزمه العميد. ثم جرت بينهما حروب سنة ثلاث وستين، وأقاما على الفتنة والاستنجاد بالعرب من بني عقيل وخفاجة وبني أسد وبهاء الدولة مشتغل بحرب ابن واصل في البصرة. واتصل ذلك الى سنة سبع وتسعين. وكان ابن واصل قد قصد صاحب طريق خراسان وهو قلج، ونزل عليه واجتمعا على فتنة عميد الجيوش. وتوفي هذه السنة فولى عميد الجيوش مكانه أبا الفتح محمد بن قلج

عنان عدوّ بدر بن حسنويه . وفحل الاكراد المسامي لبـدر في الشؤن وهو من الشاذنجان من طوائف الاكراد، وكانت حُلوان له فغضب لذلك بدر ومـال الى أبي جعفر، وجمع له الجموع من الاكراد مثل الامير هندي بن سعدي وأبي عيسى سادي بن محمـد وورام بن محمد وغيرهم . واجتمع له معهم علي بن مزيد الأسدي. وزحفوا جميعاً الى بغداد ونزلوا على فرسخ منها .

ولحق ابو الفتح بن عنان بعميد الجيوش، وأقام معه ببغداد حامياً ومدافعاً الى أن وصل الخبر بهزيمـة ابن واصل وظهور بهاء الدولة عليه فأجفلوا عن بغداد، وسار أبو جعفر الى حُلوان ومعه أبو عيسى وراسل بهاء الدولة . ثم سار ابن حسنويه الى ولاية رافع بن معن من بني عقيـل يجتمع مع بني المسيب في القلد، وعاث فيها لانه كان آوى أبا الفتح بن عنان حين أخرجه بدر من حُلوان وقرميسين، واستولى عليها فأرسل بدر جيشاً الى أعمـال رافع بالجناب ونهبوها وأحرقوها . وسار أبو الفتح بن عنان إلى عميد الجيوش ببغداد فوعده النصر، حتى اذا فرغ بهاء الدولة من شأن ابن واصل وقتله أمر عميد الجيوش بالمسير الى بدر بن حسنويه لاعانته على بغداد، وامداده ابن واصل[1] فسار لذلك،

---

(١) العبارة لا تخلو من غموض. والمقصود أن بدراً كان عوناً ومدداً لابن واصـل ـ وهو عـدوّ بهاء الدولة.

ونزل جنديسابور، وبعث اليه بدر في الصلح على أن يعطيه ما أنفق على العساكر فحمل اليه ورجع عنه.

انتقاض هلال بن بدر بن حسنويه على أبيه وحروبهما

كانت أمّ هلال هذا من الشادنجان رهط أبي الفتح بن عنان وأبي الشوك بن مهلهل، واعتزلها أبوه لاوّل ولادته فنشأ مبعداً عن أبيه، واصطفى بدر ابنه الآخر ابا عيسى وأقطع هلالا الصامغان فأساء مجاورة ابن المضاضي صاحب شهرزور، وكان صديقاً لبدر فنهاه عن ذلك فلم ينته. وبعث ابن المضاضي يتهدّده فبعث اليه أبوه بالوعيد فجمع وقصد ابن المضاضي وحاصره في قلعة شهرزور حتى فتحها. وقتل ابن المضاضي واستباح بيته فاتسع الخرق بينه وبين أبيه واستمال أصحاب أبيه بدر، وكان بدر نسيكا فاجتمعوا الى هلال وزحف لحرب أبيه والتقيا على الدينَوَر. وانهزم بدر وحمل أسيراً الى ابنه هلال فردّه في قلعته للعبادة، وأعطاه كفايته بعد أن ملك الحصن الذي تملكه بما فيه. فلما استقرّ بدر بالقلعة حصنها، وأرسل الى أبي الفتح بن عنان وإلى أبي عيسى سادي بن محمد باستراباذ وأغراهما بأعمال هلال فسار ابو الفتح الى قرميسين وملكها.

وأساء[1] الديلم فاتبعه هلال اليها ووضع السيف في الديلم.

(١) كذا. والحوادث تقضي: واستمال.

وأمكنه ابن رافع من أبي عيسى فعفا عنه وأخذه معه ، وأرسل بدر من قلعته يستنجد بهاء الدولة فبعث اليه الوزير فخر الملك في العساكر ، وانتهى الى سابور خواست . واستشار هلال أبـا عيسى بن سادي فـأشار عليه بطاعة بهاء الدولة ، وإلا فـالمطاولة وعدم العجلة باللقاء فاتهمه وسار العسكر ليلاً فكبسه . وركب فخر الملك في العساكر ، وثبت فبعث اليه هلال باني انمـا جئت للطاعة . ولما عاين بدر رسوله طرده وأخبر الوزير أنها خديعة فسرّ بذلـك ، وانتفت عنه الظنة ببدر . وأمر العساكر بالزحف فلم يكن بأسرع من مجيء هلال أسيراً ، فطلب منه تسليم القلعة لبدر فأجاب على أن لا يمكن أبوه منه ، واستأمنت أمّه ومن معهـا بالقلعة فـأمنهم الوزير ، وملك القلعة وأخذ مـا فيها من الاموال يقال أربعون ألف بدرة دنانير ، وأربعمائة ألف بدرة دراهم سوى الجواهر والثياب والسلاح ، وسلم الوزير فخر الملك القلعة لبدر وعاد الى بغداد .

استيلاء ظاهر بن هلال على شهرزور

كان بدر بن حسنويه قد نزل عن شهرزور لعميد الجيوش ببغداد ، وأنزل بها نوبة فلما كانت سنة أربع وأربعمائة ، وكان هلال بن بدر معتقلاً سار ابنه ظاهر الى شهرزور ، وقاتل عساكر

فخر الملك منتصف السنة وملكها من أيديهم ، وأرسل اليه الوزير يعاتبه ويأمره باطلاق من أسر من اصحابه ففعل وبقيت شهرزور بيده .

مقتل بدر بن حسنويه وابنه هلال

ثم سار بدر بن حسنويه أمير الجبل الى الحسن بن مسعود الكردي ليملك عليه بلاده ، وحاصره بحصن كوسجة ، وأطال حصاره فغدر أصحاب بدر وأجمعوا قتله . وتولى ذلك الجورقان من طوائف الاكراد فقتلوه وأجفلوا فدخلوا في طاعة شمس الدولة ابن فخر الدولة صاحب هَمَذان . وتولى الحسين بن مسعود تكفين بدر ومواراته في مشهد عليّ . ولما بلغ ظاهر بن هلال مقتل جدّه وكان هارباً منه بنواحي شهرزور ، وجاء لطلب ملكه فقاتله شمس الدولة فهزمه ، وأسره وحبسه بهمذان واستولى على بلاده . وصار الكرية والشاذنجان من الاكراد في طاعة أبي الشوك . وكان أبوه هلال بن بدر محبوساً عند سلطان الدولة ببغداد فأطلقه ، وجهز معه العساكر ليستعيد بلاده من شمس الدولة فسار ولقيه شمس الدولة فهزمه وأسره وقتله ، ورجعت العساكر منهزمة الى بغداد . وكان في ملك بدر سابور خواست والدينَوَر وبروجرد ونهاوند واستراباذ وقطعة من أعمال الاهواز ، وما بين ذلك من القلاع والولايات . وكان عادلاً كثير المعروف عظيم

الهمة. ولما هلك هو وابنه هلال بقي حافده ظاهر محبوساً عند شمس الدولة بهمذان .

مقتل ظاهر بن هلال واستيلاء أبي الشوك على بلادهم ورياستهم

كان أبو الفتح محمد بن عنان أمير الشادنجان من الاكراد، وكانت بيده حُلوان وأقام عليها أميراً وعلى قومه عشرين سنة. وكان يزاحم بدر بن حسنويه وبنيه في الولايات والاعمال بالجبل. وهلك سنة احدى وأربعمائة، وقام مكانه ابنه أبو الشوك وطلبته العساكر من بغداد فقاتلهم، وهزموه فامتنع بحلوان الى أن أصلح حاله مع الوزير فخر الملك لما قدم العراق بعد عميد الجيوش من قبل بهاء الدولة. ثم انّ شمس الدولة بن فخر الدولة ابن بويه أطلق ظاهر بن هلال بن بدر من محبسه بعد أن استخلفه على الطاعة، وولاه على قومه وعلى بلاده بالجبل، وأبو الشوك صاحب حلوان والسهل، وبينهما المنافسة القديمة فجمع ظاهر وحارب أبا الشوك فهزمه. وقتل سعدي بن محمد أخاه، ثم جمع ثانية فانهزم أبو الشوك أيضاً وأمتنع بحلوان: وملك ظاهر عامّة البسيط، وأقام بالنهروان. ثم تصالحا وتزوّج ظاهر أخت أبي الشوك فلما أمنه ظاهر وثب عليه أبو الشوك فقتله بثأر أخيه سعدي، ودفنه أصحابه بمقابر بغداد، وملك سائر الاعمال ونزل الدينَوَر .

ولما استولى علاء الدولة بن كاكويه على هَمَذان سنة أربع

عشرة عندما هزم عساكر شمس الدولة بن بويه واستبدّ عليه سار الى الدينور فلكها من يد أبي الشوك ، ثم الى سابور خواست وسائر تلك الاعمال . وسار في طلب أبي الشوك فأرسل اليه مشرف الدولة سلطان بغداد وشفع فيه فعاد عنه علاء الدولة . ولما زحف الغز الى بلاد الريّ سنة عشرين وأربعمائة ، وملكوا هَمَذان وعاثوا في نواحيها الى استراباذ وقرى الدينَوَر ، خرج اليهم أبو الفتح بن أبي الشوك وقاتلهم فهزمهم ، وأسر منهم جماعة . ثم عقد الصلح معهم على اطلاق أسراهم ورجعوا عنه . ثم استولى أبو الشوك سنة ثلاثين على قرميسين من أعمال الجبل ، وقبض على صاحبها من الاكراد الترهية ، وسار أخوه الى قلعة أرمينية فاعتصم بها من أبي الشوك وكانت لهم مدينة خولَنجان فبعث اليها عسكراً فلم يظفروا وعادوا عنها . ثم جهز آخر وبعثهم ليوهم يسابقون جندهم ، ومرّوا بأرمينية فنهبوا ربضها ، وقاتلوا من ظفروا به وانتهوا الى خولنجان فكبسوها على حين غفلة . واستأمن اليهم أهلها وتحصن الحامية بقلعة وسط البلد فحاصروها وملكوها عليهم في ذي القعدة من السنة .

الفتنة بين أبي الفتح بن ابي الشوك وعمه مهلهل

كان أبو الفتح بن أبي الشوك نائباً عن أبيه بالدينَوَر ، واستفحل بها وملك قلاعاً عدّة وحمى أعماله من الغز فأعجب

بنفسه، ورأى التفوّق على أبيه. وسار في شعبان سنة احدى وثلاثين الى قلعة بكورا من قلاع الاكراد، وصاحبها غائب وبها زوجته فراسلت مهلهلاً لتسلم له القلعة نكاية لابي الفتح، وكانت حلة مهلهل في نواحي الصامغان فانتظر حتى عاد أبو الفتح عن القلعة. وجمع العساكر لحصارها. وسار اليها أبو الفتح فورى له عن قصده، ورجع فأتبعه أبو الفتح فقاتله عمه مهلهل، ثم ظفر به وأسره وحبسه. وجمع ابو الشوك وقصد شهرزور وحاصرها. ثم قصد بلاد مهلهل، وطال الامر، ولج مهلهل في شأنه وأغرى علاء الدولة بن كاكويه ببلد أبي الفتح فملك عليه الدينَوَر وقرميسين سنة اثنتين وثلاثين.

ثم سار أبو الشوك الى دقوقا وقدم اليها ابنه سعدي فحاصرها وجاء على أثره فنقبوا سورها وملكها عَنْوَةً، ونهب بعض البلد، وأخذت أسلحة الاكراد وثيابهم، وأقام أبو الشوك بها ليلة. ثم بلغه أنّ أخاه سرخاب بن محمد قد أغار على مواضع من ولايته فخاف على البندنجين. ورجع وبعث الى جلال الدولة سلطان بغداد يستنجده فبعث اليه العساكر وأقاموا عنده، وسار مهلهل الى علاء الدولة بن كاكويه يستصرخه على أخيه أبي الشوك على الاعتصام بقلعة السيروان. ثم بعث الى علاء الدولة يعرض له بالرجوع الى جلال الدولة صاحب بغداد فصالحه على أن يكون الدينور لعلاء الدولة ورجع عنه. ثم سار أبو الشوك الى شهرزور

فحاصرها وعاث في سوادها، وحصر قلعة بيزاز شاه فدافعه أبو القاسم بن عياض عنهـا ووعده بخلاص ابنه أبي الفتح من أخيه مهلهل فسار من شهرزور الى نواحي سند من أعمال أبي الشوك. ولما بعث اليه ابن عياض بالصلح مع أخيه أبي الشوك امتنع فسار أبو الشوك من حُلوان الى الصامغان. ونهب ولاية مهلهل كلها. وأجفل مهلهل بين يديه. ثم تردّد الناس بينهما في الصلح وعاد عنه أبو الشوك.

استيلاء نيال أخي طغرلبك على ولاية أبي الشوك

ثم سار ابراهيم نيال بأمر أخيه طغرلبك من كرمان الى همذان فملكها، ولحق كرساشف بن علاء الدولة بالاكراد الجورقان وكان أبو الشوك حينئذ بالدينور ففارقهـا الى قرميسين وملكها نيال. وسار في اتباعه الى قرميسين ففارقها الى حُلوان، وترك كل من في عسكره من الديلم والاكراد الشاذنجان. وسار اليها نيال وملكها عليهم عنوة واستباحها. وفتك في العسكر ولحق فلهم بأبي الشوك في حُلوان فقدّم أهله وذخيرته الى قلعة السيروان وأقام. ثم سار نيال الى الصيمرة فملكها ونهبها، وأوقع بالاكراد المجاورين لها في الجورقان فانهزموا. وكان عندهم كرساشف بن علاء الدولة فلحق ببلد شهاب الدولة وشرد أهلها في البلاد، ووصل اليها نيال آخر شعبان فملكها وأحرقها وأحرق دار أبي الشوك

وسارت طائفة من الغُزّ في اثر جماعة منهم فأدركوهم بخانقين فغنموا ما معهم، وانتشر الغُزّ في تلك النواحي. وتراسل أبو الشوك وأخوه مُهلهِل. وكان ابنه أبو الفتح قد مات في سجن مهلهل فبعث مهلهل ابنه وحلف له أنه لم يقتله، وان ثبت فاقتل أبا الغنائم بثأره فقبل ورضي، واصطلحا على دفاع نيال عن أنفسهما. وكان أبو الشوك قد أخذ ممتلكات سرخاب أخيه ما عدا قلعة دوربلونه، وتقاطعا لذلك فسار سرخاب الى البندنجين، وبها سعدي ابن أبي الشوك ففارقها سعدي الى أبلّة ونهبها سرخاب.

وفاة أبي الشوك وقيام أخيه مهلهل مقامه

ثم توفي ابو الشوك فارس بن محمد سنة سبع وثلاثين بقلعة السيروان من حُلوان، وقام مقامه أخوه مهلهل، واجتمع اليه الاكراد مائلين اليه عن ابن أخيه سعدي بن أبي الشوك فلحق سعدي بنيال أخي طغرلبك يستدعيه لملك البلاد. ولما استولى مهلهل بعد موت أخيه أبي الشوك، وكان نيال عندما غدا من حلوان، ولى على قرميسين بدر بن ظاهر بن هلال بن بدر بن حسنويه فسار اليها مُهلهل سنة ثمان وثلاثين فهرب بدر عنها وملكها. وبعث ابنه محمداً الى الدينَوَر وبها عساكر نيال فهزمهم وملكها.

استيلاء سعدي بن أبي الشوك على أعمالهم بدعوة السلجوقية

ولما ملك مهلهل بعد أخيه أبي الشوك تزوّج بأمّ سعدي وأهله وأساء معاملة الاكراد الشادنجان فراسل سعدي نيال، وسار اليه بالشادنجان فبعث معهم عسكراً من الغُزّ سنة تسع وثلاثين فملك حُلوان، وخطب فيها لابراهيم نيال. ورجع الى مابدشت فخالفه عمه مُهلهِل الى حُلوان فملكها، وقطع منها خطبة نيال فعاد سعدي الى عمه سرخاب فكبسه ونهب حلله. وسيّر الى البندنجين جمعاً فقبضوا على نائب سرخاب ونهبوهـا. وصعد سرخاب الى قلعة دوربلونة، وعـاد سعدي الى قرميسين، وبعث مهلهل ابنه بدراً الى حُلوان فملكها فجمع سعدي وأكثر من الغُزّ. وسار فملك حلوان، وتقدّم الى عمه مهلهل فلحق بتيراز شاه من قلاع شهرزور واستباح الغزّ سائر تلك النواحي وحاصر سعدي تيراز شاه ومعه أحمد بن ظاهر قائد نيال، ونهب الغز حلوان. وأراد مهلهل أن يسير الى ابن أخيه فتكاسلوا ثم قطع سعدي البندنجين لابي الفتح ابن دارم على أن يحاصر معه عمه سرخاب بقلعة دوربلونة فساروا اليها، وكانت ضيقة المسلك فدخلوا المضيق فلم يخلصوا، وأسر سعدي وأبو الفتح وغيرهما من الاعيـان، ورجع الغُزّ عن تلك النواحي بعد أن كانوا ملكوها

نكبة سرخاب واستيلاء نيال على أعمالهم كلها

ثم انّ سرخاب لما قبض سعدي ابن أخيه أبي الشوك غاضبه ابنـه أبو العسكر واعتزله، وكان سرخاب قـد أساء السيرة في الاكراد فاجتمعوا وقبضوا عليه، وحملوه الى نيال فاقتلع عينه وطالبه باطلاق سعدي بن أبي الشوك فأطلقه أبو العسكر ابنه، واستحلفه عـلى السعي في خلاص أبيه سرخاب فانطلق سعدي، واجتمع عليه كثير من الاكراد. وسار الى نيـال فـاستوحش منه، وسار الى الدسكرة، وكاتب أبا كاليجار بالطاعة. ثم سار ابراهيم نيال الى قلعة كلجان وامتنعت عليهم. ثم حاصروا قلعة دوربلونة فتقدّمت طائفة الى البندنجين فنهبوها. وسار ابراهيم فيها بالنهب والقتل والعقوبة في المصادرة حتى يموتوا.

وتقدّمت طائفة الى الفتح فهرب وترك حلله فعرجوا عليها واتبعوه فقاتلهم وظفر بهم وبعث مستنجداً فلم ينجدوه فعبر، وأمر بنزول حلله الى جانب الغُزّ. وكان سعدي بن أبي الشوك نازلًا عـلى فرسخين من باجس فكبسه الغُزّ فهرب وترك حلله وغنمها الغُزّ، ونهبوا تلك الاعمال والدسكرة والهارونية وقصر سابور. وتقسم أهلها بين القتل والغرق والهلاك بالبرد. ووصل سعدي الى دبال ولحق منها بأبي الأغرّدبيس بن مزيد فأقام عنده. وحاصر نيـال قلعة السيروان وضيق عليهـا، وضربت سراياه في البلاد

وانتهت الى قرب تكريت . ثم استأمن أهل قلعة السيروان الى نيال فملكها وأخذ منها ذخيرة سعدي، وولى عليها من أصحابه . ثم مات صاحب قلعة السيروان وبعث وزيره الى شهرزور فملكها، وهرب مهلهل وأبعد في الهرب، وحاصر عسكر نيال قلعة هواز شاه .

ثم راسل مُهلهل أهل شهرزور بالتوثب بالغُزّ الذين عندهم فقتلوهم، ورجع قائد نيال ففتك فيهم . ثم سار الغز المقيمون بالبندنجين الى نهر سليلي وقاتلوا أبا دلف القاسم بن محمد الجاواني فهزمهم وظفر بهم وغنم ما معهم . وسار في ذي الحجة جمع من الغُزّ الى بلد علي بن القاسم فعاثوا فيها فأخذ عليهم المضيق فأوقع بهم واستردّ ما غنموه . ولم يزل أحمد بن ظاهر قائد نيال محاصراً قلعة تيراز شاه في شهرزور الى أن دخلت سنة أربعين، ووقع الموتان في عسكره . واستمدّ نيال فلم يمدّه فرحل عنها الى مايدشير . وبلغ ذلك مهلهلاً فبعث احد أولاده الى شهرزور فملكها، وأجفل الغز من السيروان . وسارت عساكر بغداد الى حُلوان وحاصروا قلعتها ولم يظفروا فنهبوا مخلف الغز وخربوا الاعمال، وسار مهلهل الى بغداد فأنزل أهله وأمواله بها، وأنزل حلله على ستة فراسخ منها فسار عسكر من بغداد الى البندنجين، وقاتلوا الغز الذين بها فهزمهم الغز وقتلوهم جميعاً .

بقية أخبار مهلهل وابن أبي الشوك وانقراض أمرهم

ثم سار مُهلهل أخو أبي الشوك الى السلطان طغرلبك سنة ثلاث وأربعين فأحسن اليه وأقرّه على اقطاعه السيروان ودقوقا وشهرزور والصامغان ، وسعى في أخيه سرخاب وكان محبوساً عنده فأطلقه وسوّغه قلعة الماهكي ، وكانت له فسار اليها ، وأقطع سعدي بن أبي الشوك الرادندين . ثم بعثه سنة ست وأربعين في عسكر من الغُزّ الى نواحي العراق فنزل بمابدشت ، وسار منها الى أبي دلف الجاواني فهرب بين يديه وأدركه فنهب أمواله وفلت بنفسه . وكان خالد ابن عمه مع الوزير ومطر ابني علي بن معن العقيلي فوفد أولادهم على سعدي يشكون مهلهلاً فوعدهم النصر ، ورجعهم من عنده فاعترضهم أصحاب مُهلهل فأسرهم بنو عَقيل ففداهم مُهلهل وأوقع بهم على تل عكبرا ، ونهبهم فساروا الى سعدي وهو بسامراً . وأتبع عمه مُهلهلاً وظفر به وأسره ، وأسر مالكاً ابنه ، وردّ غنائم بني عقيل ورجع الى حُلوان .

واضطربت بغداد ، واجتمعت عساكر الملك الرحيم ومعهم أبو الاغرّ دَبيس بن مَزيَد يسعى عند سعدي في أبيه . وكان ابن سعدي عند السلطان طغرلبك رهينة فردّه على أبيه عوضاً عن مهلهل ، وأمره باطلاق مهلهل فامتعض لذلك سعدي وعصى على طغرلبك . وسار الى حُلوان فامتنعت عليه ، واقام يتردّد بين

رشقباد والبردان . وأظهر مخالفة طغرلبك ، ورجع الى طاعة الملك الرحيم فبعث طغرلبك العساكر بدران بن مهلهل الى شهرزور ، ووجد ابراهيم بن اسحق من قواده فاوقعوا به ، ومضى الى قلعة رَشْقَبَاد .

وسار بدر بن مُهلهل الى شهرزور ، ورجع إبراهيم بن اسحق الى حُلوان فأقام بها . ثمّ نهض سنة ست وأربعين الى الدسكرة فنهبها واستباحها ، وسار الى رَشْقَبَاد وهي قلعة سعدي وفيها ذخيرته، وفي القلعة البردان فامتنعت عليه فخرب أعمالها ووهن الديلم في كل ناحية . وبعث طغرلبك أبا علي بن أبي كاليجار صاحب البصرة في عسكر من الغُزّ الى الاهواز فملكها ونهبها الغُزّ ، ولقي الناس منهم عيثاً بالنهب والمصادرة . وأحاطت دعوة طغرلبك ببغداد من كل ناحية . وانقرض الاكراد من أعمالهم واندرجوا في جملة السلطان طغرلبك . وتلك الايام نداولها بين الناس ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لا رادّ لامره .

أحمد الحاكم

محمد المتوكل بن أبي بكر المعتضد بن سليمان المستكفي بن أحمد الحاكم بن أبي بكر بن أحمد المسترشد بن المستظهر

عمر بن ابراهيم الواثق

أول من بويع بمصر من العباسيين

أحمد المستنصر

المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي

المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي الراشد بن المسترشد بن المستظهر المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم بن القادر

بن المعتصم المأمون الامين بن الرشيد الهادي بن المهدي بن المنصور السفاح محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

الطائع بن المطيع المستكفي المتقي الراضي القاهر المرتضي بالله المقتدر المكتفي بن المعتضد المعتمد المهتدي المعتز المستعين المنتصر بن المتوكل

فهارس "تاريخ" ابن خلدون

المجلد الرابع

وضعها

الاستاذ يوسف اسعد داغر

امين دار الكتب اللبنانية سابقاً

الاختصاصي بفن تنظيم المكتبات وعلم الببليوغرافيا

١ ـ فهرس الموضوعات
٢ ـ فهرس اعلام الرجال والنساء
٣ ـ فهرس الشعوب والقبائل والدول والامم
٤ ـ فهرس البلدان والاماكنة الجغرافية
٥ ـ فهرس الكتب الوارد ذكرها في تضاعيف الكتاب
٦ ـ فهرس لغة ابن خلدون
٧ ـ فهرس مواد الكتاب

١ - فهرس الموضوعات

مرتبة على الهجاء

غ

ف

ن

هـ

٢- فِهرس أعلام الرِّجال والنِّساء

ابو

اد

ار

اع

اف

ح

سف

سل

ش

ط

عن

مح

مر

نص

نف

و

ي

يح

٣ - فهرس الشعوب والقبائل والدول والأسر

٤- فِهرس البُلدان والأمْكِنة الجُغرافيّة

بل

خو

ز

قم

ك

ل

ن

و

٥ - فهرس الكتب الوارد ذكرها

في تضاعيف الكتاب

٦ - فهرس لغة ابن خلدون

٧- فهرس مواد المجلد الرابع

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس مواد المجلد الرابع

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة



دَارُ الكِتَابِ المِصْرِيّ

طبَاعة - نشر - توزيع

٣٢ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/ ٣٩٢٤٣٠١ - فاكسيملي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً: كتامصر
FAX. (202) 3924657
ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN



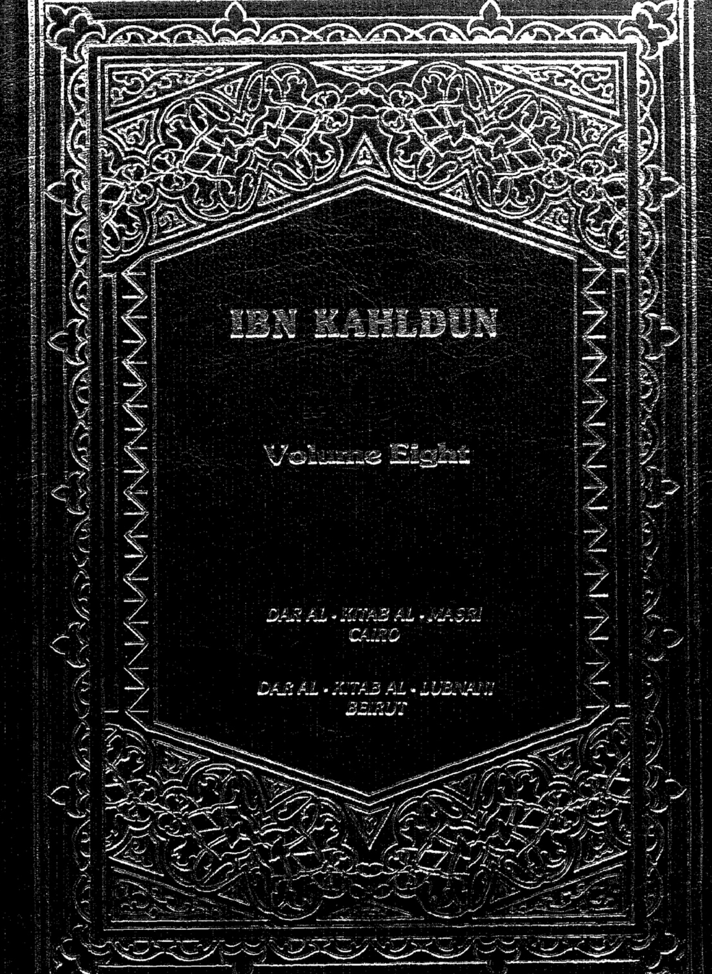
دار الكتاب اللبناني

طباعة - نشر - توزيع

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣١ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: ناكلبان - ص.ب.: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان

FAX: (961 I) 351433

ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN


IBN KAHLDUN
Volume Eight
DAR AL - KITAB AL - MASRI
CAIRO
DAR AL - KITAB AL - LUBNANI
BEIRUT